



مشورات كلية الآداب والعلوم
جامعة قاريونس - بنغازي

مجلة كلية الآداب والعلوم

العددان

22 - 21

2001-2000

فاطمة غريب لبيدي



العدد 21-22
4

مجلة كلية الآداب

العددان 21-22

2000-2001 ف

مجلة كلية الآداب

العددان 21 - 22

2000 - 2001 ف

منشورات كلية الآداب
جامعة قاريونس - بنغازي

منشورات كلية الآداب
جامعة قاريونس - بنغازي

مجلة كلية الآداب
تأسست سنة 1958

أمين التحرير : أ. د. ميلاد أبو سلامة المقرحي (قسم التاريخ)
هيئة التحرير :

- ✧ د. عبدالله الطاهر مسعود ، (قسم الفلسفة)
- ✧ د. محمد عبدالله لامة ، (قسم الجغرافيا)
- ✧ د. عابدين الدردير الشريف ، (قسم الإعلام)
- ✧ مراجع عبدالقادر الطلحي (قسم اللغة العربية وآدابها)

الإشراف الفني : مصطفى فرج الفلام
إدارة التعريب والنشر بالجامعة

مجلة كلية الآداب

مجلة علمية تهتم بنشر البحوث والدراسات الموثقة في مجال العلوم الإنسانية وتصدر مرة كل عام عن كلية الآداب ، جامعة قاربيونس ، بنغازي ، ليبيا .
لأنه لا تعبر الآراء التي تنشر بالمجلة إلا عن رأي أصحابها ولا تمثل وجهات نظر هيئة التحرير أو الكلية .

المقالات التي ترد إلى المجلة لا ترد إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر .
تحتفظ الكلية بجميع حقوق الطبع ولا يسمح بإعادة الطبع إلا بإذن مسبق .
جميع المراسلات ومواد التحرير ترسل إلى العنوان التالي :

مكتب مجلة كلية الآداب
كلية الآداب - جامعة قاربيونس
بنغازي - ليبيا
(يرجى إرسال نسختين من كل مقال أو بحث)

هـ + بريد مصور : 2228824 / 061

البريد الإلكتروني : Art - Fact.@Ltt.net

رؤساء تحرير مجلة كلية الآداب منذ تأسيسها في سنة 1958 حتى الآن

- 1 - د. مختار مصطفى بورو .
- 2 - د. سعيد الأفغاني .
- 3 - د. إدريس صالح الحرير .
- 4 - د. رجب مفتاح أبو دبوس .
- 5 - د. عقيل محمد البربار .
- 6 - د. ميلاد أبو سلامة المقرحي 1985 - 1993 .
- 7 - د. محمد محمد بالروين 1995 - 1996 .
- 8 - د. ميلاد أبو سلامة المقرحي بدءاً من 21 / 3 / 2000 ف .

محتويات العدد

شروط النشر في المجلة
تقديم
الافتتاحية

- 1- الثورة الثقافية في الصين 1965 - 1976 ، د. ميلاد أ. المقرحي — 15
- 2- الإبداع واتجاهات تفسير الفن: دراسة في فلسفة الجمال، د. عبدالكريم هلال خالد — 31
- 3- أزمة الموضوعية في علم الاجتماع ، د. عقيل نوري محمد — 51
- 4- أصول عربية محتملة لقصص وحكايات أسبانية ، د. عبدالله محمد الزيات — 69
- 5- عود على بدء — مراجع عبدالقادر الطلحي — 85
- 6- التحليل المكاني لمشكلة التلوث البيئي بمدينة البيضاء وسبل معالجتها د. محمد العرفي وأبو بكر الصديق عبدالله — 111
- 7- الاهتمام الدولي بالبيئة ، د. محمد عبدالله لامة — 133
- 8- تأثير برنامجي تمرينات بنائية زوجية وفردية لتنمية بعض مكونات اللياقة البدنية للطلقات المكفوفات ، د. هاتم حسن أحمد الكساب — 146
- 9- الرضا الوظيفي : مفهومه وطرق قياسه ، رمضان سعد كريم — 165

مراجعات وعرض الكتب

- 10- عرض ومراجعة لخمس كتب في التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر ، د. ميلاد المقرحي .. — 171
- 11- ترحال في الصحراء تأليف ج. ريتشارد سن ، ترجمة الهادي م. أبو لقمة — 178
- 12- التغيرات البيئية : جغرافية الزمن الرابع تأليف أندرو جودي ترجمة محمود محمد عاشور ، عرض ومراجعة ، د. محمد عبدالله لامة — 189
- 13- إصدارات جديدة — — 193
- 14- كشف للبحوث والمقالات التي نشرت بالمجلة من العدد 1 إلى العدد 20 إعداد : صالح احميده حويل — 195

شروط نشر المقالات والبحوث والدراسات فى مجلة كلية الآداب

أولاً : تهدف المجلة إلى نشر الأنماط التالية من البحوث والمقالات :

- أ- بحث أو مقالة يعتمد أساساً على دراسة ميدانية أو وثائقية لم يسبق استخدامها من قبل أو دراسة قائمة على استعمال وثائق أو مخطوطات سبق استعمالها شريطة أن يتناولها الباحث بطريقة مغايرة تنجم عنها نتائج جديدة .
- ب- بحث أو مقالة يعتمد على اقتراحات نظرية على أن تكون دراسة رائدة لم يسبق نشرها .

ج- ان الفرق بين البحث والمقال لدى مجلة كلية الآداب والتربية ينحصر فى تقييم هيئة التحرير للعناصر الأساسية الواردة فى كل بحث أو مقال :

أولاً : الأصالة فى البحث .

ثانياً : نوعية المصادر التى اعتمد عليها الكاتب فى حالة استخدام أية مصادر .

ثالثاً : حجم الدراسة ومدى الجهد الذى بذل فيها .

ثانياً : تطلب هيئة التحرير من صاحب المادة المقدمة للنشر ما يلى :

- 1 - يجب أن يكتب عنوان البحث أو المقال على صفحة منفردة بوضوح بالإضافة إلى اسم الكاتب وعنوانه للمرأسلة وبعض المعلومات الأساسية الأخرى كمكان العمل والبحوث التى قام بنشرها .
- 2 - أن يكون للبحث أو المقال مقدمة تثار فيها المشكلة الماثلة بوضوح وأن تطرح الإجابة فى متن البحث أو المقال بأسلوب منطقي سلس ، ومن ثم الوصول إلى نتيجة للقضية أو المسائل المطروحة .
- 3 - المجلة لا تنشر أى بحث أو مقال سبق نشره .
- 4 - يمكن نشر بحث أو مقال يعتمد كاتبه على مصادر ثانوية إذا ما جاء بفكرة جديدة لم يسبق طرحها أو نشرها .
- 5 - فيما يخص استعمال المصادر فإن سياسة هيئة تحرير المجلة تلزم المؤلف بأن يعطى الاقتباسات والتعليقات أرقاماً متسلسلة فى المتن وتلحق هوامش كل صفحة بآخرها ويكتب المؤلف الذى اقتبس منه ثلاثياً وعنوان المصدر والجزء إن وجد ومكان النشر والسنة وتاريخ النشر والصفحة أو الصفحات التى اقتبس منها .
- 6 - يصاحب كل بحث أو مقال مقدم للنشر ملخص قصير فى حدود المائة كلمة يبين فيه الكاتب الغرض من الدراسة وتحديد ابعاد المشكلة المطروحة بما فى ذلك ذكر بعض المعلومات عن طبيعة البيانات المستعملة وطريقة تحليلها وينبغي أن يشير هذا الملخص إلى النتائج العامة التى توصل إليها الكاتب .
- 7 - من سياسة مجلة كلية الآداب والتربية ان تحال المادة المقدمة للنشر إلى قارئ كحد أقصى لتقييمها وإذا ما نالت استحسان المقيمين فإنها تعاد إلى الكاتب لإبداء الرأى وإجراء التعديلات النهائية إذا تطلب الأمر ذلك قبل النشر .
- 8 - لهيئة التحرير الحق فى عدم نشر أى بحث أو مقال يتعارض مع هذه الشروط دون إبداء الأسباب .

تقديم

تميزت مجلة كلية الآداب منذ بداية صدورها بأصالة ما تنشره من بحوث ومقالات في فروع العلوم الإنسانية المختلفة ، حتى أصبحت يُشار إليها بالبنان ، ويترقب صدورها الباحثون داخل الجماهيرية وخارجها ، إلا أن استمرار صدورها دورياً وبدون توقف كان حلماً لأساتذة هذه الكلية وهيئات تحرير المجلة لم يتحقق في بعض السنوات لظروف اعتذر عنها المسؤولون بالكلية في حينها .

وشعوراً من اللجنة الشعبية للكلية بأهمية هذه المجلة وما تقدمه من خدمة للعملية التعليمية وللباحثين فقد سارعت إلى إحيائها وكلفت هيئة تحرير جديدة مشهود لأمينها وأعضائها بالجد والعطاء ، وإننا إذ نكرر الاعتذار عن التأخر في إصدار العديدين .. نأمل أن يتصل عطاء هذه المجلة .. ونحن على ثقة بأن أساتذة الكلية والجامعة بشكل عام سيوفرون لها الزاد الطيب ..

وختاماً نشكر هيئات التحرير السابقة على ما قدموه ونتمنى لأسرة التحرير الجديدة كل توفيق ..

د. محمد المبروروك الخويب
أمين اللجنة الشعبية للكلية



الافتتاحية

صدر العدد الأول من مجلة كلية الآداب والتربية في سنة 1377هـ - 1956م ، ولم يقيض للعدد الثاني منها أن ينشر إلا بعد عقد كامل من ظهور العدد الأول، وذلك سنة 1388هـ - 1968م . وقد اعتذر د. مختار مصطفى بورو عميد كلية الآداب يومئذ في تقديمه للعدد الثاني عن طول الفاصل الزمني بين صدور العددين مؤكداً أن الانقطاع كان ناجماً عن أسباب خارجية عن إرادة إدارة الكلية . وكان القائمون على تحرير المجلة في ذلك الوقت يرغبون في إصدارها سنوياً مؤقتاً ، إذ كان في طموحهم إصدار أكثر من عدد كل سنة ، غير أن السنوايا الطيبة وحدها لا تصنع شيئاً ، فلم يطرّد إصدار هذه المجلة سنوياً - بل إصدار أكثر من عدد كل عام - إلا في فترات متفاوتة فبعد العدد الثامن الصادر سنة 1976 ف توقفت المجلة فلم يصدر العدد التاسع منها إلا في سنة 1980 ف ليكون فاتحة خير فقد تتابع إصدار أعدادها حتى سنة 1989 ف التي شهدت غيابها مرة أخرى بصور العددين 17 - 18 (1988 - 1989 ف) ثم عاد في سنة 1996 ف بإصدار العددين 19 - 20 معا (1995 - 1996) ..

ومنذ ذلك التاريخ عادت المجلة إلى الاحتجاب حتى ظن الكثيرون أن بعثها من جديد سراب يلمحه الظمان يتراقص من بعيد فيحسبه ماء .. ومع ذلك فإن مسيرة هذه المجلة العلمية الرائدة لا تعرف التوقف ، وإنما تحت خطاها نحو هدفها النبيل في ثقة وتأن ، تجابه العقبات ، وتتحدى الصعاب ليس في معجمها ارتداد مؤذٍ على الذات يئدها .. فمن يند إشعاع نور .. وإيماناً من اللجنة الشعبية لكلية الآداب ممثلة في أمينها د. محمد المبروك الذويب بأهمية هذا الرافد العلمي في حياة المجتمع ومسيرته المتجددة أصدرت قرارها بتشكيل هيئة تحرير جديدة لمجلة كلية الآداب ..

وهيئة تحرير هذه المجلة لن تدخر وسعاً في سبيل حمل الأمانة المنوطة بها ، وهي ليست في حاجة إلى دعوة أساتذة الكلية أو الجامعة إلى تزويدها بأبحاثهم ، إذ ما إن علموا بعودة هذه المجلة إلى الصدور حتى انهمر سيل عطائهم العلمي ففاض عن قدرة المجلة على احتوائه في عدد واحد ، لذا فإن هيئة التحرير لا تملك إلا أن تعتذر عن عدم تمكنها من نشر بعض الأبحاث والمقالات ، مع وعد منها بأنها ستنتشر في أعداد لاحقة ما تقر لجان التقييم صلاحيته للنشر ، أخذه في الاعتبار أصالة البحث الذي يراعى المنهج العلمي القويم ، إذ لا تقبل للنشر ما سبق نشره في أي صورة كانت ، كما لا تقبل الأبحاث المستلة من رسائل

الماجستير واطروحات الدكتوراه المنشورة وغير المنشورة . كما أن قدم العهد بالبحث حائل دون نشره ، إذ إن تطور الحياة السريع ، وسيل المعلومات المتدفق يجعل نتائجه غير ذات أهمية للقراء ..

هيئة تحرير المجلة

بنغازي في 23 / 7 / 2002 ف

الثورة الثقافية فى الصين 1965-1976

د. ميلاد أ. المقرحى

١- مقدمة

الحركة الثورية الصينية التي بدأت بتأسيس الحزب الشيوعي الصيني سنة 1921، ما كان لها أن تنتصر وتستمر إلا بقيادة ماوتسى تونج ، وثورته غير المحدودة، وقيادته الصارمة، والحاجة إلى الوحدة والنظام وحرب التحرير ،كلها أدت إلى ، وساعدت على توحيد الحزب (والثورة والأمة حول ماوتسى تونج رمزا وعلى إبراز قيادته مصدرا للإبداع والحكمة) ولم تكن الثورة الصينية فى سنة 1949 نتاج ثورة تقليدية، وإنما كانت نتاج عقدين من الحرب الأهلية، حكم الجيش الأحمر خلالها أجزاء شاسعة من الصين. وبعد سنة 1949 خلق ماو عاليا فوق جميع زملائه الثوار، ومنذ ذلك الوقت أيضا كانت صورته تحتل مكان الصدارة فى المباني العامة والشوارع والبيوت وتزين السيارات والشاحنات العسكرية . ومنذ سنة 1949 وحتى وفاته فى 1976 كان لماو تأثير لامثيل له على بلاده، وعلى كل الحركة الشيوعية الأممية ، وعلى العالم الثالث . ويعتبر ماو صاحب عبقرية وموهبة ومقدرة عظيمة فى تنظيم الجماهير وقيادتها.

وكانت أهم قضية واجهت حكومة الصين الثورية بعد سنة 1949 هي قضية الإصلاح الزراعي ولتنفيذ ذلك صدر قانون الإصلاح الزراعي فى يونيو 1950 ووفقا له تمت عملية إعادة توزيع الأرض على الفلاحين. وفى سنة 1951 شهدت الصين حملات جماهيرية تمثلت فى مطاردة أعداء الثورة وحملات أخرى ضد البيروقراطية والفساد والإسراف والجناح الاقتصادية. وفى سنة 1952 زاد التأكيد على الحملة الاقتصادية وأعلنت الخطة الخمسية الأولى 1953-1957 وتم توجيه كل دعاية الحزب نحو زيادة الإنتاج. وبدءا من أواخر سنة 1957 تدافعت الحملات الجماهيرية والأهداف الإنتاجية وأدت مباشرة إلى حملة القفزة الكبرى إلى الإمام التي أعلن عنها رسميا فى مايو 1958. وكانت أحداث سنة 1958 كبيرة الأهمية، وفى هذه السنة حاولت الثورة الصينية أن تتطرق فى تطبيق التجربة الاشتراكية، وحل أسلوب ماو فى التحريض والحث والدفع من الخارج محل المنطق والعقلانية والتطور التاريخي وشهدت هذه السنة أيضا حملة القفزة الكبرى إلى الإمام وإنشاء كوميونات الشعب.

تجاهلت القفزة الكبرى إلى الإمام المعوقات المادية والتقنية، وأرادت بناء التقدم بالاعتماد على إرادة الإنسان أساساً، واستندت إلى استنفار اليد العاملة في البلاد، إلا أنها أثرت سلباً على الأحوال الاقتصادية في البلاد، خاصة الزراعة والصناعة. أما نظام الكوميونات فهو نظام اجتماعي واقتصادي فرض على المواطنين الحياة الجماعية في معسكرات من دون أملاك خاصة. فقد كان نظام الكوميون في الصين يعنى خضوع حياة الناس للتنظيم الجماعي في جميع مجالات الحياة. وقد اتسعت طموحات الزعامة الشيوعية إلى حد أنها غدت تسعى للتحوّل إلى المجتمع الاشتراكي الكامل. وكان ماو يهدف إلى حل مشاكل الصين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في حملة جماهيرية واحدة، ومعالجة الركود والكساد الزراعي بالتعبئة الجماهيرية ونشر الكوميونات التي توفر أساساً للنمو الصناعي السريع حسب وجهة نظره.

ومن أجل تحويل الروح الثورية لدى الفلاحين إلى قوة مادية شن الحزب الشيوعي في سنة 1958 حملة ضد الثقافة السائدة مطالباً بالأدب والفن من أجل الفلاحين والعمال واشترك الريف الصيني في تحويل الروح الثورية إلى قوة مادية كبيرة تنتشر الشيوعية إلى الملايين في الصين. ولكن حملة القفزة الكبرى إلى الأمام وإنشاء نظام الكوميونات تزامن مع الوقف المفاجئ للدعم السوفييتي يومئذ للصين سنة 1960. ومن أجل تفادي وقوع كارثة في الاقتصاد القومي تراجعت القيادة الشيوعية عن نظام الكوميونات ولكنها لم تعترف بفشلها، وأدركت أن الفلاح لن يعمل دون حافز شخصي ولذلك لم تحاول التخلص من نظام قطع الأرض الخاصة، وتمت، الموافقة على عودة الفلاحين إلى أسلوب الزراعة الفردية⁽¹⁾. ومن ناحية أخرى بادر ماو إلى تنظيم حملات جديدة تركزت على تنقية المجتمع الصيني الذي اعتبر إقطاعياً ومتخلفاً. وفي سبتمبر 1962 بدأت الحملة التربوية الاشتراكية التي هدفت إلى تطهير الفلاحين من ميولهم الفردية الإقطاعية والرأسمالية. وبدءاً من سنة 1963 شرعت القيادة في ترسيخ جديد للعقيدة في صفوف الجيش الأحمر من خلال الكتاب/ الكتيب الأحمر الذي يتضمن مختارات من أقوال ماو. وفي كل الأحوال أصبح الطريق ممهداً لتفجير الثورة الثقافية.

ومن خلال ما أشرنا إليه سابقاً نرى أن ماوتسي تونج كان يرمى إلى ضمان استمرارية الثورة من خلال تحقيق سلسلة من الانتفاضات الثورية المتعاقبة ويرى أنه لا شيء غير هذا يؤدي إلى استمرار النضال الثوري. ويعتبر ماو الصراع الطبقي أسلوباً قياسياً في الأيديولوجية الشيوعية لضمان برنامج ثوري مستمر. وعلى هذا الأساس يبدو

1 - لمزيد من التفاصيل عن الثورة الصينية يمكن العودة إلى ميلاد أ. المقرحي تاريخ آسيا الحديث والمعاصر ج 1 شرق آسيا : الصين اليابان ، كوريا (بنغازي : منشورات جامعة قاريونس 1997) ص ص

أن الثورة الصينية آنذاك لم تكن تسعى إلى كفالة حالة من الاستقرار تتطلق في ظلها قوى الإنتاج لتحقيق الرخاء، لأن ماو كان يعتقد أن تحقيق النجاح يتم عن طريق توليد طاقات ديناميكية متصلة الحلقات ، أو من خلال إحداث موجات من الحركة ، الموجة تعقب الأخرى، وما الثورة الثقافية سوى موجة منها.

2 أصول الثورة الثقافية وبداياتها الأولى

ترجع البدايات الأولى للثورة الثقافية في الصين إلى يناير 1961 عندما كتب المؤرخ الروائي يوو - هان مسرحية بعنوان ((عزل هاى جوى)) نشرت في مجلة بكين للأدب والفنون في يناير 1961، تتحدث ظاهرياً عن قصة موظف نزيه كان يخدم الدولة في عصر إحدى الأسرات الصينية الإمبراطورية القديمة ، عزله الإمبراطور لدفاعه عن الفلاحين ضد الطغيان والظلم والتعسف. والأمر يتطلب فقط القليل من التخيل لنرى أن المؤلف يقصد بالإمبراطور ماو وبالموظف المعزول بينج تا - هوى وزير الدفاع الذي عزله ماو من منصبه في سنة 1959⁽²⁾. يكمن الغرض الحقيقي من هذه المسرحية، إذاً، في مهاجمة ماو لقيامه سنة 1959 بتصفية بعض عناصر الحزب وإبعادها وفي مقدمتها بينج تا - هوى. وقد استمرت حملة مهاجمة ماو خلال السنوات 1961، 1962، 1963 ففي يونيو 1961 نشر يوو - هان قصة موظف حكومي في التاريخ الصيني القديم ظلمه القائم على السلطة آنذاك فعزله عن منصبه ثم تبين له خطاه فعينه وزيراً للدفاع . وفي سنة 1962 نشر يوو - هان قصة رمزية أخرى تشير إلى سيرة قائد عسكري في تاريخ الصين القديم وقع ضحية اتهامات باطلة وجهها إليه الإمبراطور. وفي هذه القصة أشار الكاتب إلى الانتكاسات التي يتكبدها أصحاب السلطة لعدم اهتمامهم بالمواقف الإيجابية وإهمالهم نصائح أصحاب التجارب والخبرة. وما كان لهذه الجماعة الجراءة على سلوك هذا السبيل لو لم تعتمد على تأييد شخصيات قوية في الحزب الشيوعي الصيني.

وأياً كان الأمر فإن ماو استجاب للتحدى وأعلن ، في ديسمبر 1963، بداية خطة جماهيرية محورها أن على البلاد كلها وقيادات الحزب بالذات أن تتعلم من جيش التحرير الشعبي. كما أشار إلى أن الموتى لا يزالون يسيطرون على كثير من مجالات الفكر. وكان ماو يخشى على الثورة من أن تفقد الحماسة لها بين الأجيال المقبلة بعد أن رأى بوادر الترهل وعدم الاندفاع بين الجيل الثاني للثورة، ومن مراهنه القوى الاستعمارية على ذوبان الثورة الاشتراكية عبر تتابع الأجيال . ولم يرض ماو من وراء الثورة الثقافية بأقل من تجديد شباب ثورته الكبرى، وأن يستعيد لها الانفعال والنظام والحيوية والنشاط وهى السمات التي لازمتها طوال سنوات

النضال الثوري التي حفلت بالمتاعب والمصاعب والألام . والدافع الكامن وراء الثورة الثقافية هو شعور الزعامة بالقلق الشديد من ضعف المبادئ الثورية بفعل المغريات المادية وهي كانت أساساً من تفكير ماو وحده ، وترجع إلى تلك المثالية التي تخيلها في ذهنه عن الثورة أثناء سنوات الإعداد للثورة التي اتسمت بكرهية المثقفين وموظفي الدولة والمدن . فالثورة الثقافية فرضت فرضنا من أعلى ، أي أن الزعامة وحدها هي التي نفخت في الرماد فأحالته ضراماً . وأرادت بذلك مطاردة المناوئين للثورة وتدمير المعارضة . وانصب الغضب بصورة خاصة على المثقفين والقضاء على سلوكهم البورجوازي وانحرافهم عن الخط الاشتراكي الذي اختارته القيادة . ويكمن الهدف في تحويل البلاد كلها إلى مدرسة كبيرة لفكر ماو ومضاعفة الجهود لتغيير أذهان ملايين الصينيين وعقولهم ، والحفاظ على مركز الصدارة للعقيدة واحترام العلم وضرورة أن يبقى العلم والإدارة تابعان لها . ومن أهدافها أيضاً العمل على تحويل كل صيني إلى عامل يحضى بقدر كبير من الوعي الاجتماعي والثقافة الرفيعة .

وقد جمعت الصين بين الأيديولوجية الاشتراكية العالمية وبين الفكر التقدمي الثوري النابع من أعماق الريف والتراث الحضاري الصيني وهو فكر ماو . ويتسم نظام الحكم الشيوعي الصيني بالنزوع إلى الشك في الآخرين والاحساس بالاضطهاد والخوف منهم ، وبالتالي قام عبر السنين ، بشن حملات داخلية على اليمينيين تارة واليساريين تارة أخرى ، والتحريفيين في مناسبة ، واتباع تشانج كاي تشيك في مناسبة أخرى ، والمثقفين في مناسبة ثالثة . والقيادة الشيوعية في الصين مولعة بتحطيم الناس ثم رد اعتبارهم وتكريمهم . فهناك من مشاهير الصينيين من كرمتهم الحكومة الشيوعية الثورية ثم عادت وحطمتهم ، وهناك الكثير من المفكرين والعلماء الذين تعرضوا لحملات التشهير مراراً في الفترة التي تلت سنة 1952 ، ثم احتلوا مكانة رفيعة في النظام فيما بعد .

منذ يناير 1964 التفت ماو إلى الشباب وضرورة اعدادهم للمهمة القادمة ، وبدأ بتنظيم الخلايا الثورية سراً في رابطة الشباب ذاتها . وفي يونيو 1964 حذر بل أنذر المثقفين بأنهم يتزلقون إلى حافة الانحراف التام عن الاشتراكية . وفي ديسمبر من السنة ذاتها ألقى تشوان لاي ، رئيس الوزراء ، تقريراً استخدم فيه لأول مرة عبارة ((الثورة الثقافية)) وأشار إلى ضرورة إحداث تحول أساسي في المجتمع . وفي اجتماع عقدته لجنة الحزب الشيوعي المركزية في سبتمبر 1965 أعطى ماو إشارة بداية الهجوم على ما أسماه بـ " الأيديولوجية البورجوازية الرجعية " . وهذا يعنى أن تجاوز آراء ماو في أوائل الستينات وقد استمر لفترة مؤقتة . وقبل أن تفتح المدارس والجامعات أبوابها بعد عطلة صيف سنة 1965 استطاع ماو أن يعبئ تأييداً كافياً لفكرته المتطرفة وهي إيقاف الدراسة لفترة من أجل إعادة تشكيل المدارس وإعادة صياغة المناهج . وكان ماو يرى ضرورة قضاء وقت أقل في المدارس والجامعات ، وضرورة ربط التعليم بالعمل الإنتاجي وأن ينتقل الإشراف على

المدارس من أصحاب المهن التعليمية المشكوك في أمرهم إلى أيدي العمال والفلاحين ، أى يجب عدم السماح باستمرار سيطرة المفكرين البورجوازيين على التعليم وينبغي على الطلاب بالإضافة إلى الدراسة أن يتعلموا أشياء أخرى مثل الأمور العسكرية والأعمال الصناعية والحرف والزراعة، وعليهم أيضا أن يتعلموا انتقاد البورجوازية. ويتمثل الهدف التربوي عند ماو في تكوين مجتمع لاطبقى يتم فيه توجيه الأفراد نحو مصلحة الجماعة وتحت شعار "أخدم الناس" أو "أخدم الشعب". ويمكن إيجاز استراتيجية ماو التربوية على النحو الآتي:

- 1- إعادة تربية المدرسين والمتقنين.
 - 2- إتاحة فرص متساوية للالتحاق بالتعليم.
 - 3- ضمان توجيه خبراء المستقبل نحو الصالح الجماعي.
 - 4- إعادة صياغة المناهج وتعديلها.
 - 5- الاتجاه نحو لامركزية إدارة التعليم وإلغاء الوزارات المركزية للتعليم العام والعالي.
 - 6- وضع المدارس الابتدائية الريفية تحت إدارة فريق منتج بمعنى الاعتماد على الذات.
 - 7- تقليص مهنة التدريس والدور الأكاديمي في قيادة المدارس والجماعات وإدارتها وتغيير القيادات التقليدية في المؤسسات التعليمية (3).
- ومنذ سنة 1965 قرر ماو ضرورة إرجاع الصين إلى عهد تسوده البساطة والخشونة والغليان الثوري الذي تميزت به بداية الثورة. وكانت الظروف الخارجية المتمثلة في تدهور العلاقات مع الاتحاد السوفييتي يومئذ، واحتمالات الحرب مع الولايات المتحدة في فيتنام، وحوادث الحدود بين الصين والهند، وما ترتب على ذلك من تيارات واتجاهات صينية معارضة لسياسة ماو الخارجية والاقتصادية، وظهور فجوة بين المثقفين وسياسات الحزب، هذه التطورات كلها كانت من بين الأسباب التي دفعت ماو إلى التفكير في التخطيط لعمل جديد يتغلب فيه أو به على قوى المعارضة. وقد وجد ماو في الثورة الثقافية المجال، وفي طلاب الجامعات الأداة ولا مفر من أن تؤثر الثورة الثقافية على أولئك الذين تؤثر أفكارهم في عقول الشعب، وبالتالي تركز الهجوم على مؤلفي المسرح والسينما والشعراء والروائيين والمؤرخين ورؤساء تحرير الصحف والمجلات والمعلمين وأساتذة الجامعات ، وفي كلمات شاملة كل المشتغلين في مجال الثقافة والفكر، وخاصة الأساتذة الذين يمجدون التعليم والتثقيف الأكاديمي، ولا يكثرثون كثيرا بمبادئ الثورة وأهدافها الثورية. والهدف يكمن في بناء نوع جديد من الناس بعقلية جديدة ، وأنماط جديدة. وقرر الزعيم ماو أن يتحقق ذلك على ثلاثة مستويات وهى على النحو الآتي:
- أولاً: إعادة صياغة أفكار الجماهير، وما التعليم الأكاديمي سواء جانب ثانوي في التعليم العام

3 جوف فاي فليد " تطور السياسة التربوية في الصين الحديثة " ترجمة كمال توفيق الهلباوي مجاله رسالة الخليج العربي 16:8 (1985) 375 - 378 .

وتكمن أهم أهداف التنقيف الشيوعي في تعليم الشعب حب الحياة الاجتماعية، وأن يعمل من أجل المصلحة العامة للوطن، ويتقبل التضحية بالمصالح الذاتية في سبيل نجاح الثورة في المدى البعيد (٧).

ثانياً: توجيه الجهود التعليمية نحو رفع مستوى شباب الأمة الصينية.
ثالثاً: معالجة أمراض المثقفين وبخاصة كراهة المثقف للشيوعية وسلوكه البورجوازي المنحرف.

وفي منشور صدر في 16 مايو سنة 1966 حذرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي من أن هناك قضايا غير الشؤون الثقافية تتطلب قيادة الأمة، وأعلنت البداية الرسمية للثورة الثقافية : ((لقد بدأ النضال الوطني ويجب أن تنصب الجهود لتصفية ممثلي البورجوازية الذين تسلوا إلى الحزب والحكومة والجيش وجميع مجالات الثقافة)) وتم اختيار ثلاث قواعد للثورة الثقافية وهي صحيفة العلم الأحمر وصحيفة جيش التحرير اليومية ومنظمة الحزب في شنغهاي. وبلغت الثورة الثقافية ذروتها عندما هاجم طلاب جامعة بكين المسؤولين واتهمهم بمحاولة الحد من النقد حفاظاً على النظام العام. وبدأت هذه المرحلة بنشر بيان علق على حائط بالجامعة شجب رئيس الجامعة والأمين الأول والثاني للحزب بالجامعة، وأعقب ذلك حملات نقد واسعة ضد المسؤولين عن التعليم العالي. ثم سرعان ما امتدت حملة النقد إلى كبار الموظفين في المدارس والجامعات، ثم إلى المعلمين وأساتذة الجامعات. وترتب على ذلك أن عشرات من عمداء الكليات الجامعية والأساتذة فقدوا وظائفهم ومراكزهم العلمية. وكان على كثير من المعلمين أن يكظموا غيظهم في انتظار الفرصة المناسبة لردة الفعل ، ولكن تلك الفرصة لم تأت إلا بعد موت ماو في خريف سنة 1976 ونهاية الثورة الثقافية.

3- الحرس الأحمر ودوره في الثورة الثقافية.

منذ سنة 1935 كان الحزب قاعدة سلطة ماو الوحيدة ومصدر السلطة ، ولكن بعد الثورة تبين لماو عدم استطاعته الاعتماد على الحزب اعتماداً تاماً، كما كان الحال في الماضي، في تنفيذ برامجه الفكرية الثورية. فقد اعتقد ماو أن منظمات الحزب غدت غير فعالة بدرجة كافية بسبب تأثير بعض المعارضين مثل ليوتشاوتشي (5). وكان من الضروري أن يتجه ماو نحو الشباب، ومن خلالهم وبهم نجح في تأسيس منظمة الحرس الأحمر التي حصلت على الشرعية بوصفها منظمة ثورية من اللجنة المركزية للحزب في أغسطس 1966.

4 - جون فاي فليد ، المرجع السابق ، 378 .

5 - ليوتشاوتشي (1898 - 1969) كان احد ابرز أعضاء الحزب الشيوعي الصيني وطوال خمس وعشرين سنة كان يعتبر خليفة ماو . وفي سنة 1968 ابعد عن جميع مناصب الحكومة والحزب .

تشكلت أولى وحدات الحرس الأحمر فى سنة 1927 فى مقاطعة ينان الشرقية. أما مصطلح الحرس الأحمر فقد ظهر لأول مرة فى سنة 1960. وفى مايو 1966 تم تنظيم أول وحدات الحرس الأحمر بشكله الجديد، وكما أراد ماو، فى جامعة بكين، ثم انتشرت حركة تكوين الوحدات فى جميع أنحاء الجمهورية . وهكذا ظهرت قاعدة جديدة للسلطة يشن ماو من خلالها ثورة عارمة جديدة مليئة بالحيوية والنشاط والحماس الثوري. وقد أراد ماو تدعيم مركزه وزعامته من خلال الحرس الأحمر الذى أصبح الآن الجهاز الثوري الجديد . وفى 8 أغسطس 1966 عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اجتماعا وأصدرت بيانا تضمن النقاط الآتية: أولا: استرداد الزعامة من أولئك القابعين داخل مكاتب الحزب ويمارسون سلطاتهم على البلاد بالرغم من انتهاجهم النهج الرأسمالي.

ثانيا: إيجاد جهاز جديد دائم فى شكل جماعات ولجان ومؤتمرات ثقافية ثورية فى كل مناحى الحياة المهنية تتولى تنفيذ فكرة الثورة الثقافية .

ثالثا : إن الثورة الثقافية ثورة عظيمة تمس أعماق ما فى ذات الإنسان وتمثل مرحلة جديدة أشد عمقا وأشد تحولا فى الثورة الاشتراكية فى الصين.

رابعا: حددُ البيان أهداف الثورة الثقافية فى سحق البورجوازية والرجعية، وإصلاح التربية والأدب والفن.

وفى 1966/8/18 عقد الحرس الأحمر أولى اجتماعاته بميدان السلام السماوي فى بكين، وحضر هذا الاجتماع ماو ولين بياو، وأصبح ماو نفسه رئيسا لمنظمة الحرس الأحمر التى كانت تتكون من طلاب تتراوح أعمارهم بين 15 و 25 سنة شريطة أن يكونوا من أبناء العمال والفلاحين والجنود ومن أبناء شهداء الثورة وتولى الجيش مهمة تنظيم هذه الجماعات من شباب الحرس الأحمر وتزويدها بالملابس الرسمية (البدلة الزرقاء) والشعارات، وخصصت لهم مراكز تدريب ونظموا على نمط فرق عسكرية لها شرطتها الخاصة. وأصبح شعار الحرس الأحمر : " تعلموا كيفية إشعال الثورات بإشعالها" كما رفع شعار تهديم الباليات الأربع وهى : التقاليد القديمة ، والعادات القديمة، والأفكار القديمة والثقافة القديمة، وأن يحل محلها فكر ماو. ولكن هذا لايعنى هدم كل ما هو قديم ولايعنى بالضرورة إلغاء التراث الصيني الفكري والعلمي. فالمقصود بالشعارات السابقة هو هدم كل ما لا يتفق مع الفكر الاشتراكي الذى رآه ماو. أما التراث فيؤخذ منه ما هو نافع ويترك ما هو ضار. ومع ذلك فإن الثورة الثقافية قد ترتب عليها تحطيم الكثير من الأعمال الفنية القديمة فى المتاحف وحتى فى البيوت الخاصة.

وتنفذا للثورة الثقافية بدأ شباب الحرس الأحمر فى اجتياح المدن والقرى حاملين دمي تمثل خصوم ماو وتهتف ضدهم تكتسح بيوتهم، وتوجه إليهم الألفاظ البذيئة النابية. واستخدام الحرس الأحمر أكثر من أسلوب لشرح فكر ماو، (واتخذ من الحزب والجامعة والمصنع والمزرعة ميادين يمارس فيها نشاطه على هيئة حلقات دراسية لفكر ماو) وقراءات للكتاب

الأحمر الذى يحتوى على مقتطفات من أقوال الزعيم ماو، ومسيرات تطوف الشوارع، وتعليق اللافتات، والتنقل بالقطارات مجاناً من مدينة إلى أخرى لنقل التجارب الثورية والهجوم على المعارضين علناً وتنظيم محاكمات لهم وممارسة النقد والنقد الذاتى فى جلسات علنية (6). وهكذا تدفق شباب الحرس الأحمر على الدولة يهتفون بسقوط كبار قادة الحزب، ويرفعون شعارات متطرفة. ومن ناحية أخرى ازداد تأثير حركة الحرس الأحمر فى المدارس تدريجياً فى كل أنحاء البلاد. وفى كل يوم كان يتم تجميع الطلاب ويحاضر فيهم قادتهم عن مدى اعتماد ماو عليهم لإنقاذ الثورة.

ومن أجل أن يظهر الحرس الأحمر ولاءه لماو قام فى الفترة ما بين 8/18 و 11/26/1966 بثمان مظاهرات عارمة فى بكين اشترك فيها ملايين الشباب بهدف لقاء ماو، وقد يتحدث إليهم أولاً يتحدث فى أكبر ميادين العاصمة اتساعاً. ويبدو أن الحماس قد سيطر عليهم ولم يعد فى ذهنهم غير ماو وما قاله فى كتابه الأحمر. وفى هذا الصدد يورد ألبرتومورافيا فى كتابه: ثورة ماو الثقافية، حواراً أجراه هو شخصياً مع بعض شباب الأحمر، ظهر فيه أن الشباب يرون أن الثورة ثورتهم: وأنهم مع ماو ضد الجميع، وأنهم يقرأون ماو وليس ماركس، وأن إقبال الجامعات تم لإتاحة الفرصة لعقد الاجتماعات ولزيارة الزعيم ماو ولقائه ولإعادة تنظيم مناهج الدراسة (7). ومن خلال الآراء التى أبدتها الطلاب، فإن المرء لا يتوقع أن تكون إجاباتهم بعيدة عما أدلوا به، وهو أمر يتفق تماماً مع ما أراده ماو منهم. والواقع أن ماو قد حقق نجاحاً باهراً فى هذا الخصوص، وأصبحت سيطرته عليهم عارمة، كما أصبحوا أداة طيعة فى يده يوجههم حيث يريد (8). وكان الطلاب يرون أن فكرة الحرس من الشعب وليس من الحزب، وأن هدفهم يكمن فى حماية الزعيم ماو ضد حفنة سلكت السبيل الرأسمالى واتخذت طريق المعارضة لماو. (كما أعلنوا أنهم يطيعون ماو وليس الحزب، وأن ليوتشاوتشى يسير فى طريق الضلال) (9). ومن طريق هذه الملايين من التلاميذ والطلاب الذين جندهم، وجعلهم يعبدونه ويقدمونه تمكن ماو من القضاء على خصومه.

وقد أدت الحملات السياسية المكثفة الموجهة لتصحيح الفكر إلى إثارة الرعب والفوضى فى البلاد ووضعت الثورة الثقافية، فيما بعد، بأنها كانت كارثة كبرى وفوضى عارمة استمرت لمدة عشر سنوات ولكن الكثير من الكتاب الغربيين قد وقعوا فى خطأ فادح عندما وصفوا الحرس الأحمر بأنه مجموعة من المعربدين والمشايخين غدوا يسيطرون على شوارع المدن.

6 - عبدا لرحيم أحمد حسين " الثورة الثقافية فى تاريخ الصين " مجلة عالم الفكر 1:19 (1988) 127 -

128 ، فؤاد محمد شبل حكمة الصين جـ 2 (القاهرة : دار المعارف 1968) 369 - 372 .

7 - ألبرتو مورافيا ثورة ماو الثقافية ترجمة وحيد نقاش (بيروت دار الأدب ، 1968) .

8 - ع . أ . حسين " الثورة الثقافية فى تاريخ الصين " 128 .

9 - حسن صعب ثورة الطلاب فى العالم (بيروت : دار العلم للملايين 1968) 92 .

فالحرس الأحمر فى الحقيقة، كان تجسيدا لسلطة ماو يستخدمه لترويع خصومه ومعارضيه، وكان أداة سياسية فعالة تستخدمها عبقرية أوتيت درجة كبيرة من قوة التصور والإبداع، فضلا عن كونه مدبرا فذا لاستثارة الحمية والثورة بين الشباب الذين لم يجابهوا أحداث الثورة مثلما جابهها ماو ورفاقه.

واستعدادا وتعميقا للصراع ضد خصومه ابتكر ماو تدبيرا جديدا. فقد سرت فكرة دراسة آرائه فى صفوف الجنود وجميع المواطنين ، وأصبح كل فرد يحمل كتابا يحتوى على آراء واستشهادات من أقوال ماو. وفى كل أنحاء الصين كان الناس يقرأون الكتاب الأحمر فقد كان يقرأه ركاب السيارات العامة والحافلات والقطارات، والعمال فى المصانع والفلاحون فى الحقول والمزارع، وكان يُقرأ حتى فى أثناء تناول الوجبات الغذائية. وقد استنتج بعض الباحثين المتخصصين فى الشؤون الصينية من هذا الإجراء وغيره أن ماو كان مصابا بمرض جنون العظمة وجنون الاضطهاد أى جنون الارتياب وهى نزعة عند الأفراد والجماعات تجعلهم شديدي الشك والارتياب فى الآخرين. ومع ذلك فقد برهن ماو على أنه كان عبقرى استطاع أن يوجد جَوا لا يجرا أحد فى غماره على معارضة آرائه أو مناقشتها ومهما كانت شدة إجراءات التطهير وقسوة الأساليب التى اتبعها الحرس الأحمر ، فلم تسفك دماء ولم تجر مذابح.

استخدام ماو ضد خصومه الأساليب النفسية من خلال تدمير روحهم المعنوية، فيعجزون عن رفع أصواتهم ضده. ومثال ذلك إغراء أبنائهم بالتمرد عليهم لمخالفتهم آراءه. وقد تطور هذا الصراع أثناء هذه الفترة فى المدارس والجامعات بين مختلف فئات الحرس الأحمر. وأصبحت كل فئة من فئات الحرس الأحمر المتنافسة تصرّ على أنها تمثل الروح الحقيقية للماوية مما أدى إلى تدهور دور طلاب المدارس الثانوية والعليا الذين كانوا يشكلون غالبية أعضاء الحرس الأحمر. وبالتالي أتيحت الفرصة لطلاب الجامعات ليقوموا بدور أكبر فى الثورة الثقافية ، كما تحولت أيضا القيادة من الحرس الأحمر إلى المتمردين الثوار الذين فكروا الآن فى إقامة تحالف مع الفلاحين ، والعمال إلا أنهم اخفقوا فى تحقيق ذلك بسبب سلوك الحرس الأحمر السابق. وفى هذا الوقت اتجه ماو إلى الجيش الذى تحول إلى منظمة سياسية فعالة.

أما حركة التطهير فقد تناولت أمين الحزب ورؤساء تحرير الصحف والكتاب والقائمين على شؤون الدعاية، ومديري الإذاعات والمعلمين وأساتذة الجامعات ، إلا أنها لم تشمل ضابطا واحدا من ضابط الجيش أو مدير مصنع من المصانع. وفى الحقل الاقتصادى بالذات حاولت القيادة توفير الاستقرار فى الحياة الاقتصادية، وكان هناك حرص على عدم المساس بالإنتاج، فقد أعلن تشو إن - لاي رئيس الوزراء، أن الإنتاج مقدس، وأمر أفراد الحرس الأحمر بالابتعاد التام عن المزارع والمصانع ، كما طلب من الفلاحين والعمال عدم المشاركة

فى اجتماعات الحرس الأحمر؁ وأرسلت الحكومة فرقا من الحرس الأحمر لمساعدة الفلاحين فى حصد المحصول الزراعى. كما شكل الحزب والجيش لجانا لمراقبة أفراد الحرس الأحمر ومنعه عن الاندفاع فى الطرق والمسالك التى تضر القضايا الوطنية. وفى هذه الفترة كانت الدراسة لاتزال متوقفة فى المدارس والجامعات وأعطى الطلاب الأجانب إجازة علم. أما الجيش فكانت الروح الثورية تسوده بعد تصفية المنشقين فى سنة 1959 وبعد إجراء حركة تطهير شاملة فى سنة 1965؁ كما تم تعيين ضباط سياسيين كانت لهم الكلمة العليا فى شؤون الجيش بأسره؁ وعليه صار الجيش منظمة سياسية فعالة كما سبق القول؁ بالرغم من أنها لم تصل إلى مستوى الحزب.

وفى ربيع 1967 غدت الصين فى حالة فوضى بسبب نشاطات الحرس الأحمر والمتمردين الثوريين؁ وفقد النظام سيطرته ولكن ماو لم يتعاطف مع هذا التطرف؁ فقد كان يؤمن؁ لاريب؁ بالثورة إلا أنه؁ فى الوقت ذاته؁ كان يطالب بالانضباط والقيادة السليمة. وفى هذا الوقت كان على ماو أن يبحث عن وسائل جديدة لتحقيق ما يريد فاتجه إلى جيش التحرير الشعبى؁ فهو سلطة ملتزمة بالثورة لا تتساق وراء السلوك غير المنظم وغير المنضبط. وهكذا أعيد تنظيم مجموعة الثورة الثقافية فى الجيش وأصبحت تشيانج تشينج؁ زوجة ماو؁ مستشارة لها. ومن خلال التسلسل المنطقى للأحداث يبدو أن ماو قد وقع تحت سيطرة زوجته وتأثيرها؁ الممثلة القديمة التى قامت بدور مهم فى الثورة الثقافية منذ محاولاتها الأولى فى الهيمنة على مسرح بكين.

4- اللجان الثورية:

بعد أن جرب استخدام الحرس الأحمر فى تنفيذ مناجه الفكرى غير ماو رأيه وفكر فى إنشاء جهاز جديد دائم فى شكل جماعات ولجان ومؤتمرات ثقافية ثورية فى جميع أنحاء البلاد لتتولى تنفيذ فكرة الثورة الثقافية. وقد كان واضحا تماما أن الطلاب كانوا يرون فى شخص ماو بديلا عن الحزب؁ وأن أفكاره هى الموجه لهم. ومن أجل أداء الهدف المنشود بكفاءة تم تشكيل لجان ثورية من بينهم تقوم بعمل اللجان الحزبية فى الوقت السابق للثورة الثقافية. وسرعان ما أصبحت اللجان الثورية هى الأداة التنفيذية والتنظيمية لتنفيذ سياسة الثورة الثقافية وبرنامجها فى دحض المعارضين والبورجوازيين والبيروقراطيين. وقد استمر إنشاء اللجان الثورية ببطء بسبب صعوبة تحديد من يمثل المتمردين الثوار والكوادر الثورية. ولكن لم يأت شهر سبتمبر 1967 حتى كانت هناك لجان ثورية فى ستة أقاليم فى حين كان الجيش يحكم بشكل مباشر فى 22 إقليما. وفيما بعد؁ عندما أنشئت اللجان الثورية فى هذه الأقاليم كانت تخضع بصورة مباشرة لسيطرة الجيش. ومن ناحية أخرى لم يبلغ ماو المؤسسات الحزبية العليا مثل المكتب السياسى؁ واللجنة المركزية للحزب؁ واللجنة السياسية التابعة للجنة المركزية وهى أعلى المؤسسات التنفيذية الحزبية؁ بالرغم من أن هذه المؤسسات لم تمارس

أعمالها وفق التنظيم الحزبي.

وأثناء الثورة الثقافية تعرض كثير من أعضاء المؤسسات الحزبية ، كان من بينهم ليوتشاوتشي⁽¹⁰⁾ رئيس الدولة، الذي أطيح به للنقد، وقد سبقت الإشارة إلى أن الحرس الأحمر قد اندفع بلا حدود في مهاجمة أى شخص باستثناء الرئيس ماو. وفي فترة من الفترات تمتع الحرس الأحمر بنوع من الحصانة، ومنعت أى سلطة من التدخل في نشاطه. وأعلن ماو " أن التمرد حق " وكان ماو يرى أن الاضطرابات ستؤدي إلى الفوضى ، إلا أنها ستحمس الجماهير وهو ما كان يريده⁽¹¹⁾. ويبدو أن الأمور قد خرجت عن نطاق السيطرة في حالات كثيرة ، ووقعت تصادمات بين الحرس الأحمر ومجموعات في المصانع والريف مما اضطر ماو إلى استخدام الجيش في إعادة السيطرة وفرض النظام، وأيضاً إعادة الطلاب إلى مدارسهم وجامعاتهم. وظهر في هذه الفترة تلاحم الطلاب مع الجيش والكوادر الحزبية الملتزمة بخط ماو، وفي حالات كثر تطاول الحرس الأحمر على كثير من المؤسسات العلمية والشخصيات الفنية والأدبية. ولكن ماو منع الطلاب من التعرض لعلماء الذرة مهما كانت هويتهم⁽¹²⁾. ففي ذروة الثورة الثقافية جرى تفجير القنبلة الهيدروجينية الصينية في سنة 1967، وقبل ذلك فجرت الصين القنبلة الذرية في 16/10/1964 وقد تعزز موقف ماو بعد تفجير القنبلة الذرية بجهد صيني ، مما جعله يدحض آراء القائلين بضرورة الاعتماد على الاتحاد السوفيتي آنذاك . كما يشير ذلك إلى صحة نظرية ماو في أهمية اعتماد الصين على نفسها أولاً في بناء قوتها وحضارتها . وهكذا برهن ماو على أنه كان واعياً لما يفعل وأن الثورة يجب أن لا تخرج عن الحدود المرسومة ، وأن المصلحة العليا للوطن ، حتى لو ارتبطت ، أحياناً ، بوجود البورجوازيين ، يجب أن لا تمس . والحق أن ماو هو الذي وضع الصين على خريطة العالم كدولة عظمى نووياً .

ومع ذلك فقد بلغت المعارضة ذروتها للثورة الثقافية حينما وصلت الأمور إلى الصدامات المسلحة بين مؤيديها ومنتقديها في ينان . ولكن هنا ومرة أخرى أثبت ماو وعيه عندما تدخل مباشرة ونجح في تهدئة الأمور وإعادتها إلى نصابها وجنب بلاده خطر اندلاع حرب أهلية . وفي أكتوبر 1968 أعلن ماو إنهاء عهد الفوضى الثورية ، كما أعلن في الوقت ذاته أن ثورته هذه لن تكون الأولى ولا الأخيرة محذراً كل من يحاول التطاول عليه أو على أفكاره الاشتراكية . وهكذا نجح ماو في تهدئة الأمور وإنهاء الفوضى التي قام بها الحرس الأحمر

10 - في سنة 1966 حل لين بياو محل ليوتشاوتشي وفي سنة 1968 طرد ليوتشاوتشي رسمياً من جميع مناصب الحكومة والحزب .

11 - ع . أ . حسين " الثورة الثقافية في تاريخ الصين " 128 .

12 - حسن صعب ثورة الطلاب في العالم ، 127 ، ميلاد أ . المقرحي موجز تاريخ أسيا الحديث والمعاصر (

فالبينا : منشورات دار ELGA 1999) 53 - 57 .

واللجان الثورية إلا أنه لم يعلن إنهاء الثورة الثقافية . وفي 24 / 4 / 1969 عقد مؤتمر الحزب التاسع وفيه تم انتخاب ماو قائداً ولين بياو الرجل الثاني بعده . وأظهر المؤتمر ولاءً مطلقاً لماو ومنحه سلطاته كاملة وفق الدستور الذي صدر في تلك السنة . وبذلك أضيف الحزب صفة الشرعية على كل الممارسات السابقة . وتعد الفترة من مايو 1966 إلى أبريل 1969 المرحلة الأولى من مراحل الثورة الثقافية في تاريخ الصين الحديث .

ومن الناحية النظرية يفترض أنه بعد أن أعاد ماو ترسيخ زعامته وسلطته وإقصاء معارضة السياسيين ومنتقديه ومن المثقفين ، وأخذ الشرعية لتصرفاته من مؤتمر الحزب — يفترض أن يعود الهدوء إلى البلاد ، وتركز الدولة على البناء الاقتصادي ، ولكن الأمور لم تستمر وفق هذا التوقع . فقد اتضح أن محاولات التطور للفكر الاشتراكي الصيني التي بدأها ماو لم تنته بعد . ومما زاد الأمور تعقيداً ظهور خلافات بين العناصر الجديدة التي تسلمت السلطة . وبدأ لين بياو ، الرجل الثاني في الدولة ، في التآمر ضد ماو ، ووصل الأمر إلى حد اتهامه بمحاولة تدبير انقلاب عسكري ضد ماو في سنة 1970 — 1971 . ولكن المحاولة أخفقت وانتهى مصيره بين إشاعات القتل أو الانتحار ، ومات في حادث طائرة في منغوليا في سبتمبر 1971 في محاولة هروب مزعومة إلى روسيا . وترك لين بياو مكانه لتشو إن لاي ليشرف على الأعمال اليومية للجنة المركزية للحزب التي تدير شؤون الدولة . واستطاع تشو إن لاي أن ينجو من أثر التطاول والنقد أثناء الثورة الثقافية ، واستطاع أيضاً أن لا يكون محسوباً على أي فئة متنازعة . وقد حاول تشو إن لاي أن يقترح على ماو القيام بنقد الأيديولوجية اليسارية المتطرفة ، ولكن ماو رفض هذا الاقتراح ورأى ضرورة أن تستمر الثورة في معارضة اليمين المتطرف . وربما كان قصد ماو في هذه المرحلة هو الجماعة المهمة بتوجهاتها نحو الولايات المتحدة الأمريكية علناً وهي مجموعة زهاو آن لي .

ولجأ ماو إلى المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الصيني سنة 1974 الذي أيد قرارات المؤتمر التاسع سنة 1969 المؤيدة للثورة الثقافية . وبعد هذا المؤتمر ظهرت قيادات جديدة في أعلى سلطة سياسية في البلاد وهي المكتب السياسي التابع للجنة المركزية للحزب . واستطاعت مجموعة ما عرف بعصابة الأربعة⁽¹³⁾ أن تصل إلى المكتب السياسي المكون من عشرين شخصاً فضلاً عن ستة أعضاء تنتخبهم اللجنة المركزية للحزب . ومع ظهور عصابة الأربعة وإبعاد لين بياو وزهاو آن لي بدأ ما يمكن أن نسميه بالفترة الثالثة من الثورة الثقافية التي أرادها ماو ضد اليمين المتطرف ، والتي تواصلت حتى موته في سبتمبر 1976 تمادت عصابة الأربعة في عمليات الدحض فضلاً عن التحقيق والتصفية اللذين لحقا بكل من أتهم بعلاقة مع لين بياو . كما وجهت اتهامها إلى رئيس الوزراء السيد تشو إن لاي ، وهو أمر رأي فيه ماو محاولة لاغتصاب سلطة رئيس الوزراء ووجه إليهم نقداً قاسياً .

وبالرغم من أن العصابة قد أخفقت في الإساءة إلى تشو إن - لاي ، فإن المرض قد أقعده وتخلّى عن منصبه سنة 1975 ، وحلّ محله تينج هسياو بينج Teng Hsia - ping الذي تحمل مسؤولية الإشراف على الأعمال اليومية للجنة المركزية للحزب . وإذا كانت بعض الممارسات الخاطئة التي صاحبت الثورة الثقافية في بداياتها الأولى تبرر بأنها كانت ضرورية لحماسة الجماهير ، فإن الممارسات التي بدأت تقوم بها عصابة الأربعة لم يعد لها مبرر ، وكانت تتسم بالمصالح الشخصية والمواقف الانتهازية .

وقد تزعم تنج هسياو بينج الاتجاه الذي يدعو إلى إصلاح الأخطاء الماضية ، وعقدت عدة اجتماعات مهمة مدنية وعسكرية لحل المشكلات التي ظهرت في مختلف مناحي الحياة ، خاصة المشاكل الزراعية والصناعية . وكان تفكيره ينبع من الواقع الذي كانت البلاد تعيشه . ويبدو أنه لم يكن مقتنعا بما كانت عصابة الأربعة تطرحه بخصوص وجود يمين متطرف في البلاد . وفي هذا الوقت (1974) كان ماو نفسه يتطلع إلى استقرار الدولة بعد ثماني سنوات من الثورة . ولكن عصابة الأربعة لم تفضل ذلك ، واستطاعت أن تؤثر على ماو ودفعته إلى دحض تنج هسياو بينج ⁽¹⁴⁾ على أساس أنه كان تحريفاً يمينياً . وترتب على ذلك نهاية فترة الاستقرار النسبي في الصين وإعادتها إلى الفوضى من جديد وغدت عصابة الأربعة هي المحركة للأحداث وليس ماو - كما أصبح الجيش بعيداً عن الخلافات ، في حين انزوت الصحافة وطلاب الجامعات أيضاً .

5 - نهاية الثورة الثقافية

في يناير 1976 مات تشو إن - لاي وتبع وفاته حادث عرف باسم حادث ميدان السلام السماوي عندما عارضت عصابة الأربعة الحداد على رئيس الوزراء الراحل ووافقت على ذلك أغلب قيادات الحزب وقمعت المظاهرات الضخمة التي تجمعت لهذا الغرض بالعنف . وأدى ذلك إلى وضع العصابة في مواجهة نقمة الجماهير التي كانت تكن كل الاحترام لرئيس الوزراء الراحل ، وفي مواجهة كثير من الحزبيين الذين تعاطفوا معه . ويعد هذا الحادث نقطة تحول في تاريخ الصين المعاصر ، حيث إنه كان بداية النهاية لعصابة الأربعة . فبعد أن تدهورت صحة ماو ومات في 9 / 9 / 1976 ، حاولت العصابة أن تتسلم السلطة ، ولكن المكتب السياسي للجنة المركزية كان لها بالمرصاد ، وقام هوا كو - فينج Hua Kua Feng - بدور أساسي في هذا الصدد . وقدمت عصابة الأربعة ومعها مؤيدوها إلى المحاكمة ، ولم يشفع لها تأييد ماو قبل وفاته . وبذلك انتهت الثورة الثقافية التي دامت نحو عشر سنوات ، وبدأت القيادة الجماعية الرباعية تمارس مهامها . ⁽¹⁵⁾

14 - تحت تأثير عصابة الأربعة ابعد تينج هسياو بينج عن منصبه بلمر من ملو .

15 - خيرى عزيز " ملوتسى تونج ومسيرة الثورة الصينية " مجلة الطلبة 12:10 (أكتوبر ، 1976) 149

وبعد موت ماو كان لابد من تعديل الاتجاه ، وأصبح هوا كو - فينج نائب الرئيس الأول للجنة المركزية للحزب ورئيساً لمجلس الوزراء في وقت واحد . وركز المؤتمر الحادي عشر للحزب سنة 1977 في مناقشاته على الاستقرار والوحدة في البلاد . ويعد ذلك إشارة ضمنية تعني أن الصين قد تعرضت للفوضى وخطر التفكك أثناء الثورة الثقافية . وبسبب التغيرات في الزعامة بعد سنة 1976 حدث تحول كبير عن القيم ومن ثمة عن سياسات الثورة الثقافية ، وظهر شجب عميق للفترة 1965 - 1976 . وتشير الانتقادات الرسمية الحالية إلى التخطيط الذي منيت به الأمة بسبب نتائج الثورة الثقافية التي أدت إلى عداوة واسعة النطاق للثقافة والمتقنين . وبعد سنة 1976 تم التعبير عن الصفة الجديدة المتميزة لما بعد الثورة الثقافية في التعليم في سنة 1977 من طريق ظهور ملصقات تحمل شعار " احترام المعلم " في المدارس والأماكن العامة ، كما استعاد مكتب التعليم سلطاته خاصة (فيما يتعلق بتعيين المعلمين ، وحلت اللجان الثورية ، وأعيدت امتحانات القبول بالجامعات) في صيف سنة 1979 وأيضاً الدرجات الأكاديمية في الجامعات . وفي سنة 1978 قررت اللجنة المركزية للحزب بداية ما يعرف بثورة التحديثات الأربعة وهي تحديث الزراعة ، والصناعة ، والعلم والتقنية ، والدفاع ، وهي سياسة انطلقت من قلب القيادة الشيوعية الصينية . (16)

6 - خاتمة

تتميز الثورة الثقافية في الصين باستمرارها فترة طويلة من الزمن وتركيزها على المتقنين والحزب والحكومة الجيش ، كما اتسمت بالمغلاة في تمجيد آراء ماو . وكان فكر الثورة الصينية يهدف إلى الصراع ويدعو إليه : الصراع بين العقيدة والخبرة ، بين أهل الثقة وأهل المعرفة ، بين المثالية والواقعية . وتبلور الهدف من الثورة الثقافية في القضاء على الانحرافات بين المتقنين وخاصة داخل الحزب . وشملت حملة النقد والسياسي رئيس الدولة ليوتشاوتشي ، ووزير الدفاع لين بياو وعضو اللجنة المركزية للحزب تنج هسياو بينج ومحافظ بكين .. الخ . كما اشتمل التطاول ثمانية نواب لرئيس الحكومة وعشرين وزيرا ونائب وزير ، وأغلب هؤلاء ، إن لم يكن كلهم ، إما أعضاء في الحزب الشيوعي الحاكم أو مؤيدين له ، وكانت كتابات ليوتشاوتش تأتي في المرتبة الثانية بعد كتابات ماو نفسه .

وعلى المستوى الثقافي شملت حملة الدحض يوو - هان مؤلف المسرحية التي فجرت الثورة الثقافية ، وماو تون Mao Tun الكاتب الصيني المعروف ومؤلف قصة " منتصف الليل " نموذجاً للأدب الصيني الحديث ، والشاعر أي شنج الذي عانى الكثير ما بين سنة 1957 و 1976 . وأتهمه رئيس معهد الموسيقى في مدينة شنغهاي بأنه يسمع الجمهور سيمفونيات حزينة تبث في نفوس الناس روح القنوط واليأس ، وأعدمت الموسيقى زهانج

زهي شن سنة 1975 . كما تم دحض الكثير من أساتذة الجامعات ، وتشير بعض المصادر إلى إعدام اعداد منهم لا سيما في جامعة بكين التي تعرض فيها من 73 إلى 90 أستاذًا لحملات النقد .

وقد كان الهدف الأساسي من الثورة الثقافية هو مواصلة الثورة في ظل دكتاتورية البروليتاريا . وما هدف إليه ماو من جعل الشباب يأخذون دورهم في الثورة الثقافية ، ولكن أهداف ماو التي تحقق الجزء الأكبر منها مع نهاية سنة 1966 ، لم تستمر أهدافا للثورة . فقد ظهر لين بياو وجماعته ، ثم عصاة الأربعة ومؤيديها ، وانحرفت الثورة عن هدفها المرسوم لها . ولم يعد تثوير الأجيال وتجديد الثورة هدفا بقدر ما أصبح تحقيق الطموحات الشخصية في الاستيلاء على السلطة هو الهدف الأساسي ، وخاصة خلال فترة تدهور صحة ماو . ولم تلجأ مجموعة عصاة الأربعة إلى العنف أو استخدام الجيش في إحداث انقلاب عسكري حفاظاً على وحدة البلاد ، وبقي الجيش بعيداً عن الصراعات الداخلية ، وهو أمر تميزت به الصين منذ سنة 1949 عن غيرها في أغلب بلدان العالم الثالث التي حصلت على استقلالها بعد الحرب العالمية الثانية .

وخلاصة القول لقد كانت أهداف الثورة الثقافية بالنسبة للبعض بمثابة حلم المدينة الفاضلة الذي لا يمكن تحقيقه نظراً لأن تلك الأهداف كانت تحلق في سماء الطبيعة البشرية . وانتقد الكثيرون توقيت الثورة الثقافية على أساس أنه غير مناسب للمرحلة الحالية ، أي في ذلك الوقت من التطور الاشتراكي وأشار آخرون إلى إخفاق زعماء الثورة في إدراك الارتباط بين طبيعة النظم التربوية وما يترتب عليها من فشل في التأثير على التغيرات الأساسية في النظام الاقتصادي والسياسي الضروري لبقاء الابتكارات التعليمية . ومع ذلك فإن الثورة الثقافية قامت بردة فعل متميزة للدفاع عن الهوية الصينية الثقافية والتاريخية لمقاومة التزمت الاستعماري الغربي الذي يريد أن يفرض ثقافته الاستهلاكية وقانون السوق بما فيه من شراهة

لاستغلال العالم بأسره . ويمكن أن نستتبط أن ما حدث كان وراءه حافز سياسي داخل الصين وخارجها ، وخاصة علاقة الصين بالاتحاد السوفييتي آنذاك ، ووجهة نظر ماو حول ما حدث فيه بعد سنة 1956 عندما جرى الحط من قدر ستالين ووضع تاريخه في زاوية الإهمال . ولم تكن الثورة الثقافية حدثاً عارضاً في تاريخ الصين بل كانت مثار جدل ونقد ، واستمر الموقف الحزبي تجاهها في التآرجح حتى سنة 1984 عندما أعلن رسمياً عن رفضها نهائياً .

الإبداع واتجاهات تفسير الفن :

دراسة فى فلسفة الجمال

د : عبد الكريم هلال خالد *

أولاً : إشكالية الإبداع الفنى :

تتميز عملية تفسير الفن ، أو تقييم الإبداع بصعوبة بالغة ، حيث تقوم هذه العملية على عدد هائل من الآراء التى أدلى بها الفلاسفة والمفكرون ، أو الفنانون والأدباء والنقاد على امتداد التاريخ البشرى .

ويشكل القدر الكبير والمتشعب من هذه الآراء الجزء الأول من المشكلة ، فقد عرف عن إدراك الجمال أو شرحه أو التعبير عنه عدم الخضوع لقواعد أو معايير ثابتة .

وتتسع دائرة النسبية والتمايز حول المعيار الذوقى بين الأفراد والجماعات ، فلا يحتم هذا المجال أى اتفاق إلا بالمصادفة أو بالمشاركة فى ظروف معينة .

وعلى أية حال ، فإنه لايفترض ذلك مطلقاً ، حيث كان اتفاق الذوق الجمالي على مستوى المجتمع الواحد ، كما هو بالنسبة للمجتمعات القومية ، خاضعاً لجوانب متعددة سوف نتعرض لها فيما بعد .

وعلى هذا يمكن التسليم بتفاوت الآراء وتعدد حياى الفن انطلاقاً من الفرد المتلقى ، إلى من يمارس عملية الإبداع ، وحتى الذين يفسرونها أو ينتقدونها ، فهؤلاء ينطلقون من معاييرهم ، أو قناعاتهم الخاصة أحياناً ، ومن حصيلتهم الثقافية التى قد تكون متفاوتة فى أحيان أخرى ، وهذه الحصيلة تتبع بالنسبة للإدراك الجمالي من إدراك حسي ، أو نتيجة لتأثر وجداني أو عاطفي فى الغالب .

وهذا الحس الذى تقوم عليه عملية تذوق الأعمال الفنية تجمع الآراء على أنه خصوصي وذاتى على أبعد حد ، إلى جانب كونه صعب التحديد ، ولذلك اختلفت التفسيرات حوله ، فنجد الذى يرجعه إلى البيئة الطبيعية أو إلى القوة الخفية ، كما نجد من يرجعه إلى طفولة الفرد أو شخصيته عموماً ، أو إلى مجتمعه وثقافته ، أو إلى تنشئة الأفراد والظروف التى يتعرض لها كل واحد منهم على حدة ، وكذلك إلى علاقات العمل ، ثم التدريب والتمرس وإلى الصفات البدنية والقدرات الخارقة .. وغيرها .

وكل هذه الآراء وغيرها مما يبدو متعارضاً أو متوافقاً استوعبها الفن ووضعت إطاراً نظرياً له ، بالرغم من أنها لم تكن مغلقة ونهائية ، حيث بدت — على اتساعها — ضئيلة وناقصة ،

* عضو هيئة التدريس بقسم التفسير ، كلية الآداب ، جامعة قاريونس .

إلى جانب قوة الفنى والجمالى ورحابته بما جعل هذا الميدان مهيناً لتقبل المزيد .
القسم الآخر من الصعوبة التى تحيط بعملية الإبداع أو تلقيه يعود إلى مضمون الفن نفسه ،
فهو موضوع شائك ومعقد ، تشترك فى إخراجه عدة مقومات ، حتى إننا لانستطيع — فى
كثير من الأحيان — أن نعرف لماذا يكون هذا الشيء أو العمل جميلاً .
وإذا ما أمكننا ذلك فإن الأمر لا ينطبق على سواه إلا نادراً ، بل لانعرف أحياناً إذا كان حكمنا
يعود إلى تلاءم الشيء مع ذواتنا ، أو إلى عناصره فى حالة كونه منفصلاً عنا .
كما أن علم الجمال قد تعرض فيما مضى لانتماءات وتوجهات أقحمت عليه ، وأثرت فى
مسيرته ، كإدخاله فى خضم الصراعات الأيديولوجية السياسية أو الاقتصادية ، أو إعطائه
أدواراً لا تتناسب مع وظيفته فى تلك الصراعات ، مما أدى إلى اضطراب معايير وانحراف
مساراته .

هذه المفارقات وغيرها تبدو صعوبات حقيقية فى مجال الفن أو الإدراك الجمالى له ، إذ إن
التذوق يكون على مستوى الفرد خاضعاً لعوامل نفسية وفردية ، وعلى مستوى المجتمع
الواحد تشترك عدة عوامل ، وتتشابه فى بلورة الذوق العام لذلك المجتمع .
وهذه العوامل جميعها تتراوح بين التاريخى والثقافى أو العقائدى وغير ذلك من الظروف
التي تصوغ الوحدة الفكرية والروحية ، وعلى مستوى المدارس والانتماءات يحتدم الصراع
حول وضع الكيفية المناسبة للابتكار والتلقى لموضوعات الفن وأشكاله ، كما أن جزءاً من
هذا يتجه نحو إيجاد معيار ثابت تجتمع حوله ، أو تتفق عليه كل الأذواق فى كل مكان .
ومع الجهود المبذولة على كل هذه الأصعدة ، تظل تلك الصعوبات قائمة بمستوياتها
المختلفة بسبب طبيعة التذوق الفنى ومشكلاته التى تقوم وتنمو وفقاً لتطلع مثالى وحر اتسم به
الفن ، وهو السبب نفسه الذى جعل الكتابات الحديثة والمعاصرة تحرص على وضع هذه
الاشكاليات فى مقدمة اهتمامها .

يقول جورج سانتيانا فى ذلك : " هذا الاتساع المثالى للقدرة الإنسانية لا ينزع إذن إلى
إيجاد معيار واحد للجمال ، فمعايير الجمال تظل تعبر عن عادات حسية وخيالية
مختلفة " (1) .

ولا يتوقف ذلك — بطبيعة الحال — عند الفرد أو المجتمع ، بل يشمل جميع الحالات التى
تتطلب أحكاماً حولها ، مما جعل نظرية واحدة ، أو عدداً من النظريات المرحلية عاجزة تماماً
عن إيجاد تفسير كامل لإشكالية التذوق الفنى .

وقد توصل " توماس مونرو " الباحث الكبير فى هذا الميدان إلى النتيجة ذاتها ، حين
صرح بأنه (لا النظرية التطورية ولا نظرية الدور ولا النظرية الماركسية ولا أية نظرية
جمالية أخرى فى التاريخ بكافية لتفسير الحقائق) .

ويؤكد أن الأمر الأكثر معقولة فى هذا الشأن هو معالجة الموضوع " بطريقة تعددية " مع
تشديده على الجوانب البيئية (2) .

1 — ج سانتيانا : الإحساس بالجمال — ترجمة : محمد مصطفى بدوى — المكتبة الأنجلو مصرية — القاهرة ،
(بدون تاريخ) ص 153 .

(2) — توماس مونرو : التطور فى الفنون — ترجمة : عبد العزيز جاويد وآخرون — الهيئة العامة للكتاب —
القاهرة — 1972 — ج 3 — ص 484 .

وقد نشأت هذه الصعوبات النظرية أساساً من الاختلافات فى الذوق بين الناس والشعوب والبيئات ، لكن السبب الرئيسى لها هو هذه العلاقة الغامضة التى تربطنا بالعمل الفنى ، ولا نكاد نحدد ملامحها ، بالرغم من سيطرتها علينا .

ويحصر أ . ف جاريت فى كتابه " فلسفة الجمال " جوهر المشكلة فى الحالة التى تترتب عليها إدراكاتنا الجمالية الكامنة من ميلنا الطبيعى إلى الأشياء : " فحين نعتقد الجمال فى شىء من الأشياء وجب أن نكون على صواب فى هذا رأى " مع أن هذا الميل الطبيعى أو الإحساس يتضمن كذلك افتراضاً بأن يكون خطأ .

ولا يكون الجمال — بناء على ذلك — مجرد موافقة أو استحسان ، لكنه أكثر تعقيداً من هذا الأمر ، وإلى الحد الذى يجعل من المعرفة وتداعى المعلومات والعادات العقلية " عوامل مؤثرة فى الجمال (3) .

إن الصعوبات التى تكتنف الفن ، كعلاقة بين الإدراكات الحسية وموضوعات خارجية ، تشمل أيضاً الكيفية أو المنهجية التى عولجت بها محتوياته ورموزه فى التاريخ ، كما تشمل أيضاً الأحكام المتعلقة بقيمة الأعمال الفنية وسخاء العملية الإبداعية فى كل عصر .

ولا يوجد حول ذلك رأى حاسم ، بل ربما أدى الاتساع فى محيط الخلافات بين المعايير الفنية إلى تعذر البت فى هذا الأمر ، أو فك النزاع حول القضية التى مفادها : " أى من الفنانين هم العظماء وأى الأعمال الفنية هى العظيمة حقاً " بوصفها قضية أولية وأساسية فى الموضوع بأسره (3) .

فالنسبية هى الشىء المميز الوحيد فى الآراء حول الفن دائماً ، لكن هذه النسبية لاتقف عند ذاتها ، وإنما تعنى من جانب آخر ، تفضيل ذوق على ذوق ، وهذا بدوره مثار للجدل الذى أوجد نمطاً من الصراع المألوف بين الأنواق والمدارس الفنية ، ثم أدى إلى اتساع دائرة النقد ، وتضمنها عديداً من المفاهيم المتعارضة ، فأصبح علم الجمال ميداناً للصراعات التى لايمتلك أى طرف منها الأدلة الكافية ، أو كما قيل عنه : " أما الجمال فيبدو من الممكن أن نختم فيه ، ولكن من المستحيل أن نقيم عليه الدليل " (4)

ولانفى هذا وجود الصفة المشتركة لكل الموضوعات الجمالية أو لمفهوم الجمال عموماً ، فى حين أن ذلك يعد إشكالاً جديداً لاتقل صعوبته عما يحيط بهذا الموضوع من صعوبات ، فهذه الصفة (أو السمة المشتركة) تشبه اللون المميز لعدد من الأشياء ، بالرغم من وجوده بمثابة عامل مشترك بينها ، إلا أنه لايمكن تحليله (5) ، وبالإضافة إلى ذلك فإن لفظة (جميل) تستعمل فى الغالب دون تحديد واضح أو بمعان شتى .

ويتضح لنا مدى مجانيتها للصواب عند تفكيرنا فيها ، ومثال ذلك ودعفنا لـ (جرعة ماء) بأنها جميلة حين نعى أنها " روية أو ممتعة " (6) . وينطبق هذا المثل على كثير من

(3) — أ . ف . جاريت — فلسفة الجمال — ترجمة : عبد الحميد يونس وآخرون — دار الفكر العربى — القاهرة — د . ت . ص 80 .

3 — توماس مونرو — التطور فى الفنون — ص 140 .

4 — أ . ف . جاريت — فلسفة الجمال — ص 11 .

(5) — المرجع السابق — ص 14 .

(6) — المرجع السابق — ص 17 .

الاستخدامات لهذه اللفظة فى حياتنا اليومية ، مما أدى إلى تحقيق فاعلية الآراء الشخصية بوصفها إحدى المصادر التى يعتد بها فى إطار الأحكام الذوقية ، على الأقل بالنسبة للمتذوق

الفرد ، أو فيما يتعلق بعمل بذاته ، حيث إن الموقف هنا — وهو وليد اللحظة وفى مواجهة الموضوع مباشرة — لا يقبل المناقشة أو لا يكون مضطراً لها .

ولهذا كله تعددت الأحكام ، وكانت من القوة بحيث ظلت يصادم بعضها بعضاً عبر تاريخ النقد الجمالى ، وتفرض مبرراتها على النقاد والفلاسفة ، حيث أدى بأهم الدراسات النقدية — كالدراسة التى قام بها جيروم ستولنيتز فى النقد الفنى — إلى استخلاص قضية هى أنه : " فى تقدير الفن ، فلا نجد شيئاً سوى الآراء الشخصية ، ولا يمكن تقديم أسباب ، بل لا حاجة إلى تقديم أسباب فرأى كل شخص هو فى حدوده الخاصة ، نهائى ، حاسم " (7)

وحين يختلف اثنان حول حكم معين فلا سبيل إلى تفصيل أى من رأيهما إلا إذا استندنا إلى قيمة عامة مرجعها إلى الموضوع الذى اختلفنا حوله ، فيكون المخطئ هو ذلك الذى يعزو إلى العمل صفة لا يملكها هذا العمل .

ويمكن — وفقاً لهذه القاعدة — أن نحدد الذوق السليم بأنه القدرة التى نتمكن بموجبها من إدراك القيمة الجمالية " عندما تكون موجودة فى موضوع ما " وعلى العكس من ذلك يكون " الذوق الفاسد " سمة لفاقد هذه الامكانية (8)

وحتى هذا المستوى من التحليل لا يخرجنا من دائرة النسبية ، كما هو معروف عن إدراك القيم ، ولا سيما القيم الجمالية .

لكن الباحث هنا ينقلنا إلى نسبية أخرى هى النسبية الموضوعية التى يتلخص موقفها فى النظرية الموضوعية القائمة على " الاعتقاد السائد فى موقفنا الطبيعى ، بأن حكم القيمة يشير إلى الموضوع الذى يحتم — هو أيضاً — أن تكون القيمة نسبية ، وليست مطلقة ، أى أنها ترتبط بالتجربة الإنسانية " وإذن فعلى الرغم من أننا نعزو القيمة إلى العمل فإننا لانستطيع اختيار الحكم عن طريق الاختبار الموضوعى للعمل فحسب . وإذن فالنسبى يهيب بالاستجابة الجمالية " (9)

إن النسبية التى يقوم عليها الحكم الجمالى — فيما يخص القيمة أو الموضوع — تجعل من النقد أمراً ممكنًا خصوصاً فى الاتجاه الذى تخوض فيه هذه الدراسة ، ولكن الحكم الشمولى ، أو الصورة الكمالية لهذا الحكم هدف مستحيل فى حالة تناول الموضوعات الجمالية ، والاتفاق على الموضوع الفنى — حتى فى البيئة الواحدة أو المجتمع الواحد — أمر مؤقت لا يلبث أن يتلاشى بفعل التغير الزمنى أو بفعل الظروف الحياتية .

ولكن علم الجمال — مع كل مآذير — قد وجد بالفعل متمثلاً فى التراث النقدى الكبير ، وفى آراء الفلاسفة ، وبفضل الجهود التى بذلت لتوجيه الدراسات حوله وبلورته ، وتقسيم الاتجاهات والأدوار ، أصبحت له مسارات ومدارس معروفة بغض النظر عن النتائج التى

(7) — جيروم ستولنيتز — النقد الفنى — دراسة جمالية وفلسفية — ترجمة : فؤاد زكريا — الهيئة المصرية العامة للكتاب — القاهرة — 1981 — ص 587 .

(8) — المرجع السابق — ص 591 .

(9) — المرجع السابق — ص 635 .

تصل إليها عمليات التفسير وفقاً لتلك المسارات والمدارس .
ولكنها — مع ذلك — تقوم على تصنيف الحجج والآراء المتوافقة ، والمتباينة ، وتأطيرها بما يعرف في تاريخ الفلسفة أو الفكر بفلسفة الجمال ، أو النقد ، أو فيما يمكن أن نعهده — على سبيل التجاوز — النظرية الجمالية ، بالرغم من تلك النسبية أو الغموض المسيطر على مجمل الفن ، كما أشرنا في الفقرة السابقة ، ويمكننا — بناء على ذلك — التطرق إلى مراحل علم الجمال من خلال الحقب التاريخية للحضارة الإنسانية .

وقد ميز دنيس هويسمان في كتابه " الاستيطيقا " بين ثلاثة أدوار ازدهر فيها علم الجمال ، أولها : " العصر الدجماطيقي " الذي يمثل — من وجهة نظره مرحلة المحاولات الأولى ، ويمتد من سقراط إلى بومجارتن ، وبعد أن تجاوز هذه المرحلة — كما يجب — شهد " عصرًا نقدياً " يمثلته كانط KANT وأتباعه ، ثم نضج واكتمل في أقل من مائة عام (1750 : 1850) أدرك بعدها سن الرشد وأصبح ثابتاً مطمئناً ، في حين يعد عصرنا الحالي امتداداً للعصر الوضعي ، حيث أصبح علم الجمال " أبعد مايكون عن الاضمحلال بل هو في تمام الازدهار " (10).

هذا الرأي هو أحد الآراء المهمة في هذا الاتجاه المؤرخ لعلم الجمال ، وهو يختصر العديد من وجهات النظر الأخرى التي تعتمد على هذا النوع من التقسيمات ، لا لعلم الجمال وحده ، وإنما لكثير من مجالات العلوم والمعرفة في فروعها المختلفة .

والأهم من هذا — بالنسبة لعلم الجمال بالذات — أو بالنظر إلى طبيعة مشكلاته التي عرضنا لها هو تصنيفه على نظريات واتجاهات تحتوي على الرصيد التاريخي الكبير من الآراء بعد إعادة ترتيبها حسب طبيعة كل منها وانتمائه ، وحسب السمة المشتركة بين ممثليه .. وفيما يلي عرض موجز لهذه الاتجاهات :

ثانياً : النظريات والاتجاهات المفسرة للفن

— مفهوم العبقرية الملهمة في الإبداع :

تمتد الأفكار الرئيسية لهذا الاتجاه من الحقبة اليونانية في عهد أفلاطون وأرسطو ، بل لقد وجدت بالفعل عند كل من هوميروس ، وهيراقليطس ، غير أن جذورها — بوصفها نظرية أو اتجاهًا — تنسب إلى أفلاطون مؤسسها الأول الذي عبر عن وجهة نظره المحددة لذلك من خلال عدد من محاوراته ، أهمها — فيما يتعلق بهذا الأمر — محاوره : فايدروس عن الجمال ، ومحاوره أيون عن الإلياذة ، وفي فايدروس — وهي أكثر التزاماً بموضوعات الفن والجمال — يوصف الإدراك الجمالي بأنه نوع من الهوس ، وينسب إلى " زيوس " الإله اليوناني الأكبر (11) ، ويجعل الشعر وحياً من ربوات الشعر أو إلهاماً من بنات الآلهة (12) ، كما

(10) — هويسمان دنيس — علم الجمال " الاستيطيقا " — ترجمة : أميرة حلمي مطر — دار إحياء الكتب العربية — القاهرة — ص .

(11) — أفلاطون / فايدروس — ترجمة : أميرة حلمي مطر — ص 78 — فقرة 249 .

(12) — المرجع السابق — ص 105 — فقرة 265 .

وصف المعرفة الخاصة بالجمال بأنها "شعور غامض من الرهبة القديمة" (3). و خلاصة القول بالنسبة لأفلاطون أن الفن - أيا كان - مصدره إلهام أو وحى من ربات الفنون أو الآلهة عموماً .

أما الفنان فهو إنسان مميز بما وهبته هذه الآلهة من قدرة الأخذ عنها والتعبير بملكة الإلهام والعبقرية . ولم يقتصر ذلك على أفلاطون ، كما لم يتوقف عند العصر اليونانى ، فعند العرب أيضاً ارتبطت كلمة " عبرى " بمفهوم شبيه بهذا المفهوم من حيث نسبته إلى قوة مجهولة ، تتجاوز طاقة الإنسان .

وبالإضافة إلى ما عرف عن " شيطان الشعر " الذى يأتى للبعض فى ظروف غامضة ، ليوحي إليهم بأشعارهم التى يبدعونها ، فقد ورد نقلاً عن " لسان العرب " أن لفظ " عبرى " أطلق على موقع فى البادية العربية قيل إنه موطن للجن ، وتضمن ذلك المثل المشهور " كأنهم جن عبرى " ونقل عن ابن الأثير قوله : " عبرى قرية تسكنها الجن فيما زعموا ، فكلما رأوا شيئاً فائقاً غريباً مما يصعب عمله ويدق ، أو شيئاً عظيماً فى نفسه نسبوه إليها : فقالوا عبرى " (1) .

وقد لازم هذا التصور العملية الإبداعية فى مراحل عديدة ، وحتى عهد قريب يؤرخ له بالقرن التاسع عشر ، حينما تمثل ذلك فى تيار نظرى ميتافيزيقى يؤمن أنصاره بوجود مصدر آخر أعلى لمفهوم الإبداع يتجاوز به - من وجهة النظر تلك - الواقع المحسوس ، ويشبه هذا الرأى نظرية أفلاطون فى الإلهام التى وضع أساسها قبل الميلاد بقرون . ومن أولئك الذين تبنا هذه الوجهة ، مفكرون متميزون أمثال فيكتور كوزان ، ولافيه وجبريل سائى ، وإثنين سوريو ، وتولستوى ورسكن (2) ، وكروتشى الذى يرى أن الفن ليس سوى إلهام (3) .

وهذه الآراء وغيرها - مما هى على شاكلتها - تضيف على الإبداع سمة التقديس ، وتحيله إلى قوى خفية ، أو أنها لاتقدم له تفسيراً كاملاً أو واضحاً . وهناك وجهات نظر كثيرة من هذا النوع ، منها مفهوم الحدس عند كروتشه ، أو اعتبار الشعور الجمالى غريزة إنسانية كما هو لدى رسكن الذى يذكر أن هذه الغريزة تنقل عن " جمال الطبيعة الإلهى " .

ويعتق هذه الآراء أيضاً عدد من المبدعين الذين اشتهروا بإبداعاتهم الخالدة ، فمثلاً يذكر لامارتن أنه " لايفكر على الإطلاق وإنما أفكاره هى التى تفكر له " (4) .

3 - المرجع نفسه - ص 79 - فقرة 201 .

1 - جاء ذلك فى مقدمة العدد 176 من عالم المعرفة الذى يحمل عنوان " العبقرية والإبداع والقيادة " - المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب - الكويت - تأليف : دين كبث سايمنتن - ترجمة : شاكى عبد الحميد - أغسطس 1993 - ص 7 .

2 - أبو ريان - فلسفة الجمال - ص 51 ، 52 .

- 3CROCE (BENDETTO) THE ESSEN OF AESTHEICS, WIIAM, HEINEMANN. LINDON, 1921. P. 8 .

4 - أبو ريان - فلسفة الجمال (المرجع السابق) - ص 147 .

ويعترف جيته بأنه لم يبذل أى جهد عند كتابته (لام فارتز) سوى الإنصات إلى باطنه ، أما شوبان فيقال عنه إنه يبدع بصورة تلقائية ، وإن الإلهام يأتيه بصورة فجائية ، ودون توقع منه ، وقال كولردج أنه كان " يكتب أثناء نومه كما لو كان مسحوراً " (5) . وينطبق هذا على آراء المبدعين الرومانتيكيين جميعاً ، كقول نيتشه " إن الإلهام ضرب من السكر والنشوة والتخدير " ، أو كما تخيل بتهوفن " أنه يسمع الله يهمس في أذنيه " ، وقد ذكر عن شلتوبريان قوله " إننى لأستلقى على سريري ، وأغمض عيني تماماً ، ولا أقوم بأى مجهود ، بل أدع التأثيرات تتتابع مافوق شاشة عقلى ، دون أن أتدخل فى مجراها على الإطلاق " (1) .

وكل ذلك إلى جانب تناول الأحلام فى الحركة الرومانتيكية بوصفها فاعلاً حقيقياً ومؤثراً قوياً فى العملية الإبداعية لدى العباقرة والمفكرين الكبار (2) .

والمهم فى هذا الاتجاه أنه يلغى أى فعل للعقل فى الفن ، كما يتمثل هذا فى أغلب الآراء التى يقوم عليها ، ولا يفسر الإبداع بالنظر إلى الإلهام والعبقرية سوى اللحظات التى يعلن عنها روادها على أنها فجائية ، لاتخضع لقانون محدد ، فهى كالحلم أو الخيال أو الحدس .. وغير ذلك من المفاهيم الغامضة التى لاتجد لها تفسيراً فى الواقع الإنسانى .

ب - المسار العقلى فى تفسير الظاهرة الفنية

فى مقابل نظرية الإلهام والعبقرية المشار إليهما ظهر اتجاه آخر يستند فى مقومات وجوده إلى الواقع من ناحية ، وإلى الإنسانية الإبداعية من ناحية أخرى ، هو الاتجاه العقلى ، أو النظرية العقلية كما تسمى فى بيان ترتيبها بالنسبة للاتجاهات الأخرى (1) ، وهى تقوم أساساً على الفكر والتأمل الواعى المترن . وقد جاء هذا الاتجاه موازياً لحركة التطور التى أرسى دعائمها العقل فى كل المجالات ، وأخضعت الدراسات الجمالية كذلك للمعيار العقلى ، وبعد تغلب هذا الطابع على الاتجاهات الحديثة والمعاصرة بأكملها ، التى تتصور أن كل شىء لابد أن يقع تحت سيطرة العقل . ويأتى فى مقدمة ذلك آراء الفلاسفة والمفكرين الذين وضعوا أركان الفكر الحديث ، أمثال كانط وهيجل ، وقدر هائل من المفكرين والمبدعين فى عصر النهضة ، وما أدلى به نقاد هذه الفترة من ملاحظات وتوجهات لترجيح كل ما هو عقلى ، ثم ماتلاً ذلك من تيارات فكرية تسير فى الاتجاه نفسه . ولا يزال حتى يومنا هذا ينظر إلى أى منهج عقلى ، أو التزام بشروطه ، على أنه تجاوز حقيقى لمراحل الركود والتخلف ، وأن ذلك يرمز إلى التطور والثورة على الموروث والقديم . ولقد بلغ الأمر بهذا الاتجاه إلى حد وصف ما كان يعد إلهاماً أو وحياً معجزاً للإنسان بأنه ليس إلا نتاجاً عقلياً ، وأن ما يعرف باللاوعى ليس إلا خلاصة للفكر الواعى الطويل والمضنى . وتتكون حصيلة الفن - فى خلاصة هذه

5 - المرجع السابق - ص 148 .

1 - على عبد المعطى - فلسفة الفن - ص 30 .

2 - المرجع السابق - ص 31 .

1 - المرجع السابق - ص 39 .

الآراء — بصورة تدريجية حتى تصبح الأفكار المتعلقة بها رصيذاً حقيقياً لعملية الإبداع .
وتقوم هذه العملية إذا ردت لمصادرها الفعلية على نتائج الدراسة والتحصيل الدائبين للفنان ،
أو المبدع ، وليست مجرد عمل إبداعي تلقائي⁽²⁾ .

وقد برز في بداية القرن التاسع عشر أقوى هذه التيارات الممثلة لهذا الاتجاه من خلال
النظرية " الشكلية " المتأثرة بكانط ، وممن صاغوا هذا التوجه كان ج . ف . هيربارت الذي
ذكر في كتابه " مدخل إلى فلسفة تطبيقية عامة " عام 1808 : " إن الشكل يكون ذا قيمة ،
بقدر ما يتلاءم مع ظروف الخلق الفني التي تختلف من فن إلى آخر " انطلاقاً من الإيمان بأن "
الجمالية عقلية يجب أن تنحصر في دراسة الشكل "⁽³⁾ ، ثم تعمق هذا المسار العقلي للشكل
الجمالي بعد ذلك ، على مدى القرن التاسع عشر ، بفضل تلاميذ هيربارت⁽¹⁾ ، ولم يكن ذلك
سوى أحد الاهتمامات التي اعتمدت في تفسير الفن والجمال على المقاييس العقلية والخبرة
العملية .

وأخذت الآراء تتركز في هذا الجانب ، وتقيم الدراسات على أساس ارتباط الإبداع
بالتجارب العقلية والخبرات المكتسبة ، على شاكلة الدراسة التي قدمها جون ديوي في كتابه "
الفن خبرة "⁽²⁾ ، أو فلسفة آلن Alain التي تقوم على أن الفنان : " إنما هو صانع Artisan
قبل أن يكون فنانا Artiste "⁽³⁾ .

ويتفق هذا الرأي مع توجهات أبرز المدارس الحديثة والمعاصرة ، كالوجودية التي تنحصر
الإبداع في علاقة الإنسان بوجوده وبالأخر ، أو الماركسية التي تربطه بالعمل وعلاقاته
المتجددة . وفي هذا الإطار يذكر جوزيف كونراد Joseph Conrad في مقدمة روايته "
جندي النار سيسوس (النرجس) عن مهمة الفنان بأنها " محاولة تتسم بالإصرار الكامل من
أجل إعطاء الكون المنظور أعلى حق له ، عن طريق إلقاء الضوء على الحقيقة الكثيرة
والواحدة ، الكامنة من وراء كل مظهر له ، فهي محاولة للاهتداء إلى ماهو باق وأساسي ،
إذن فالفنان — شأنه شأن المفكر أو العالم — ينشد الحقيقة "⁽⁴⁾ .

وتتصف الموضوعات الجمالية — طبقاً للنظرية العقلية — بأنها " إمكان " أو " قدرة " على
إحداث تجارب لها قيمة باطنة ، فالقيمة الجمالية — من وجهة نظر " النقد الفني " — هي سمة
" علائقية Relational " تشير من جانب آخر إلى التجربة الجمالية⁽⁵⁾ .

وهكذا فإن المضمون الجمالي أو حتى الشكل الجمالي ، لا يعد غامضاً أو مجهول
المصدر ، بل يملك أساساً عقلياً وهدفاً رسم وخطط له من قبل الفنان المفكر ، وفي ذلك
يقول هربرت ماركيز : " يسعنا مؤقتاً تعريف الشكل الجمالي بأنه نتيجة تحويل مضمون
معطى (واقعة حاضرة أو تاريخية شخصية أو اجتماعية) إلى كلية مكتفية بذاتها :

2 — المرجع السابق — ص 40 : 41 .

3 — أندريه ريشارد — النقد الجمالي — ص 181 .

1 — المرجع السابق — ص 182 : 183 .

2 — زكريا إبراهيم — فلسفة الفن في الفكر المعاصر — ص 101 : 102 .

3 — المرجع السابق — ص 135 .

4 — جيروم ستولينز — النقد الفني — ص 455 — نص منقول عن جوزيف كونراد .

5 — المرجع السابق — ص 636 .

قصيدة ، مسرحية ، رواية ... الخ ⁽⁶⁾ . وسواء أكننا ننظر في تلك الواقعة إلى المضمون أم إلى شكلها الفني ، فإن الأمر لا يتعدى فعل العقل في التاريخ ، أو الواقع ، أو التجربة الإنسانية ، وإعادة صياغة كل ذلك فينا ، وبهذا يأتي دور المهارة أو الصنعة الفنية بوصفها صورة من صور إضفاء العقلية العملية على واقعنا من خلال الإبداع ، الذي يحتاج إلى هذه المهارة ، أو ما يسميه البعض بـ " التقنية " ، إذ لا يمكن بدون هذه التقنية أو بقدر منها على الأقل إنجاز أى عمل فنى ⁽¹⁾ . لكن الفن هنا — بوصفه خاضعاً للتجربة والمهارة — يمزج بين الجوانب الفكرية والانفعالات ليكون أكثر شمولية للتجربة الإنسانية ومضمون الخيال ، ويكون الفنان هو من استوعب كل جوانب هذه التجربة من ناحية انفعالاته هو ، ثم من خلال معرفته للعالم من حوله ، فتحقق لديه — إثر هذا — القدرة الإبداعية الكامنة في شمولية تخيلاته أو تصوراتاته الذاتية ⁽²⁾ . وما يقوم به الشاعر — على سبيل المثال — ليس أكثر من " خلط الفكر ذاته في الانفعالات " ليكون العمل الفني بذلك الخيال والفكر معاً ⁽³⁾ .

وهذه التجربة ، التي يمكن جعلها تجربة خيالية — من بعض النواحي — هي حتماً تجربة حسية ، لكنها " رفعت إلى المستوى الخيالي بواسطة فعل الوعي " ، أى أنها بمعنى آخر " عبارة عن تجربة حسية بالإضافة إلى الوعي بهذه التجربة " ⁽⁴⁾ . وذلك في النهاية هو المنهج الذي يمكن أن يسلكه النقد ، من الحسى إلى الخيالى ، ثم الوعي والإدراك بالمضمون الحاضر في الفن كتلازم بين مارسمه الخيال وماحققته التجربة .

هذه الرؤية ليست منسجمة دائماً ، من جهة أنها تحقيق للتصالح بين الإنسان وواقعه من خلال الإبداع الفني ، ولكنها جاءت في بعض التيارات المعاصرة — وعلى وجه الخصوص في الوجودية — شكلاً من أشكال التمرد ، فالفنان يدرك الواقع ويستوعبه ، لايحيله إلى خياله في صياغات فنية فحسب ، وإنما ليعيد تشكيله وفقاً لإرادته الحرة والمتمردة على ذلك الواقع المأساوى المفروض عليه ، وكانت الرؤية الوجودية — في الأدب مثلاً — تتطوى على كشف لمأساة الإنسان في مواجهة زيف هذا العالم ، كما بدا لها .

وقد عنى الأدب الوجودى — لاسيما عند سارتر بتعرية الطبيعة العبثية ، واللاعقلانية للإنسان ⁽⁵⁾ .

أما البير كامى فيربط بين الإبداع والتمرد ، أى أن الفن — من وجهة نظره — يجب أن يسهم في تغيير العالم ، إنه على الإنسان أن " يعيد تشكيل العالم وصياغته من خلال عمله الفني ، أو بمعنى آخر : على الفنان المتمرد أن يحاول فرض شكل فنى منظم ، أو صورة معقولة على العالم ⁽¹⁾ ، وعلى ذلك يكون الفنان صانعاً للعالم الذى يريده ، لا الذى يفرض

6 — هربرت ماركيز — البعد الجمالى — ص 19 .

1 — روبين جورج كولنجورد — مبادئ الفن — ترجمة : أحمد حمدي محمود — الدار المصرية للتأليف والترجمة — القاهرة — 1966 ت ص 37 .

2 — المرجع السابق — ص 362 .

3 — المرجع نفسه — ص 367 .

4 — المرجع نفسه — ص 380 .

5 — محمد زكى العشماوى — فلسفة الجمال في الفكر المعاصر — دار النهضة العربية — بيروت — 1981 — ص 202 : 203 .

1 — المرجع السابق — ص 207 .

عليه ، ويتحقق هذا بكامل وعيه وفكره .
 إن مضمون الوجهة العقلية في الفن يتلخص في موقفها الثابت تجاه العبقرية الفنية بوصفها
 غير متعارضة مع العقل ، بل تقرر أن الفن لا يصدر إلا عن العقل الناضج المستنير⁽²⁾ . وقد
 ترتب على هذا كثير من المناحي التجريبية التي تعتمد على القواعد العلمية المتبعة في
 المجالات الأخرى غير الفن ، على غرار الأسلوب الذي اتبعه فخر Gustar Thedor
 Fechner (1801 : 180) حين استخدم الاستقراء للكشف عن الجمال انطلاقاً من وحدات
 الجمال الجزئية المحسوسة⁽³⁾ .

وخلص فان جوخ هذا الموقف في النص التالي : " إن العملية الإبداعية فضلاً عن أنها
 تقوم على حصيلة ضخمة من الخبرة الطويلة والعمل المضني والدراسة المستمرة هي أدوات
 الإبداع ، إلا أن تمام العمل الفني واستيضاح أمره لا يمكن أن يتحقق مقدماً ، بل لابد من الأداء
 أو التنفيذ ، إذ هو المحك الأول لكل فكرة فنية"⁽⁴⁾ .

وسواء أكان الأمر يتعلق بالعملية الإبداعية أم بالكشف عنها ، فإن المعيار في هذا الاتجاه
 يأتي من العقل دائماً ، ولعل أوضح تعبير عن هذه النظرية مايمثله الفرنسي هنري بركسون
 h. Bergson (1809 : 1941) ، وبعض الوجوديين الآخرين في مفهوم الجهد العقلي
 leffort intellectuel الذي ينتهي إلى أن أي إبداع أو ابتكار ينتج بالضرورة عن جهد عقلي
 بالغ ، يصحبه التوتر والقلق واستخدام كل الإمكانيات العقلية ، ويكون الناتج عملاً إبداعياً
 يتحقق من خلال المثال الذي كان المبدع يضعه نصب عينيه أثناء عملية التفكير والخلق
 الإبداعى ، أو مايعرف بالتخطيط الكلى لذلك المثال الذي يتبلور مسبقاً لدى العبقرى⁽⁵⁾ ،
 ويؤدي ذلك الجهد إلى الناتج العقلي للإبداع أو الابتكار وتلك هي العملية الإبداعية أو
 (الاختراع)⁽⁶⁾ .

ومن خلال الاهتمام بالعقل في ابتكار الموضوعات الفنية ودراستها ، بدأت المعايير الذوقية
 تتطور في أغلب فروع الفن ومجالاته ، ففي ميدان التشكيل المعماري ظهرت اكتشافات تحدد
 العلاقة بين الأوضاع المختلفة والإحساءات بالحركة والسكون⁽⁷⁾ ، إلى جانب دراسة البيئة
 والمناخ ، ووضع مظاهر الطبيعة المختلفة في الاعتبار الإنشائية العمرانية ، واستخدام
 اللون والضوء وانعكاساتهما على أنها أهم وسائل تعبيرية في التصوير ، كما لوحظ لدى فان
 جوخ الذي أعلن في رسالة لأخيه " تيو " عام 1888 أنه باستخدام اللون : " أعبر بقوة
 أكثر عما أريد التعبير عنه "⁽¹⁾ . أو سيزان الذي قيل عنه إنه : " حين يعطى اللون أبعاده ،
 يعطى الشكل تمام اكتماله "⁽²⁾ . وقد وصفت لوحة بيكاسو " صبايا أفينون " بأنها كانت " تعبر

2 - أبو ريان - فلسفة الجمال - ص 148 .

3 - المرجع السابق - ص 52 .

4 - المرجع نفسه - ص 152 (نقلاً عن فان جوخ) .

5 - عبد الحليم محمود السيد - الإبداع والشخصية - دار المعارف - القاهرة - 1971 - ص 237 .

6 - المرجع السابق - ص 241 : 243 .

7 - يحيى حمودة - التشكيل المعماري - دار المعارف - القاهرة - 1984 - ص 73 : 84 .

1 - أندريه ريشار - النقد الجمالي - ص 41 .

2 - المرجع السابق - ص 41 .

عن ثورة فى فن التصوير واستبصار جديد بالواقع " ، واللوحة المذكورة — كما هو معروف — هى أشهر لوحات بيكاسو التجريدية التى رسمها عام 1907 ، وتأثر بأسلوبها عديد من الفنانين⁽³⁾ .

لقد انتهى هذا الاتجاه إلى ترسيخ القاعدة العقلية القائمة على التفكير والتأمل واستخدام الفنان أو المبدع كل الوسائل المتاحة له فى العمل الفنى ليكون إنجازاً معبراً ، ثم تقييم هذا العمل من خلال تلك القاعدة ذاتها ، وبالنظر إلى الخبرة والتجربة . وكان هذا تحولاً تاريخياً مهماً فى الرؤية الخاصة بالفن ، من اللاهوتى والميتافيزيقى والمجهول ، إلى الإنسانى والواقعى المدرك ، أو المواكب لحركة التطور التى تشهدها البشرية فى كل الميادين .

ج — المسار الاجتماعى ومعيار القيمة فى الفن :

اعتمدت نظرية الإلهام والعبقرية على الفرد الملهم الذى حبته الطبيعة بقدرات خارقة تمكنه من العطاء الفنى ، بينما قامت النظرية العقلية على التفكير والتأمل ، ومن ثم التجربة والخبرة من جهة الصقل الدائم والمثمر لشخصية الفنان الذى يصنف بوصفه مفكراً بارزاً وصانعاً ماهراً .

أما الاتجاه أو المسار — الذى نحن بصددده — وهو التفسير الاجتماعى للفن ، فإنه يقوم على رؤية أكثر شمولية لعملية الإبداع ، من حيث إن دور الفرد فيها محدود أو يقتصر على تجسيد النحن من خلال إبداعاته التى تنطلق وتقيم بالنظر إلى روح الجماعة ومعتقداتها ، ولذلك فإن الفن — بالنسبة لهذه الرؤية — هو إنتاج جمعى ، تعد الجماعة هى الصانع الأول له وللفنان معاً ، ثم تقييم الإبداع على هذا الأساس ، وقد تحدد وفقاً لذلك مفهوم التذوق الجمالى بوصفه مقياساً عاماً ، يشترك فيه الأفراد باشتراكهم فى عضوية الجماعة ، كما تحدد الفن على أنه تعبير عن المجتمع ، ونتاج لعلاقاته ، وتولد بهذا مفهوم الفن لكونه عملاً اجتماعياً Jrrarail social ، والفنان بوصفه محترفاً لمهنة⁽¹⁾ .

وأصبح ينظر للأعمال الفنية على أنها وقائع إيجابية اجتماعية تسهم فى حركة المجتمع وتطويره ، وبرز هذا المسار فى العصور الوسطى متمثلاً فى ظهور الحرف الفنية التى بدأت وكأنها توجه جديد ، تحرص عليه بعض المجتمعات آنذاك ، ثم تعمق وتطور منذ القرن الثامن عشر ، حيث أصبح الفنانون صناعاً يجيدون المهارات الحرفية والمهنية التى تجمع بين حاجات المجتمع ورموزه الوطنية⁽²⁾ .

وقد أمكن قبل ذلك وصف عصر النهضة فى إيطاليا ما بين عامى 1300 : 1550 بأنه : " أعظم فترات فن الرسم فى تاريخ الفن الغربى " انطلاقاً من أن يقوم بدور رئيسى فى الحياة الاجتماعية⁽³⁾ ، حيث تبلور هذا المفهوم مصاحباً لمراحل التاريخ الاجتماعى بوجه خاص ،

3 — جيروم ستولنيتز — النقد الأدبى — ص 199 .

1 — زكريا إبراهيم — مشكلة الفن — ص 111 .

2 — المرجع السابق — ص 111 : 112 .

3 — سيدنى فنكشتين — الواقعية فى الفن — ترجمة : مجاهد عبد المنعم مجاهد — المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع — بيروت — 1981 ت ص 83 .

مثلاً في عصر الإقطاع حين تولدت الحاجة إلى مهارات فنية معينة كالنجارة أو النحت ، أو في البناء والزخارف ، وتوطيد التعاليم الدينية فيما بعد ، كما كانت له فعالية في التنقيف وبت القيم والعقائد عن طريق التمثيلات والتصوير على الجدران (4) .

وكان عصر النهضة في أوروبا عموماً مثلاً حياً لتوطيد الرؤية الاجتماعية بالنسبة لموضوعات الفن الحديث واتجاهاته ، إذ كان فنانون تلك الحقبة يركزون على الصور الإنسانية الواقعية ذات الطابع الاجتماعي (1) .

ومن الواضح أن المدرسة الاجتماعية ، في تقييم الإبداعات الفنية قد ارتبطت — منذ ظهورها — بالواقعية التي حققت تقدماً ملموساً في هذا الميدان ، جعل المسار الرئيسي للفن هو الإنسان وقضاياها ، وعكس أزماته المختلفة ، كظواهر الفقر والبؤس وغيرها ، مما ظهر لدى بعض كبار المبدعين آنذاك ، أمثال الفنان هيرونيموس بوش H. Bosch حوالي (1450 : 1516) ، أو الرسام الألماني ماتيس بنثارت حوالي (1455 : 1528) في لوحته " مذبح كنيسة أيزهايم " (2) الشهيرة ، وغيرهما كثير ممن عبروا عن الواقع الإنساني في أشكاله وصوره المتعددة في أوروبا ، فيما عرف بعصر النهضة .

كما أن هناك من ينظر إلى الواقعية على أنها جانب من الفن الاجتماعي ، ويؤرخ هذا الرأي لظهور الواقعية الاجتماعية في الفن بعام 1840 على يد الروائي والباحث الفرنسي " شانفلوري " الذي ينسب إليه هذا الاستخدام ، كما يرجع إلى تثبيت بعض الاتجاهات التي كان من شأنها بلورة فكرة الأعمال القومية على غرار عملي " دومييه الجمهورية عام 1848 و " الطحان عام 1849 ، حيث قال : " شانفلوري " : " بعد هذا العمل صار دومييه من جماعة الفنانين الأرباب " (3) .

وقد عمد برودون في كتابه " مبدأ الفن ومصيره الاجتماعي " عام 1865 إلى تأكيد دور الفن في " كمال المجتمع إذ يدلنا على الجراح الاجتماعية : كالبؤس والخبث وأشكال اللاأخلاق المتنوعة " (4) ، ثم أثنى (أي برودون) على أعمال الرسام الواقعي (كوربييه) مثل " قصابي الحجارة " و " الصبايا على ضفاف السين " و " المستحاثات " .. الخ (5) .

وقد ذكر هربرت ريد في كتابه " فلسفة الفن الحديث " : أن الواقعية والتجريدية قد ظهرت من خلال اعتمادهما على الذوق العام أو الحس المشترك Common Sense (6) ، كما استعمل اصطلاح الواقعية المشتركة Socialist Realism في تحليلاته التي تربط بين الواقعية في الفن والمجتمع الاشتراكي في روسيا بعد ثورة عام 1917 (7) .

4 — المرجع السابق — ص 83 : 85 .

1 .. المرجع السابق — ص 89 .

2 — المرجع السابق — ص 101 .

3 — أندريه ريشار — النقد الجمالي — ص 82 .

4 — المرجع السابق — ص 83 .

5 — المرجع السابق — ص 84 .

6 — HERVERT READ/ THE PHILOSOPHY OF MODERN ART/ FABER/ — 6

LONDON 1946. P. 88 .

IBID. P. 96 . — 7

وبذلك فإن العلاقة بين عملية الإبداع والتصورات أو المضامين " الجمعية " تتحدد وفقاً لمبدأ الواقعية ، والواقعية الاجتماعية على وجه الخصوص ، ويمكن أن تكون مهمة علم الجمال — بناء على ذلك — هي الكشف عن تلك العلاقة الفعلية التي تربط بين العمل الفني والوسط الاجتماعي المنبثق عنه .

وقد يكون من المفيد الاستدلال على ذلك بالرابطة التي تجمع بين ظهور الفن والدين في المجتمعات القديمة ، حيث رأى " آلن Alain " أن فنونا كالمعمار والتمثيل المسرحي ، تنطوى تحت مفهوم الفنون الاجتماعية⁽¹⁾ . وكما هو معروف ، فإن بداية مثل هذه الفنون ارتبطت بالمعابد الدينية القائمة على أسس ومعان أخلاقية تجسد عقائد تلك المجتمعات وأخلاقياتها .

وعندما كان ظهور الواقعية مرتبطاً بالفكر الاشتراكي كان يعاب على الفنانين في الأنظمة الرأسمالية تأكيدهم النواحي الفردية ، فقد ورد عند أرنست فيشر قوله " إن السمة المشتركة بين جميع الفنانين والكتاب المرموقين في المجتمع الرأسمالي إنما هو عجزهم عن التصالح مع الواقع الاجتماعي المحيط بهم "⁽²⁾ .

وقد كان المعيار الاجتماعي تاريخياً مرتبطاً بمثل هذه التيارات التي تسود فيها روح الجماعة من خلال واقعية إيجابية ، كالواقعية الاشتراكية ، كما عاناها مكسيم غوركي ، أو مفهوم " الفن الاشتراكي " — كما هو معروف بالنسبة للاتجاه الماركسي — إذ تقوم الواقعية الفنية في الفكر الاشتراكي على وجهة نظر ماركسية تعطي الأهمية القصوى لتفاعلات الواقع المتجدد في مقابل محدودية الفنان أو الناقد الفرد ، وضالة كل منهما ، ويتلخص ذلك فيما يلي : " إن عملية التبسيط والدوجماتيقية ، سواء في دراسة الأدب والفنون أم في الخلق الفني ، تكشف عن عجز الناقد والفنان أمام تعقيد عمليات الواقع ، وتنوع الحياة وتراثها "⁽³⁾ . ولهذا السبب يعتقد الماركسيون أن بقاء الأعمال العظيمة وتخليدها يظل متوقفاً على مدى احتفاظها بالإثارة ، ومخاطبة المشاعر الجماعية ، وحث القوى العاملة على العطاء والإبداع في ميدان العمل والوعي⁽⁴⁾ . ويرى عالم الاجتماع المشهور دور كايم أن الفن " ظاهرة اجتماعية " انطلاقاً من أن الإبداع الفني قائم على عوامل أساسية من بينها الجنس والطبيعة والتراث ، بالإضافة إلى الأساليب التقنية السائدة والموروثية ، وكذلك المقومات الفكرية والجمالية المعاصرة للفنان⁽¹⁾ .

ويذكر في هذا الصدد أن الدين هو النظام الاجتماعي الأول الذي تسبب في ظهور الفن بالنظر إلى سيطرة رجال الدين والسحرة على الحياة العامة في المجتمعات البدائية⁽²⁾ . كما يعد الفن — من وجهة نظر (تين H. Taine) — ظاهرة طبيعية تخضع للعقلية الجماعية ،

1 — زكريا إبراهيم — مشكلة الفن — ص 123 .

2 — أرنست فيشر — ضرورة الفن — ص 124 .

3 — عبد المنعم الحفني — الأدب والفن في الاشتراكية — ص 103 (عن ماركس) .

4 — المرجع السابق — ص 110 .

1 — علي عبد المعطي محمد — فلسفة الفن — ص 71 : 72 .

2 — محمد علي أبو ريان — فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة — ص 146 : 147 .

ولأخلاق الجماعة وعاداتها ، وبالرغم من اتصافها بالتلقائية ظاهرياً فإنها تخضع لقوانين الحياة الاجتماعية وشروطها⁽³⁾ .

وفى هذا السياق أيضاً يذكر جان دوفينو فى سوسيولوجيا الفن " أن تجذر الإبداع الفنى هو فى نفس الوقت تحليل لكل الرموز الاجتماعية التى تتبلور فيه ، والتى يبلورها فى سياقها"⁽⁴⁾ .

ومعنى هذا أن العملية الإبداعية فى مجملها تعتمد على مكونات البيئة الاجتماعية للإنسان وعناصرها التى توهبها المضمون ، ثم تعطيها الشكل النهائى لشرعية الوجود والبقاء عبر التزامها بوسائل التعبير ذاتها ، التى يعتمد عليها المجتمع ، وبهذا يقتدر الفن بالحضارة⁽⁵⁾ . وعلى هذا النحو تكون هذا الاتجاه المهم فى تاريخ الفكر النقدى ، الذى عمل على تتبع المصادر الأساسية للإبداع الفنى بشقيه العملى والمعيارى ، مدعماً للاتجاهات الأخرى فى تشكيل الرؤية العامة للفن وتفسير آثاره .

د : النظرية النفسية :

ويقوم هذا الاتجاه فى أهم مراحله على ثلاثة جوانب رئيسية هى :

أولاً : اعتماد الإبداع الفنى اعتماداً تاماً على حياة الفنان ومضمونه الذاتى الكامن فى اللاشعوره ، وتأثر أى موضوع فنى فى شكله ومضمونه بذكريات مبدعه ، ورغباته ، ولاسيما فى سنى حياته الأولى ، وذلك وفقاً لما أورده فرويد Freud فى نظرية التحليل النفسى ، حيث قام هو وتلاميذه بتحليل نماذج من الأعمال التاريخية المعروفة فى الفنون والآداب . وقد قامت فى هذا الشأن دراسات مستفيضة لتاريخ مبدعيها ، كما هو الحال فى دراسة فرويد لليوناردو دافنشى وديستوفسكى ، بالإضافة إلى تحليلات شارل بودوان C. H. Beaudoin فى كتاب " التحليل النفسى والفن " الذى حاول أن يطبق من خلاله آراء فرويد فى تحليل العمل الفنى ، بتناوله عدداً من أعمال كل من شكسبير وهوجو ، والتنبه إلى مدلولاتها الرمزية ، والإسقاطات التى كانت تشير إلى حياتهما الخاصة ، موضحاً عدداً من الحالات التى يستخدمها اللاشعور فى ظهوره عبر العمل الإبداعى ، شأنه شأن الحالات البديلة الأخرى التى تتبع وسائل التحويل أو التكثيف أو النكوص أو الإسقاط⁽²⁾ .

ثانياً : تحولت تلك الآراء إلى اتجاه عرف فى تاريخ فلسفة الجمال بالنظرية السيكلوجية أو النفسية ، وتطور هذا الاتجاه إلى جانب عملى تطبيقى تمثله المدرسة السريالية فى الفن⁽³⁾ .

ثالثاً : انبثق عن مدرسة التحليل النفسى هذه شعب آخر يعطى اللاشعور مفهوماً أوسع هو " اللاشعور الجمعى " كما ورد لدى (يونيغ) Jung ، ويمثل أحد أهم مقومات النظرية النفسية التى

3 - زكريا إبراهيم - مشكلة الفن - ص 126 : 127 .

4 - جان دوفينو - سوسيولوجيا - ص 53 .

5 - LEVEN. 1. SCHUCK, THE SOCIOLOGY OF TASTE, LONDON (RUSKIN) 1944, P. 63 .

1 - زكريا إبراهيم - مشكلة الفن - ص 187 : 188 .

2 - على عبد المعطى - فلسفة الفن - ص 82 : 83 ومابعدا .

تضمنتها عملية تفسير الفن إلى جانب المسارات أو الاتجاهات الأخرى .
وقد رأى فرويد وأتباعه أن أساس هذه النظرية يكمن في أن عملية الإبداع لاتعدو كونها تحويلاً لمضامين اللاشعور إلى عمل ملموس ، ويعتمد هذا على ظروف الفنان وحياته الطفولية التى تظل قائمة فى عقله الباطن أو لاشعوره ، وهى ذاتها التى تتخرج فى الفن بالكيفية التى تناسب طبيعتها وقوة تأثيرها على واقع الفنان .

وقد قام السرياليون Surrealists — فى محاولة لتطبيق ذلك — باعتماد أسلوب النداعى الحر Free Association فى تحفيز ذواتهم ، واستدعاء مكامن اللاشعور لصياغتها فنياً ، فعرف إنتاجهم بالفن السريالى .

وقد ظهر هذا الاتجاه فيما عرف بالثورة السريالية منذ صدور بيانها الأول ، الذى أعلنه أندريه بريتون عام 1924 ، مبتكراً أسلوب الكتابة التلقائية ، والخطب الارتجالية ، إضافة إلى ما تفسر عنه النداعيات الحرة فى التصوير والرسم ، وذلك التعبير عما يحتويه اللاشعور ، فجاء إنتاج السرياليين غامضاً غريباً على غرار الحلم أو الجنون (1) .

ويعتقد السرياليون أنهم يقومون فى ذلك بتحرير الإنسان من العقد التى كونها العالم الخارجى ، إذ تؤدى العملية التلقائية إلى إخراج مضامين اللاشعور المكبوتة التى تمارس ضغطاً مستمراً على النفس ، وتتسبب فى آلامها .

ويتم هذا بغض النظر عن الشكل الذى تتخذه طبيعة التعبير السريالى ، فقد يكون هذا الشكل غريباً مشوهاً ، ولهذا كانت الفنون السريالية تجسداً لذوات مبدعيها ، وبالطريقة التى يخرجونها بها ، مهما كان العمل شاذاً غير مفهوم .

وقد أتى ذلك بنوع من الإنتاج الفنى ، يخلط بين الأسطورى والحقيقة ، وبين الحلم والواقع ، أو بين الحياة والسحر ، أو العقل والجنون ، فى حين تبدو المفاهيم متناقضة ظاهرياً ، فإنها تجد لدى السريالية ما يفسر ارتباط بعضها ببعض ، مما جعل تعريف السريالية — بوصفها اتجاهاً فنياً — مطابقاً لمضمونها المتحرر من أى مفهوم للعقل أو الأخلاق وفقاً لمعناها المألوف ، فهى حركة " ذاتية نفسية صافية يقصد بها التعبير إما شفاهة وإما كتابة ، أو بأية طريقة أخرى عن العمل الواقعى للفكرة يملئها الفكر ، فى غياب كل مراقبة يمارسها العقل بعيداً عن كل انشغال جمالى أو أخلاقى " (2) .

وعلى هذا النحو تكون الغاية للسريالية — بوصفها مذهباً أو اتجاهاً — فى تاريخ التفسير الجمالى ، هى تحقيق الذات فى شكل واقعية جديدة لاتعبر بالفكر فى نظامه المعتاد (3) ، وإنما تهتم بالخلط والتقارب المفتعل والتعسف ، كإشارة للنداعيات الذاتية فى الحياة العادية للفنان ، النداعيات الآتية من الأغوار السحيقة للنفس ، ومن خيال الإنسان الجامح ، أو من الأحلام والجنون ، التى جعلت من السريالية ، بوصفها مذهباً يبدو وكأنه " ملقى افتتانات النوم والخمر " أو تذكير " بهذيانات المختلين " فى قصائد الشعر وفنون التصوير ، حيث تتجدد المعانى

1 — جان برتليمر — بحث فى علم الجمال — ص 76 : 78 .

2 — فيليب فان تبغيم — المذاهب الأدبية الكبرى — ترجمة : فريد أنكونيوس — عويدات — بيروت — 1983 — ص 317 .

3 — المرجع السابق — ص 319 .

والمفاهيم التي لا وجود لها⁽⁴⁾ . وبالرغم مما أثاره أندريه بريتون ، مؤسس السريالية في بياناته الشهيرة ، منذ الربع الأول من بداية هذا القرن ، في موضوع الإبداع السريالي وارتباطه بالهذيان والأحلام ، فإن جذور هذا الاتجاه تمتد إلى المؤسس الحقيقي لمدرسة التحليل النفسي سيجموند فرويد ، الذي صاغه وعبر عنه في كتابه ، فقد ألف فرويد كتابه المعنون بـ " الهذيان والأحلام في الفن " ، وكان هذا الكتاب محتوياً أغلب تلك التصورات ، والتناقضات التي قامت عليها السريالية⁽¹⁾ .

أما مفهوم اللاشعور الجمعي ، كما هو عند يونج Jung فقد تحولت هذه المرجعية التي يعتمد عليها الإبداع من الذاتية الفردية إلى مضمون أوسع نشاطاً ، وأكثر تعقيداً ، فالفن ليس إنتاجاً فردياً فحسب ، بل هو نشاط عام صادر عن " الروح الجماعية أو الإنسان الجمعي " ، حيث يمكن أن يتضمن العمل الفني مؤثرات تعود إلى تاريخ البشرية عامة ، بالنظر إلى لاشعور موحد لتاريخ البشرية بأكملها ، الذي يشكل بالنسبة لهذا الرأي حافزاً فطرياً يمتلك الوجود البشري بأسره ، ويسيطر عليه ويسخره⁽²⁾ .

ويفسر الفن - بناء على ذلك - بإعادته إلى هذا المصدر كذلك وليس إلى حياة الفنان وحده ، باعتبار أن حياته جزء لا يتجزأ من الحياة العامة ، ويجعل هذا من الضروري دراسة الأعمال الفنية ذاتها ، وتحليل رموزها انطلاقاً من أنه لاسبيل إلى معرفة شيء عن الفن دون الإحاطة بجميع عناصره الأساسية ، ومن أهم هذه العناصر الجانب اللاشعوري أو الباطن لحياة الإنسان ، بوصفها وحدة تاريخية نفسية للجماعة البشرية ، وذلك من وجهة نظر منهجية تعود إلى استيعاب اللاشعور الجمعي⁽³⁾ .

وفي حين عرف العمل الفني أمام التحليل النفسي بأنه سمو برغبات الفرد وغرائزه الأولية ، تمثيلاً مع قيم الوجود الكلي لهذا الفرد ، فإنه هنا - من وجهة نظر يونج - إلهام طبيعي أو دافع فطري يمتلك الفنان بوصفه عضواً فعالاً في الحياة الجماعية ، وليس في مقدوره إلا أن يكون " أداة أو وسيلة " في خدمة الفن ، وهو يهدف إلى غايات تتجاوز فرديته .

وبطبيعة الحال فإن هذه الغايات أو الأهداف تنتمي إلى " الإنسان الجمعي " أو " Collective Man " الذي يجد نفسه ممثلاً له ، ومعبراً عن مضمونه بغير إرادته ، وذلك هو السر في تعاسة الفنان الذي يحمل مهمة فوق طاقته ، إذ إنه لا يكتفي بوجوده الشخصي وإنما يضطلع بمهمة كبرى تحمل في طياتها الجوهر الإنساني بأكمله⁽⁴⁾ .

4 - إيفون دوبليسيس - السورالية - ترجمة : هنري زغيب - عويدات - بيروت - 1983 - ص 40 : 41 .

1 - عن الترجمة العربية لهذا الكتاب - الهذيان والأحلام في الفن - لسيجموند فرويد - ترجمة : جورج طرابيشي - دار الطليعة - بيروت - ص 3 ت أبريل 1986 .

2 1 أبوريان - فلسفة الجمال ونشأة الفنون الجميلة - ص 142 .

3 JUNG C. G, THE INTEGRATION OF THE PERSONALITY. THE CLARENDON PRESS, LONDON 1941, P. 53 .

4 - زكريا إبراهيم - مشكلة الفن - ص 192 .

وقد اتخذ مفهوم الدافع الفطري في الفن عند بعض علماء النفس معنى مرتبطاً بالفرد هو تحقيق الذات ، حيث يصدر الفن عن رغبة طبيعية ، أو عن دافع فطري لتحقيق الذات ، كما يرى جولد شتاين K. Gold Stein ، إذ يؤكد أن هذا الدافع هو " الدافع الوحيد الذي يوجه نشاط الحياة السوية لدى الإنسان⁽¹⁾ .

وعلى ذلك فإن الإبداعات ليست ناتجة — كما ترى مدرسة التحليل النفسي — عن التعالي والتسامي بمحتويات اللاشعور فحسب ، وإنما هي " تعبيرات عن قدرة الإنسان على الإبداع وميله إلى تحقيق ذاته " . ويؤكد هذا الرأي كل من : ماسلو A. H. Maslow ، وروجرز G. R. Rogers وغيرهما ممن اهتموا بهذا الجانب من علماء النفس⁽²⁾ .

وخلاصة القول في هذا الموضوع أن التفسير النفسي للفن قد وجد له صدى واسعاً في تاريخ فلسفة الجمال ، وعلى مراحل طويلة ومهمة منها ، وعرف بوصفه واحداً من أبرز مسارات الحركة النقدية والفلسفية انطلاقاً من الأهمية الخاصة التي تميز بها مفهوم الذاتية في عملية الإبداع من ناحية ، ثم بالنظر إلى تعقيد المضمون الجمالي وغموضه في الأعمال الفنية والأدبية من ناحية أخرى ، لذلك فإن هذا الجانب قد مثل دوراً رئيسياً في ميادين الفن والجمال ، وترك أثره في النظريات والآراء التي اشتهرت وبقيت حتى الآن . ومن أقوى الاتجاهات التي تبلورت ، متأثرة بعلم النفس ، وتحظى باتفاق كبير بين الأوساط الفكرية المهمة بتفسير الظاهرة الفنية ، كانت فكرة " الإطار " أو مفهوم الأطر الفنية بوصفها عاملاً فعالاً في حركتي الإبداع والنقد ، مما تتناوله الفقرة التالية

— نظرية الإطار الفني : frame work

من الواضح أن أيًا من النظريات المعروفة في تاريخ فلسفة الجمال منفردة لاتصلح البتة لتفسير العملية الإبداعية إلا بشكل جزئي يتعلق برأى بذاته ، وربما ارتبط ذلك بزمان معين ، ومن الممكن أيضاً ألا تكون تلك النظريات التي تطرقنا إليها أو غيرها من النظريات أو الآراء والاتجاهات مجتمعة بكافية لتفسير الفن ، الذي يتسم بسرعة تطوره ورحابة عالمه بين تنوع الإبداع ، وتعدد الأذواق . ومن المؤكد كذلك أن يستوعب تفسير الفنون والآداب — وهي التي تتأثر بالمجتمع ، وبالبيئة الطبيعية والتاريخ والتراث ، وحتى الظروف الطارئة وسائر الصراعات والتناقضات في الحياة العامة والخاصة ، وفي الفكر ، وبفعل المقومات الحضارية المختلفة .. الخ — أن يستوعب جميع التفسيرات التي يدلى بها النقاد والمفكرون والمبدعون ، أو متذوقو الفن من عامة الناس والمتقنين وغيرهم ، على الأقل من الناحية المنطقية إن لم يكن ذلك انطلاقاً من حتمية الحركة الذاتية والفكرية ، أو التلقائية في تذوق الأفراد والجماعات ، حيث عرف هذا المجال عدم التزامه بمعايير أو قواعد ذات دلالات مقنعة في عملية التفسير أو التلقى ، وهنا تبدو فكرة " الإطار " أكثر تقبلاً وفهماً لهذه الطبيعة التي تتصف بها القيمة الجمالية في حياة الإنسان من حيث التزامها بقاعدة الاستعداد الدائم لاحتواء كل ماتأتى به

1 — عبد الحليم محمود السيد — الإبداع والشخصية — ص 234 .

2 — المرجع السابق — ص 234 : 235 .

ملكة الإبداع ، ويكون مؤثراً أو فاعلاً في الحياة الوجدانية للفنان أو المتذوق . وقاعدة الإبداع الفنى أو تناوله وتقييمه ، تتركز فى الإطار بوصفه قالباً يتشكل قياساً على الظروف الخاصة والموضوعية للمبدع ، ويعطى للعملية الإبداعية بحجم تلك الظروف ، فى حين لا يكون الحكم الصادر - حيال الناتج لهذه العملية - أقل أو أكثر مما تستهدفه ، وبما ينطبق عليها تماماً ، وذلك لأن العلاقة بين الفن - أو العملية الفنية جملة - والواقع المتداخل معها ، هى فى الغالب علاقة ذات تأثير متبادل ، إذ ليس الإطار سوى التجارب والخبرات الواقعية للفنان ، ومن هذا الواقع نفسه ينطلق الحكم تجاه ما يصوغه ذلك الإطار . وهكذا تبدو الفكرة العامة لهذا الاتجاه الذى يبدو وقد استلهم عناصره من التجارب والدراسات التاريخية للنظريات السابقة ، خصوصاً فى ميدانى علم النفس وعلم الاجتماع .

كما أن هذه الفكرة تمثل " اتجاهاً منظوراً ⁽¹⁾ بالنسبة لنظرية الإبداع الفنى التى بدأت تزدهر فى عصرنا الحاضر ، بفضل الدراسات المكتملة والشاملة فى هذا الميدان .

لقد برزت فكرة الإطار استجابة لأغلب تناقضات الفن السابقة ، وتخلصت ، إثر ذلك من النظرة الضيقة المعتمدة على عامل واحد فى تحليلاتها الجمالية ، الغالبة على النظريات القديمة ، إذ كانت السمة الغالبة فى تلك النظريات توجهاً ، إما إلى الذاتى بوصفه نزعة عقلية تأسس مفهوم الفن وفقاً لها ، وهى تنسب الجمال إلى صفات منفصلة عن الفن ، وإما إلى الموضوعى بوصفه فاعلاً ومؤثراً رئيسياً فى أى إبداع فنى ، وإليه ترجع مقومات النقد التى تقيم الفن ، أو تحدد وجوده على أساس امتلاك الموضوع للمضمون الجمالى .

فى حين ترتب على هذين الموقفين موقف ثالث ، يحاول الربط بين الذاتى والموضوعى بعلاقة توفيقية تحتفظ بموقف كل منهما داخل الفكرة العامة عن الأثر الفنى ⁽¹⁾ . وبين هذا وذاك تعددت الآراء ذات المواقف الفردية أو الاجتماعية أو النفسية .

وتقوم فكرة الأطر على أساس وجهة مختلفة لتوافق الذاتى والموضوعى فى وحدة إيجابية تلغى كل تمييز لما هو ذاتى ، أو موضوعى داخلها ، وبحيث يتعذر فصل أى منهما عن الآخر ⁽²⁾ . ويعد هذا أساساً أولياً تعتمد عليه هذه الفكرة ، أى أنه لا يمكن الفصل بين العناصر الذاتية المكونة لقدرة الفنان الإبداعية ، وبين العناصر الاجتماعية والتاريخية ، وكل الموجودات الواقعية المؤثرة فى الإدراك الجمالى بوصفها مضامين موضوعية فنية ، بل إنها - مجتمعة - تكون وحدة العمل الإبداعي ، وتشكل الرؤية الخاصة به ، ولاشئ خارج هذه العناصر التى تمثل وحدة الفرد والمجتمع فى " النحن " ووحدة العقل والواقع فى " الموضوع " ⁽³⁾ .

أما العلاقة بين ذلك وفكرة الإطار ، فإنها تكمن فى الخلاصة النهائية لامتزاج الأجزاء المكونة للفن ، والمؤسسة لمفهومه فى " إطار " يتكون لدى الفنان من واقع بيئته التى يعيش

1 - على عبد المعطى - فلسفة الفن (رؤية جديدة) وقد تناولت هذه الدراسة فكرة الإطار بوصفها رؤية جديدة لتفسير العملية الإبداعية بشكل مفصل واف ، وتفاصيل ذلك فى القسم من ص 183 : 207 من المرجع المذكور .

1 - أبو ريان - فلسفة الجمال - ص 104 : 105 .

2 - على عبد المعطى - فلسفة الفن - ص 183 : 184 .

3 - المرجع السابق ص 208 .

فيها ، والتي ينتمى إليها الآخرون كذلك ، مما يخلق التفاعل الحتمى بين المبدع ومجتمعه . فمضمون الإطار — وفقاً لذلك — يعد مكتسباً وليس فطرياً — ولأنه كذلك ، فإن العملية الفنية هى تمثيل لواقع الحياة ، وتوثيق لأواصر العلاقة بين الفرد وبيئته ، وهى علاقة محددة وليست غامضة أو معقدة .

وتتحدد عملية التذوق بناء على الأطر الجمالية التى تكونت لدينا من خلال تجاربنا ، وخبرتنا الفنية ، فلاتزيد عن كونها توافقاً بين فكرة المتلقى ، أو أساسه الذوقى ، أو مايمكن أن نسميه " الأطر الاستيطيقية " ، وبين قدرات الفنان الإبداعية ، المنطلقة من نفس ذلك الواقع وروحه ، ذلك الذى نشترك فيه جميعاً . أما الخلافات حول تذوق الأعمال الفنية التى قد تنشأ بين الأفراد ، فمرجعها إلى تعدد المصادر التى تستقى منها التجارب والخبرات الفنية أو الذوقية ، بحيث تختلف أحكامهم إزاءها تبعاً لتنوع الأطر ، الذى قد يحدث من فرد إلى آخر ، أو من بيئة إلى أخرى⁽¹⁾ . وعلى هذا فإن مقدرة الفنان لاتخرج عن تجربته وخبرته فى الظروف التى عاشها ، وأثرت فى حياته ، كما أن الحكم الذوقى الصادر على العمل الفنى ، لايتجاوز ثقافة المتذوق وخبرته فى حياته وتجاربه مع الفن والفنانين الذين عرفهم . ويبرهن على هذا أشهر المبدعين ، وأعمالهم الفنية ، والأحكام الصادرة حولها ، فالإطار الذى يملكه الفنان يمكنه من تجسيد انفعالاته تجاه أى موقف ، أو ظاهرة يتأثر بها فى مجتمعه ، وينتج بهذه الكيفية بما يعرف بالعمل الفنى ، الذى يجسد جوهر العملية الإبداعية⁽²⁾ .

وقد تبلورت هذه الفكرة — على مايببدو — من خلال الدراسات النفسية التى أجريت التجارب العملية للبرهنة على صحتها ، وبالرغم من أن هذه التجارب هى عبارة عن افتراضات أو اختبارات لتأثر المضمون بإطاره الخارجى من الناحية الشكلية والبصرية⁽³⁾ ، فإنها تعد — بالنسبة لتلك الدراسات — مجرد وسائل مساعدة لتوضيح المضمون العام للفكرة ، التى تقوم أساساً على العلاقة بين الشكل الفنى — بوصفه ناتجاً — وإطاره الذهنى أو الوجدانى ، بوصفه مصدراً لهذا الشكل ، فالإطار — بناء على ذلك — يؤثر فى المضمون ، أو فى الدلالة الفنية تأثيراً مباشراً ، ويوجه عملية الإدراك الجمالى ، كما أن " الأطر " تؤثر كذلك على عملية " اختزان " المعلومات أو تلقى " المدركات — لدى كل من الفنان ، ومتلقى الفن⁽⁴⁾ .

وتذوقنا للأعمال الفنية لايعدو كونه تنظيمياً لإدراكنا هذه الأعمال داخل أطر " استيطيقية " نحملها فى مجالنا النفسى⁽⁵⁾ .

وعلى ذلك فإن التذوق فى مجال الفن ينبع من خبرتنا وثقافتنا الفنية التى تكونت الأطر وفقاً لها ، ولهذا فإن إدراكاتنا للأعمال الفنية تتساوى مع غيرها من الإدراكات الأخرى من جانب كونها تخص " مجالنا السلوكى " ، أى بوصفها " شيئاً سلوكياً " لاتختلف فى كيفية استنباطها ، أو تحديدها عن بقية المجالات السلوكية الأخرى فى الحياة العادية . وبسبب ذلك تعددت الأحكام والاختلافات بحكم التنوع الخاص فى سلوك الأفراد ، ووسائل

1 — المرجع السابق — ص 210 : 211 .

2 — المرجع السابق — ص 238 : 239 .

3 — مصطفى سويف — الأسس النفسية للإبداع — ص 156 .

4 — المرجع السابق — ص 156 : 157 .

5 — المرجع السابق — ص 158 .

اكتسابهم له : " لأن لكل منا عالمه السلوكي الخاص " (1) .
 وخلاصة ذلك إن الإطار هو نظام ذاتي لتكوين الأبنية الخاصة بخبراتنا الفنية ، ثم ترتيبها وفقاً لما بينها من تشابه ، أو تقارب حتى " تلتئم في كل أو إطار استيطيقي " (2) .
 ويعد هذا الإطار المصدر الأول والرئيسي للإبداعات الفنية ، أو الأحكام الذوقية المتعلقة بها ، في حين أن عملية اكتسابنا للأطر أو فعلها في واقعنا عملية تلقائية " دينامية " ، تتم بطريقة تشبه طريقة اكتسابنا للغة ، وتعاملنا بها ، حيث لانضطر — ونحن نتحدث — إلى قياس كلماتنا إلى قاعدة ، أو خبرة نحملها ، وإنما يتم التعبير باللغة بصورة ديناميكية ، دون أن نشعر بها (3) ، وبالكيفية ذاتها تنشأ العلاقة بين الأنا والإطار وبالتالي بينه وبين عملية الإبداع أو التدوق .

ويمكن أن يكون هذا تفسيراً ملائماً لبساطة الفن وتلقائيته ، ولما اتصف به من غموض وإعجاز نتيجة اتساع أفقه ، وغزارة مادته ، بالنظر إلى تعدد الأطر ، وتنوع مصادرها ، أكثر من كون ذلك راجعاً إلى التعقيدات التي وصفت بها مجالاته أو مساراته ، كما هو شأن مدارسه وتفرعاتها الكثيرة .

لقد تميز هذا الرأي — الذي فرغنا منه الآن — بأنه أكثر الآراء شمولاً ، واستيعاباً لإشكالات العملية الإبداعية ، وذلك لأنه يخلق توافقاً ، وانسجاماً بين أهم ركائز الفن ، وفي مقدمتها الذاتية المتمثلة في الأنا الخاصة بالفنان أو المتدوق ، ثم الموضوعية التي تحافظ على أهمية الموضوع الفني في مواجهة الإدراك من ناحية ، وتخرجه عن إطار الفردية الضيقة من ناحية أخرى ، وأخيراً الواقع بوصفه متضمناً في العمل الفني ، من خلال ديناميكية الإطار وبناء على ماتقدم يمكن وصف فكرة الإطار بأنها الخلاصة ، أو النتيجة الأهم بين تلك الأفكار والتوجهات التي قدمناها في هذا البحث ، والتي كانت هدفاً وخاتمة له .

1 — المرجع السابق — ص 175 .

2 — المرجع السابق — ص 160 .

3 — المرجع نفسه — ص 161 .

أزمة الموضوعية في علم الاجتماع

عقيل نوري محمد*

مدخل :

من أبرز الأزمات التي تواجهها العلوم الاجتماعية ، ومن بينها علم الاجتماع ، أزمة الموضوعية ، التي لا تعني عملية حياد أخلاقي للباحث فحسب وإنما تعني أن تتعامل مع العناصر الخارجية للواقع مهملين ولو نسبياً الجوانب الذاتية مركزين بذلك على استقلال الذات عن الموضوع ، وهذا يعد أساساً يستند إليه في تحديد مدى موضوعية الدراسة ، ولكن هل يمكن تحقيق ذلك في علوم تتناول الجانب الاجتماعي والثقافي من السلوك البشري وإعني بذلك العلوم الاجتماعية ؟

وهل يمكن تحقيقها بالذات في علم الاجتماع ؟ بوصفه أحد هذه العلوم .

يبدو لي أن مشكلة الموضوعية مشكلة قديمة ومستمرة ، إذ جرى جدل حولها من أيام بروتو غاروس ، صاحب بدعة " الإنسان مقياس الأشياء جميعاً فما يبدو لك صحيحاً يبدو لغيرك باطلاً " التي جعلت من المعرفة أمراً لا يتعلق بالموضوع الخارجي فقط وإنما بالذات العارفة (1)، وقد استمر الجدل حول هذا الموضوع حتى الوقت الحاضر إذ مازلنا نتشاكل حول إمكانية تحقيق الموضوعية والحيادية في دراسة الظواهر الإنسانية التي تقع ضمن نطاق العلوم الاجتماعية ، ونظراً لأهمية الموضوع وحيوية الحوار فيه ، قررنا أن نضع اسهاماً في هذا المضمار مركزين انتباهنا على علم الاجتماع بوصفه أحد العلوم الاجتماعية المهمة .

وأود الإشارة أولاً إلى أن أزمة الموضوعية ونقيضتها " الذاتية " قد اتخذت طابعاً ثنائياً ، الأول يتعلق بتعدد التوجهات النظرية في نظرية علم الاجتماع ، الذي خلق تعدداً فكرياً واضحاً في فهم الظاهرة الاجتماعية وموقف عالم الاجتماع منها ، وكذلك خلافاً حول طريقة طرح الموضوعي المناسب لتناولها بالبحث والدراسة .

أما الثاني فيتعلق بالمنهجية وهي مسألة مرتبطة دون شك بذلك التعدد النظري آنف الذكر ، هذا فضلاً عن ارتباطها بموضوع الحيادية الأخلاقية والفكرية للباحث وكذلك المناهج والآليات والتقنيات الملائمة لدراسة الظاهرة من جهة ، و المبحوث الخاضع للبحث والدراسة من جهة أخرى ، وفيما يلي إسهام لفهم أزمة الموضوعية في علم الاجتماع نظرياً وبحثياً .

* عضو هيئة تدريس قسم علم الاجتماع ، كلية الآداب والعلوم ، جامعة السابع من أبريل الزاوية ، ليبيا..

أولاً : أزمة الموضوعية نظرياً .

علم الاجتماع كما هو معروف لدينا هو علم دراسة الظواهر الاجتماعية التي هي عبارة عن أنماط من التفكير والشعور والسلوك التي تمتاز بخارجيتها عن الأفراد المكونين لها وإلزامها لهم ، إذ إنها تحمل صفة القهر ، هذا فضلاً عن عموميتها وانتشارها (هذا دور كايميا) .

إن مجرد الحديث عن الظاهرة الاجتماعية يضعنا أمام تصارع نظري سببه التعدد في فهم الظاهرة الاجتماعية وتحديد أبعادها ، والقارئ للتراث النظري لعلم الاجتماع لا يلبث أن يجد العديد من المداخل النظرية التي تعبر عن توجهات أيديولوجية معينة وتعكس الخلفيات الفكرية لمنظري علم الاجتماع المسهمين في تطوير نظريته ، ولهذا نجد اتجاهات متعددة ، صراعية وبنائية وظيفية وتفاعلية رمزية ونقدية وتبادلية وأخرى ظاهراتية ولكن السؤال الذي نريد الإجابة عليه هو ، أين تكمن أزمة الموضوعية نظرياً ؟ إن أزمة الموضوعية من وجهة نظري تبلورت بسبب الخلاف حول طبيعة فهم علماء الاجتماع للظاهرة الاجتماعية من جهة والمنهج الملائم لدراستها من جهة ثانية .

فلو ابتدأنا (بكونت) فإننا نجده يتعامل مع المجتمع بحدود شمولية كلية عضوية تحدده قوانين تدعم حالة الثبات والتغير مستعيناً بمناهج العلوم الطبيعية لفهم حالة الاستقرار والتغير وتعد هذه المناهج محكاً لعلمية وموضوعية العلم (أي علم الاجتماع) (2) في حين استند (دوركايم) إلى الجماعة بوصفها واقعاً اجتماعياً وهذا عكس خلافاً واضحاً مع (سبنسر) الذي أكد إمكانية إرجاع الظواهر الاجتماعية إلى ظواهر فردية (3) وبموجب هذا الرأي السبنسري يمكن تذريرة المجتمع إلى أفراد مع احتفاظه بصفته الشمولية تأكيداً منه بأن مصالح الأفراد لا تتعارض مع المصلحة العامة للمجتمع ، إذ إن سعي الفرد نحو تحقيق مصالحه الخاصة سيؤدي بالنهاية إلى تحقيق المصلحة العامة سواء كان ذلك شعورياً أم لا شعورياً .

ولكن يبدو أن هذا التوجه لم يرق لدور كايم الذي يركز على الجماعة كأساس للدراسة في علم الاجتماع ، وهذا ما جعل غي روشية يذهب إلى تصنيفه ضمن إطار الفهم الموضوعي للفعل الاجتماعي (4) ، وخاصة وأن دوركايم ، ودعماً للموضوعية ، أكد ضرورة

2 - آلان سوينجود ، تاريخ النظرية في علم الاجتماع ، ت السيد عبدالعاطي السيد ، دار المعرفة الجامعية ، 1996 ، ص 59 .

3- Nicholas s. Timasheff , Sociological Theory , its nature and growth ,Random house, Revised edition , New york , 1966 - p 106.

4 - غي روشية ، مدخل إلى علم الاجتماع العام ، الفعل الاجتماعي ، ت مصطفى دندشلي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 - بيروت ، 1983 ، ص 32 .

التعامل مع الظواهر بوصفها أشياء⁽⁵⁾ بدلا من الاستناد إلى التصورات الكونتية والسبنسرية فالأشياء تختلف عن التصورات لأنها واضحة وبارزة داخل الوجود الاجتماعي ، كما أن معرفتنا بالأشياء من الخارج تختلف عن إدراكنا لها من الداخل ، لذا فنحن بحاجة إلى بيانات لا تدرك بالنشاط العقلي الخالص ، وهذا يعني أن الاستنباط بالنسبة لدوركايم يعيق تحقيق الموضوعية ، وهكذا فإن عالم الاجتماع عليه أن يقوم بدور العالم الطبيعي الذي يتعامل مع الظواهر بتجرد ! ومع هذا النقد الدوركايمي لمن سبقه من العلماء ، بتأكيد تطبيق المنهج الجماعاتي ، فإنه لم يبعد كثيرا عن المناهج الكونتية والسبنسرية خاصة فيما يتعلق باستعارة مناهج العلوم الطبيعية من قبل علم الاجتماع واستخدام المنهج الأمبير يقي وتوثيق أهمية الإحصاء في البحث الاجتماعي .

ولكن يبدو أن الطروحات الوضعية سالفة الذكر لم ترق لعلماء الاتجاه الوضعي في علم الاجتماع الألماني ومفكره فكان التصور الكونتي من وجهة نظرهم يمثل تهديدا لدراسة الفعل والثقافة⁽⁶⁾ بسبب اعتماده على قوانين حتمية شمولية متناسية (أي الوضعية الكونتية) أن المجتمع لا يعيش بمعزل عن أفراد له لذا فإن تطبيق مناهج العلوم الطبيعية لتحليل وتفسير حقيقة أو ظاهرة اجتماعية ، لا يصح لأن هذه المناهج مخصصة لظواهر ذات طبيعة يمكن السيطرة على متغيراتها بحثيا في حين تحمل الظواهر الاجتماعية غاطسا سلوكيا يصعب علينا فهم السلوك والسيطرة على متغيراته .

لذلك نلاحظ أن دلتاي وريكرت اتجها إلى فهم العلوم الاجتماعية على أنها علوم عقلية على عكس العلوم الطبيعية التي تقع خارج نطاق العقل الإنساني ووفقا لذلك يميز دلتاي بين منهجي الشرح والفهم ، فالشرح هو أن نتمثل العلاقة بين الذات وعالم الواقع بصيغتها الخارجية ، أي بالاستناد إلى القواعد والضوابط التي تحكم هذه العلاقة ، وذلك بإبعاد ما هو ذاتي من التحليل ، وهذا شبيه بالطرح الدوركايمي ، ولكن ثقافة المجتمع تحتوي على عنصر الفهم أي تفسير الواقع من خلال الذوات الفاعلة وفهم المجتمع دون هذه الذوات يعد أمرا مستحيلا⁽⁷⁾ .

وهذا يعني ان دلتاي يرى ضرورة ترابط منهجي الشرح والفهم في التعرف على ظواهر العلوم الاجتماعية ، وبذلك يكون قد وجه نقدا لدوركايم وكونت وسبنسر ، ولكن يجب تأكيد أن دلتاي لم يعترض على فكرة أمبيريقية المجتمع وانما اعترض على فكرة حتمية وخارجية الأفعال الإنسانية لأنها تحمل معها معطيات ذاتية .

أما ريكتر فقد أكد فردية العلوم الثقافية المستندة أساسا إلى القيم على عكس العلوم

5 – Timasheff Opcit . p 107.

6 – آلان سوينجوود ، مصدر سبق ذكره ، ص 163 .

7 – المصدر السابق نفسه ، ص 164 – 165 .

الطبيعية التي تبحث في موضوعات وأشياء منفصلة عن القيم ، لذا اقترح ريكتر العمل على ربط الأشياء بالقيم ، أي أنه أراد أن يؤكد شيئية الظاهرة ، دوركايميا ، من غير إغفال لإطارها القيمي الذاتي . كما أكد كل من (زمل وتونيز) أهمية ودور الذات الفاعلة في تشكيل الفعل أو الظاهرة ، إذ رفض زمل أن يشكل المجتمع نسقا موضوعيا خارجا عن نطاق الأفراد المكونين له ، كما رفض التصور العضوي الشمولي للمجتمع (سبنسر ، كونت) ، إذ بنى زمل مفهوم المجتمع على ثنائيات من الأشكال والصور ((كراهية ، محبة) ، (صراع ، تعاون) ، (تجاذب ، تنافر) ، (فرد ، مجتمع)) تحقق كلا من الفردية (الذاتية) من جهة وانتظامية الفعل الإنساني بقواعد وضوابط ومعايير من جهة ثانية (8) أما فيبر وهو خلاصة التوجه الخاص بعلم الاجتماع الألماني فقد نظر إلى علم الاجتماع ، متأثرا بسابقه ، من خلال دراسة الفعل الاجتماعي الذي يتعلق بالسلوك المقصود ، أي الفعل الهادف ، ذي المعنى الذاتي (9) فعلم الاجتماع لديه هو محاولة علمية لتحقيق الفهم التأويلي أو التفسيري للفعل بهدف الوصول إلى تفهم سببي لاتجاهاته ونتائجه ونعني بالتأويلي فهم مقاصد الفاعلين من خلال البحث في العلاقة بين الوسائل والأهداف في الفعل الاجتماعي ، ولهذا نجد فيبر يفرق بين مناهج العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية ، ومنها علم الاجتماع ، وذلك لأنها علوم تتفاعل مع جوانب ذاتية (10) تتعلق بمقاصد الفاعلين .

ولكن هذا التأكيد على ذاتية الفعل عند فيبر لا يلغي بالضرورة إمكانية خضوع الفعل إلى الموضوعية التي تؤمن لنا إمكانية التنبؤ بالفعل ، فالفعل فيبريا يخضع لقواعد ومعايير تؤمن لنا إمكانية التنبؤ به ، لأن الفعل سلوك منمط وفقا لتلك القواعد والضوابط والقيم والمعايير ، ومن خلال محاولة الأفراد الربط بين الوسائل والغايات يمكننا ان نحري تحليلاتنا السببية (11) لقد حاول علم الاجتماع الألماني ، إذن استبعاد فكرة الشمولية والخارجية والكلية وعدم عدها معيارا مطلقا للموضوعية لأن طبيعة الظاهرة الاجتماعية والفعل الاجتماعي تقتضي فهما ثقافيا قيميا ، ومن هنا فقد أدخل هذا العلم معطيات جديدة إلى علم الاجتماع منها ، ان المجتمع لا يمثل كلا سابقا على أجزائه كما أن مفاهيم الذات الإنسانية والفهم والقصد تعد محاور أساسية في علم الاجتماع ولا يمكن للباحث تجاوزها فالظواهر الاجتماعية فيبريا تكتسب معناها فقط من خلال ارتباطها بنسق قيمي معين يؤثر على عالم الاجتماع من حيث

8 - المصدر السابق نفسه ، ص 167 - 172 .

9 - percy .s.Cohen , M0drn Social theory , Basic books , inc , publishers , New york , 1968 .pp 81 - 82.

10 - Ian Robertson , Sociology , Worth publishers , fourth Edition , Inc , New york , 1983 , p 35.

11 - آلان سوينجود ، مصدر سبق ذكره ، ص 181 .

اختياره لموضوع الدراسة في علم الاجتماع (12) .

أما الاتجاه النظري النقدي ، الذي انطلق انطلاقاً ماركسية محاولاً صياغة علم اجتماع له مفاهيمه ومناهجه التي تحاول ان تقف ضد التوجه الوضعي الوظيفي ، فيذهب إلى ان مهمة النظرية النقدية هي اختراق عالم الأشياء املاً في كشف العلاقات الكامنة وراءها وبالتالي العمل على تشخيص مكامن الخلل في الظاهرة لإيجاد حلول لها ، وهذا يعني أن الاتجاه النقدي ، من خلال أبرز منظرية (ركهايمر) ينصب عالم الاجتماع مصلحاً اجتماعياً ، ولذلك يرى هوركهايمر بأن النظرية لا يمكن أن تكون محايدة أو موضوعية ، فموضوعية الوضعية من وجهة نظره ما هي إلا شعارات تنطلق من أساس غير واع منهجياً من خلال مماثلة العلوم الطبيعية بالعلوم الإنسانية (13) .

إن من أبرز ما التزمت به النظرية النقدية هو المنهج الجدلي الذاتي وعدته منهجاً ملازماً لأي نظرية نقدية (14) كما التزمت برفضها لتشويء الوعي الإنساني استمراراً للأفكار الماركسية وفي هذا نقد واضح للأفكار الوضعية عامة والدوركايمية خاصة أما منظور التفاعلية الرمزية فقد ركز على عملية التفاعل الاجتماعي الجارية بين الأفراد الذين يعدون وحدة أساسية يركز عليها المجتمع بجماعاته ومؤسساته وتنظيماته ولهذا نجد أن المفاهيم التي يستخدمها هذا المنظور سواء أكان بأسلوبه الكلاسيكي أم المحدث ، تتعلق بـ (العقل البشري ، الذات الإنسانية ، الأنا ، النفس البشرية ، التوقعات الاجتماعية ، الذات المنعكسة ، الجماعات الأولية ، الجماعات الثانوية) مستبعدة بذلك المقولات الكلية كالنظام والنسق والبناء والحضارة (15) ، ولهذا فقد مال هذا الفكر إلى تضيق الحيز المجالي للظاهرة الاجتماعية أو أنه اهتم (بالميكروسوسيولوجيا) بدلاً من (الماكروسوسيولوجيا) محاولاً الربط بين ما هو نفسي وما هو اجتماعي للوصول إلى فهم دقيق للظاهرة الاجتماعية لقد مال هذا المنظور إلى الأسلوب الإصلاحي أيضاً خاصة أنه قد ظهر في الولايات المتحدة عقب انتشار المشكلات الاجتماعية والجرائم والانحرافات فيها .

12 - المصدر السابق نفسه ، ص 181 .

13 - عدلي على أبوطاحون ، تصميم البحوث الاجتماعية ، المكتب الجامعي الحديث ، ط 1 ، الإسكندرية ، 1999 ، ص 204 - 205 .

14 - المصدر السابق نفسه ، ص 206 .

15 - معن خليل عمر ، نقد الفكر الاجتماعي المعاصر ، دار الآفاق الجديدة ، ط 2 ، بيروت ، 1991 ، ص 229 .

* لقد اتخذ التفاعليون الرمزيون مناهج ذات بعد ذاتي أبرزها الاستبطان الذي يقوم على تقمص دور المبحوث بشكل واقعي ولمسوس للتعرف على طبيعة الظاهرة المدروسة من خلال إخضاع ذات الباحث وجعلها عيناً للاختبار !! .

أما الاتجاه الظاهراتي وفقا لآراء شوتس فيقوم على التمييز بين العلوم الإنسانية والعلوم الطبيعية لأن هنالك فوارق بين الأشياء الطبيعية والأشياء الاجتماعية ، فالأولى معطاة لي ولغيري مستقلة عن تدخل الإنسان ، في حين لا تكون الأشياء الاجتماعية مفهومة إلا بوصفها ناتجة للنشاط الإنساني ويذهب شوتس أيضا إلى أن العلوم الاجتماعية علوم تهتم بتفسير الدوافع التي دفعت الفاعل للقيام بالفعل ، والتي يقسمها شوتس إلى قسمين هما : دوافع (لأن) (Because motives) أو الدوافع المسببة ، التي تشير إلى الأسباب الماضية الدافعة للقيام بالفعل ، ودوافع لكي (In order to motives) التي تتعلق بأبعاد مستقبلية متمثلة في الأهداف التي يسعى إليها الفاعل (16) .

إن الاهتمام بالدوافع يعني أن هذا التوجه يحمل منطلقات ذاتية ، ولكنها جزء لا يتجزأ من فهم الفعل ، فصحيح إنه فهم داخلي ولكنه ضروري لتكوين رؤية تكاملية عن الفعل ولكي يتخلص شوتس من الإيغال في الذاتية فإنه يستند إلى اصطناع نماذج المثالية ، على النمط الفيبيري ، للأفعال ثم يعتمد إلى المساواة بين هذه الأفعال النمطية وبين دوافع (لأن) و (لكي) ، فهو إذن نموذج لفاعل يتخيله عالم الاجتماع يقيس على أساسه الدوافع (17) .

لقد حاول قسم من العلماء أن يجمع عدة اتجاهات في بونقه نظرية واحدة كما فعل كوزر ودارندوروف عندما ربطا بين الفكر الصراعى والفكر البنائى الوظيفي ، وكما فعل بارسنز الذي استطاع أن يجمع عدة أقطاب نظرية في نظريته عن الفعل الاجتماعى إذ قدم له فهما وظيفيا قائما على الربط بين ذاتية فيبر وموضوعية دوركايم هذا فضلا عن تضمينه أقطابا فكرية جديدة في نظرية علم الاجتماع مثل القطب الفرويدي النفسى والقطب الاقتصادى من خلال آراء الفرد مارشال ، وتفاعله كذلك مع آراء بياجيه ، ولا يمكن أن نتناسى البعد الاقتصادى للظاهرة الاجتماعية رغم الانتقادات الموجهة إلى بارسنز لأنه استبعد القطب الماركسي الصراعى في فهمه لنظرية الفعل .

إن هذا الاختلاف في تناول الظاهرة وطريقة التعامل معها ولد تعددية واضحة في علم الاجتماع أو بالأحرى في نظرية علم الاجتماع مما ولد قلقا فكريا حول كيفية فهم الظاهرة وطريقة دراستها فهل هذا الاختلاف والتعدد التوجهاتى يحول دون تحقيق الموضوعية في علم الاجتماع ؟

إن هذه التعددية لاتخل حقيقة بعلمية علم الاجتماع وموضوعيته بل على العكس فإني أراها أمرا أثرى علم الاجتماع وجعله من العلوم المتميزة نظريا فالاختلاف حول فهم الظاهرة وطريقة تناولها يعني أن التركيز ينصب حول ميدان واحد هو الظاهرة الاجتماعية التي تمتاز

16 - صلاح قضاة ، الموضوعية في العلوم الإنسانية ، عرض نقدي لمناهج البحث ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ط 1 ، القاهرة ، 1980 ، ص 266 - 267 .

17 - راجع في ذلك المرجع السابق نفسه ، 270 - 271 .

بتغيرها وكونها تحمل عمقا سلوكيا وفكريا وشعوريا يجعلها ذات أبعاد وأوجه متعددة وهذا ما انعكس في تعدد التوجهات النظرية في نظرية علم الاجتماع الذي يتناسب طرديا مع تعدد الظاهرة الاجتماعية مما يتيح لنا ، أي التعدد ، فرصة التعرف على الأوجه المتعددة للظاهرة لذا فإن دراستها من الخارج أو دراستها من خلال البعد الذاتي كله يسهم في إعطاء صورة أكثر عمقا في تحليل ودراسة الظاهرة .

والأمر الذي يسعنا في علم الاجتماع موضوعيا هو خضوع الظواهر إلى قواعد ومعايير محددة لها مما يسهل على الباحث إمكانية تركيز انتباهه على هذه القواعد والضوابط ، كوجود خارجي ، ومقدار تأثيرها في الفاعل ومقدار تطبيق الفاعل لها ، وبالتالي يمكن صياغة مقاييس ومحكات تسهل لنا دراسة الظواهر الاجتماعية ميدانيا وإن كان هذا ليس بالأمر اليسير .

ثانياً : أزمة الموضوعية بحثياً :

هذا الجزء من الموضوعية لا ينفصل عن الموضوعية في النظرية لأن هنالك ترابطاً علمياً معروفاً بين النظرية ومناهج البحث ، ولكن تبدو مشكلة الموضوعية في الجوانب المنهجية أكثر وضوحاً منها في الجوانب النظرية لأن التعريف التقليدي للموضوعية يركز على حيادية الباحث وتجرده من الأحكام القيمية المسبقة ، عاطفياً ، أيديولوجياً ، مذهبياً ، في الحكم على الأشياء والظواهر التي تخضع للدراسة ، ولكن هذا ليس كل شيء في فهم الموضوعية ، فالموضوعية بحثياً من وجهة نظري من الممكن أن تأخذ ثلاثة أبعاد هي :

1 - محور الباحث .

2 - محور البحث .

3 - محور المبحوث .

وهذه المحاور الثلاثة متداخلة يصعب فك الارتباط بينها ، خصوصاً الأول منها والثاني ولكننا نستخدم هذا الفصل نظرياً لأغراض التحليل والفهم .

1 - محور الباحث :

كان من أبرز المتصدين والمفصلين في هذا الموضوع هو العلامة ابن خلدون الذي أكد في مقدمته ضرورة تجرد الباحث من الأهواء والميول والمقاصد لأن تجرده يمنعه من الوقوع في خطأ التحيز الذي هو آفة تطيح بالعلم ، وأبرز المطبات التي يقع فيها الباحث خلدونياً هي التشيع للآراء والمذاهب أو تقربه من السلطان وذوي الشأن أو عدم المعرفة بالدوافع والمقاصد الكامنة وراء الحدث أو الظاهرة وعلى الرغم من تحذير ابن خلدون من وقوع الباحث في هذه المنزلاقات ، إلا أننا نجد أن الكثير من الباحثين يقعون فيها ، ومنهم ابن

خلدون نفسه الذي عَرَفَ بتعامله على البداوة إذ وصفها بصفات تدل على وجود ميول عاطفية ضدها أو أحكام مسبقة عنها وقد وضع أثر الميل الأيديولوجي على العديد من علماء البنائية الوظيفية ، من خلال سعيهم إلى تهميش فكرة الصراع في قاموس علم الاجتماع وكذلك اتضح أثر النزعة البرجوازية في معالجة ظواهر الاجتماع الإنساني لديهم .
وعلى وجه العموم يمكننا أن نقدم جملة من النصائح التي تفيد الباحث في دراسته للظواهر الاجتماعية :

- 1 - التجرد من الأهواء والميول الذاتية والأحكام القيمية والانفعالية .
 - 2 - عدم الميل إلى استخدام العبارات ذات المنحنى التعميمي مثل (مما لاشك فيه) إطلاقاً (لا يختلف عليه اثنان) (مما اتفق عليه العقلاء) والاستعاضة عنها بعبارات تدلل على النسبية ، مثل (نسبياً) (أحياناً) (قد يرجع) (قد يعود)⁽¹⁸⁾
 - 3 - تدعيم الآراء التي يستند إليها الباحث بالحجج المنطقية وبالمراجع العلمية ذات الإثباتات الميدانية .
 - 4 - عدم الابتعاد عن الموضوع الأساسي للدراسة لأنه يقع الباحث في مزلق السهو عن الهدف الأساسي في الدراسة .
 - 5 - من المفضل أن يضع الباحث في حساباته الآراء التي تقف ضد توجهاته وأفكاره محاولاً اختبارها ميدانياً أو حتى التحاور معها منطقياً ، وهذا يدخل باب احترام العقل الآخر وعدم التعصب للآراء الخاصة بالباحث .
 - 6 - يرى لزي وايت ضرورة تجنب وصف الجماعات البشرية بصورة مزاجية أو ذهنية معينة كأن توصف بأنها نشطة أو بطيئة أو عقلانية أو مادية أو روحية وبدلاً من ذلك يتم التركيز على وصف التراث الثقافي لتلك الجماعات⁽¹⁹⁾ كما هو دون إعطاء وصوفات قد تكون غير منطقية وغير صحيحة وحتى وإن كانت صحيحة إلا أنها غير مقبولة .
- إذا ما راعى الباحث هذه الشروط من الممكن أن نقول إنه قد تجرد وتعامل بموضوعية مع الظاهرة موضوع الدراسة .

2 - محور البحث :

هذا المحور لا ينفصل عن سابقه والسبب يرجع إلى أننا نعني بهذا المحور كيفية صياغة الباحث لبحثه بمختلف مراحل النظرية والميدانية وكيفية تعامله مع الظاهرة التي يقوم

18 - راجع في هذا الشأن ، محبوب عطية الفاندي ، طريق البحث في العلوم الاجتماعية ، منشورات جامعة عمر المختار ، البيضاء ، ط1 ، البيضاء ، 1994 ، ص 32 ، كذلك مع خليل عمر ، الموضوعية والتحليل الاجتماعي ، دار الآفاق الجديدة ، ط1 ، بيروت ، 1983 ، 18-19 .

19 - قيس النوري ، الثقافة والشخصية ، منشورات جامعة بغداد ، (د-ت) ، ص 89 .

بدراستها ، ونظرا لسعة هذا الموضوع وتشعبه فسنكتفي بالحديث عن الجوانب الآتية مشكلة البحث ، مفاهيم البحث ، فروض البحث – عينة البحث .

أ – مشكلة البحث :

المشكلة البحثية هي عبارة عن موضوع يحيط به الغموض بحاجة إلى فهم وتفسير وهي بذلك تختلف عن المشكلة الاجتماعية ، إذ يوجد خطأ شائع يتم بموجبه التعامل مع المشكلة البحثية على أنها مشكلة اجتماعية ، فالمشكلة البحثية ترتبط بموقف أو بعلاقات غامضة وغير محددة يسعى الباحث إلى كشفها وتحديدها ، بينما المشكلة الاجتماعية تتطلب موقفاً إصلاحياً لأنها تمثل عقبات تحول بين الظاهرة الاجتماعية وأدائها لوظائفها أو أنها تمثل انحرافاً عن مسار السلوك الاجتماعي⁽²⁰⁾ .

ولابد للباحث ، كخطوة أولى ، أن يبدأ باختبار مشكلة بحثية معينة ثم بعد ذلك يقوم بتحديد أبعادها الأساسية ، وهناك عدة معايير تدخل في اختيار الباحث لمشكلة بحثية معينة دون غيرها أهمها ما يأتي (21) :

- 1 – اهتمام الباحث شخصياً بالمشكلة موضوع الدراسة .
- 2 – وجود اهتمام اجتماعي بها ، إذ إنها تستحوذ على اهتمام المجتمع ورجال الفكر أو المخططين ... الخ .
- 3 – توفر الدعم المادي للباحث ، كان تطلب جهة معينة دراسة مشكلة بحثية معينة مقابل مبالغ مادية تعطى للباحث أو للمركز البحثي .
- 4 – إمكانية الحصول على المراجع والمعلومات والتسهيلات المختلفة ، تسهم أيضاً في إقبال الباحث على دراسة ظاهرة دون أخرى ، كما أن دخول بعض الظواهر الاجتماعية ضمن قائمة ممنوعات (كالظواهر السياسية والدينية) قد يمنع الباحث من الإقبال على دراسة هذه الظواهر وطرحها كمشكلات بحثية قابلة للبحث والدراسة .
- 5 – التأكد من صحة دراسة سابقة أو نظرية سابقة يريد الباحث أن يرى مقدار صلاحيتها باختلاف الزمان والمكان ، مجدداً يمكن طرحها على أنها مشكلة بحثية يمكن إعادة اختبار فروضها وتعميماتها .

بعد اختيار المشكلة على الباحث أن يقوم بتحديد أبعادها من خلال تحديد المتغيرات الأساسية الداخلة في فهم هذه المشكلة ويعد هذا الأمر ضرورياً لرسم طبيعة العلاقات

•• لزلي وايت أحد أبرز المصنفين في تشكيل الاتجاه فوق العضوي في حقل الثقافة والشخصية.

20 – علي أبو طاهون ، مصدر سبق ذكره ، ص 287 .

21 – مصطفى عمر التير ، مساهمات في أسس البحث الاجتماعي ، معهد الإنماء العربي ، ط 1 ، 1989 ، ص

الافتراضية التي يضعها الباحث لتفسير مشكلة بحثه ، من خلال إيضاح العلاقات بين المتغيرات الداخلة في الظاهرة موضوع الدراسة أو البحث ، ولكي يتمكن الباحث من السيطرة على مشكلة بحثه عليه أن يأخذ بالنصائح الآتية :

1 - تحسس المشكلة من خلال الملاحظة المباشرة للظاهرة ، إذ يفضل أن يقوم الباحث بزيارات ميدانية للتعرف على أبعاد الظاهرة موضوع الدراسة ، أو قد يستخدم الباحث استبيانات ومقابلات استطلاعية للغرض ذاته ، فلو أراد باحث ، دراسة (المشكلات التي تواجه العاملين بالصناعة وعلاقتها بالإنتاجية) فمن الممكن أن يقوم بزيارات ميدانية لعدد من المصانع للتعرف على أبعاد هذه المشكلات ، وقد يقوم الباحث أيضاً بتصميم استبيان استطلاعي يساهم في تحديد الأبعاد الأساسية لمشكلة بحثه .

2 - قراءة الأدبيات المكتوبة حول الظاهرة موضوع الدراسة لغرض أخذ فكرة عن الكيفية التي عولجت بها هذه الظاهرة نظرياً ومنهجياً .

3 - يقوم الباحث بعد ذلك باشتقاق وتخصيص المشكلة موضوع الدراسة من خلال ما تم تجميعه من ملاحظات ميدانية ومن خلال ما قام به الباحث من دراسة للأدبيات المكتوبة حول الظاهرة التي يدرسها .

أي أن الباحث يقوم بتحديد الأبعاد النظرية والإجرائية لمشكلة بحثه فيحدد بذلك انتباهه في جوانب محددة دون غيرها ، كأن يحدد الباحث مشكلة البحث السابقة الذكر (المشكلات الأسرية وعلاقتها بضعف إنتاجية العاملين بالصناعة) .

إن تحديد المشكلة ووضوح أبعادها يساعد الباحث بشكل واضح على تحقيق قدر عال من الموضوعية في دراسته لأنه من خلال ذلك التحديد يضع يده على المتغيرات الداخلة في مشكلة بحثه وعلى صياغة فروض واضحة تؤمن سيراً عملياً وموضوعياً للبحث ، وهذا يعني أن وضوح البداية وسلامة خطواتها سوف يمكن الباحث من أخذ خطوات أخرى علمية وموضوعية في بحثه .

ب - المفاهيم :

المفهوم هو عبارة عن تجريد ذهني يضع مجموعة من الحقائق تحت رمز معين وتصاغ المفاهيم عادة بعدة أساليب أهمها .

1 - خيال الباحث وقدرته على الاستنباط إذ إن الباحث قد يشتق من المفاهيم العامة مفاهيم أكثر خصوصية كاشتقاق مفهوم المركز المهني من مفهوم المركز الاجتماعي .

2 - تعيين المفهوم عن طريق الخبرة والملاحظات الشخصية للباحث .

3 - الاستناد إلى دراسات وأبحاث سابقة في تحديد المفهوم خصوصاً إذا ما كانت الدراسات متطابقة أو متشابهة مع ما يتناوله الباحث في مشكلة بحثه .

أما تصنيفات المفاهيم في علم الاجتماع فهي مفاهيم تجريدية وأخرى إجرائية وتتعلق الأولى بالتجريد الذهني للمفهوم أو بالمعنى النظري له الذي نهتدي به في صياغة مفاهيمنا الإجرائية ، التي تعبر عن تعريفات إجرائية توضح الجوانب القياسية للمفهوم ، إذ يشير المفهوم الإجرائي إلى السمات والحقائق الواقعية التي يتم تناولها ميدانياً ، تحت رمز معين ، وبمعنى آخر نرى أن المفاهيم هي مفاتيح للتعرف على طبيعة تصوراتنا للمتغيرات الداخلة في مشكلة بحثنا نظرياً وإجرائياً ، إذ يأتي المفهوم نظرياً بتحديد الأبعاد الأساسية التي يعبر عنها المتغير ، في حين نحدد إجرائياً استخدامنا للمتغير والمحكات التي سنعتمدها في قياسه ميدانياً ، ولهذا عادة ما يكون المفهوم التجريدي أوسع وأشمل قياساً بالمفهوم الإجرائي الذي يمتاز بالتخصيص والتحديد .

ونظراً لأهمية المفاهيم ودورها في البحث فإننا ننبه إلى بعض الأخطاء التي من الممكن أن يقع فيها الباحث عند صياغته للمفاهيم ، بعض منها مستوحي من أفكار العالم زيربرك ، ومنها ما يأتي :

- 1 - سعة المفهوم على حساب التناول الإجرائي له ، أي أن المعطيات المستخدمة في المفهوم الإجرائي لم تستوعب عند تناول المفهوم إجرائياً ، فلو حدد الباحث الالتزام الديني بأنه يتمثل بـ (الإيمان والعبادات والمعاملات) ثم تناول المفهوم إجرائياً بأن حدده من خلال العبادات فقط أو ضمن أداة قياس المتغير ((الالتزام الديني)) فقرات أو أسئلة عن العبادات فقط ، فإنه يقع في خطأ سعة المفهوم على حساب التناول الإجرائي له ، وهنا لا بد للباحث من إجراء تناسق بين المفهوم التجريدي والمفهوم الإجرائي مع جهة ، مع ضرورة تناول المفهوم إجرائياً وفقاً للتحديد الملزم به في التعريف الإجرائي للمفهوم من جهة ثانية .
- 2 - سعة التناول الإجرائي على حساب المفهوم .

يعد هذا الخطأ من الأخطاء التي تهدم البحث كلياً فلو حدد باحث ما الالتزام الديني بأنه يضم (العبادات والمعاملات) وعند التناول الإجرائي للمتغير ضمن الباحث أبعاداً جديدة لا توجد لها تغطية نظرية في الإطار النظري للبحث كأن يتناول الباحث الالتزام الديني من خلال (الإيمان والعبادات ، والأخلاق والمعاملات) ، هنا يقع الباحث في خطأ سعة التناول الإجرائي قياساً بالمفهوم الذي استند إليه الباحث في إطاره النظري (22) .

- 3 - تداخل المفاهيم وعدم وضوح حدود فاصلة بينها ، وأعني بذلك المفاهيم المتقاربة ، وبما أن المفاهيم تعبر عن المتغيرات الداخلة في البحث ، لهذا لا بد للباحث من إعطاء صورة واضحة نستطيع من خلالها تمييز المفاهيم المتقاربة على الأقل (مركز مهني ، مركز اجتماعي) (الانتحار الأناني ، الانتحار الانومي) (التحديث ، التنمية ، الغربية) .

4 - عدم وضوح المحكات الخاصة بقياس المتغير أو المتغيرات التي يعبر عنها المفهوم وهذا يرجع عادة الى عدم وضوح التعريف الإجرائي مما يصعب مهمة السيطرة عليه ، عن طريق أدوات جمع البيانات كالاستبيان والمقابلة الخ .

بوجه عام يمكننا القول إن من أهم معايير قوة البحث وعلميته هو تمكن الباحث من اشتقاق المفاهيم الإجرائية من المفاهيم التجريدية شريطة أن تكون المفاهيم الإجرائية قابلة للبحث والقياس وذلك يتم من خلال توصيفها وتعريفها إجرائيا بتحدد الركائز والحقائق المنطوية ضمن المفهوم مما يسهل قياس المتغيرات عن طريق الأدوات المنهجية كالمقابلة والاستبيان والمقاييس وفي ضوء دقة المفاهيم وتوصيفها الدقيق للمتغيرات يمكننا توليد فرضيات علمية ناجحة قابلة للاختبار الميداني .

ج - الفروض :

الفرض هو عبارة عن علاقات احتمالية ذات تصميم منطقي قابلة للاختبار والقياس بين المتغيرات التي تقوم عليها مشكلة البحث أو هي حلول مقترحة لمشكلة ما يعبر عنها بتعميمات أو مقترحات (23) وهناك عدة مصادر يشتق منها الباحث فرضياته أبرزها : -

1 - المعاينة والملاحظة للظواهر المراد دراستها .

2 - خيال الباحث وقدرته على اشتقاق فرضيات ذات أبعاد منطقية ، شريطة أن لا يبتعد هذا الخيال عن الظواهر الملاحظة التي تدور حولها مشكلة البحث ويعد هذا النوع من الفروض نوعاً ابتكارياً يعتمد على قدرة الباحث وتمرسه في تحليل الروابط والعلاقات بين الظواهر (24) .

3 - اشتقاق الفروض من نظريات سابقة تناولت نفس الظاهرة أو ظواهر قريبة الصلة بها .

ولكي يكون الباحث موضوعياً في تعامله مع الفروض لا بد أن يراعي عدة أبعاد عند صياغته لها : -

1 . وضوح الفرض وخلوه من الغموض وذلك يتم بإيضاح المتغيرات المستقلة والمعتمدة وكذلك المتغيرات الوسيطة إن وجدت .

2 . يجب أن يتماشى الفرض منطقياً مع القضية التي يشتق منها .

3 . أن تكون الفرضية قابلة للاختبار والقياس وهذا يقتضي من الباحث العمل على صياغة

23 - ديوبولد فان دالين ، مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، ت . د . محمد نبيل وآخرون ، مكتبة

الانجلو المصرية ، القاهرة ، 1969 ، ص 225 .

24 - علي أبو طاحون ، مصدر سبق ذكره ، ص 350 .

* القضية ، هي علاقات بين المفاهيم ذات صفة عمومية تشتق منها الفرضيات لفرض الوصول إلى تصميم إجرائي لها بما يحل مهمة قياسها واختبارها .

فرضه بشكل إجرائي وذلك لن يتم إلا بوضوح التعريفات الإجرائية للمتغيرات التي تشكل الفرضية (25) .

4 . أن يعمل الفرض على إيجاد تفسير منطقي لوجود علاقة أو عدم وجود علاقة بين المتغيرات المتعلقة فرضياً .

5 . يفضل بعض الباحثين الاستعانة بالفرض الصفري ، تقليلاً لإمكانية التحيز لرأي على حساب آخر إذ يقوم الفرض الصفري على عدم وجود علاقة بين المتغيرات الداخلة في التفاعل الافتراضي (26) .

6 . في حالة وجود فروض عديدة لدى الباحث فمن المفضل أن يصنف هذه الفروض استناداً إلى أهميتها في تفسير مشكلة البحث من جهة وإلى قابليتها للقياس من جهة ثانية ، إلى فروض أساسية وثانوية ومن المفضل عادة في البحوث العلمية الرصينة أن يكون عدد الفروض محدوداً لأن كثرتها يشتت الباحث ويربك مسيرة البحث .

د - العينة :

تتطلب العديد من البحوث السوسولوجية الاعتماد على عينات تسهل مهمة الدراسة ، ويفترض في العينات عادة أن تكون ممثلة بنسبة كبيرة للمجتمع الذي سحبت منه ، ويفترض في العينة أيضاً أنها تساعد الباحث وتمكنه من الوصول إلى مجتمع الدراسة بوقت وتكاليف أقل ، ونظراً لأهمية العينات بوصفها تمثل الحيز الذي نعتمد عليه في نتائجها بحثياً ، لذا لا بد للباحث من أن يستند على أسس علمية في تحديد حجم العينة من جهة ويتأكد من دقة تمثيلها للمجتمع وفيما يأتي بعض الآراء المتعلقة بهذا الخصوص .

أ - حجم العينة : من أبرز العوامل المؤثرة في حجم العينة هي :

- 1 . حجم المجتمع الأصلي الذي تسحب منه العينة ، إذ كلما كان المجتمع كبيراً أدى ذلك إلى توسيع حجم العينة .
- 2 . درجة تجانس المجتمع المبحوث ، إذ كلما قل التجانس زاد حجم العينة وذلك كي يغطي معظم الفئات والطبقات الأقسام الداخلة في الدراسة .
- 3 . نوع العينة ، وهذا يعتمد على الاحتياجات التي تتطلبها مشكلة البحث فهناك عينات عشوائية بسيطة ، وهناك عينات عشوائية طبقية ، تتطلب ربما عدداً أكبر من سابقتها ، وذات مراحل متعددة ... الخ . وعلى وجه العموم ليس هنالك اتفاق مطلق بين علماء الاجتماع حول الحجم المثالي للعينة فهناك من يؤكد بأن أخذ نسبة 5 % فقط من المجتمع

الأصلي تعد كافية وتحقق الغرض العلمي وهناك من يؤكد ضرورة سحب 10 % من مجتمع البحث لتكون النتائج أدق وأكثر علمية ومعياري الدقة طبعاً هو مقدار تمثيل العينة للمجتمع المبحوث .

أما العالم بلالوك فقد عرض في كتابه (الإحصاء الاجتماعي) معادلة إحصائية لتحديد حجم العينة متداولة في البحوث والدراسات الخاصة في علم الاجتماع وتقوم فكرة المعادلة على تقدير الخطأ المعياري مع تحديد مستوى الثقة الذي يمكن أن يتعامل معه الباحث (27) .

وهذه المعادلة هي

$$\frac{\text{الخطأ المعياري (1 ، 96)}}{\text{حد الثقة}} = \text{ن}$$

ويعترف بلالوك نفسه بالخلل الموجود في هذا القانون إذ يذهب إلى أن النتائج المترتبة على هذا القانون ليست ذات قيمة كبيرة لأنها تعتمد على التقدير الشخصي في تحديد الخطأ المعياري الذي يعتمد أساساً على معرفة الانحراف المعياري والذي لا يستطيع الباحث الحصول عليه بصورة دقيقة ويقترح بلالوك بعض الحلول لمعالجة هذا الإشكال :

- 1 . الاستعانة بخبراء إحصائيين لغرض تقدير الانحراف المعياري في المجتمع الأصلي .

- 2 . الاستفادة من الدراسات السابقة في تقدير حجم العينة مع مقارنتها بحجم المجتمع الأصلي .

- 3 . إقامة دراسة استطلاعية قبل القيام بالدراسة الميدانية (28) ، لغرض الحصول على رقم تقريبي للخطأ المعياري المشتق من الانحراف المعياري .

- 4 . إضافة 30 - 60 وحدة للعينة تلافياً للأخطاء الناتجة عن استخدام هذا القانون .

ولكي نتحصل على حجم عينة مناسب في ضوء هذا القانون علينا اتباع الآتي :

- 1 - يقوم الباحث بسحب عينة استطلاعية بطريقة عشوائية ولتكن 50 وحدة ويعمل على استخراج الوسط الحسابي لأحد المتغيرات والانحراف المعياري عن ذلك الوسط .

27 - Hubert.M.Blalock , Social statistics , Mc Graw.Hill Book company , Inc newyork , 1960.p167 .

28 - المقترحات الثلاثة الأولى هي مقترحات وضعها بلالوك في كتابه الإحصاء الاجتماعي في طبعة لاحقة ، راجع ، مع خليل عمر ، الموضوعية والتحليل في البحث الاجتماعي ، مصدر سبق ذكره ، ص 121 - 122

2 - نفترض أن قيمة الانحراف المعياري للعينة مساوية لقيمة الانحراف المعياري الموجود في مجتمع البحث وهذا يعني أن

$$S = Q$$

نفترض أن درجة الثقة بالعمل هي 95 % المساوية لـ 1.96 جدولياً .

3 . يفترض الباحث حداً معيناً للثقة قدره بلالوك بـ 0.1 الذي يمثل الفرق

بين الوسط الحسابي للعينة والوسط الحسابي لمجتمع البحث .

4 - نحسب الخطأ المعياري من خلال المعادلة الآتية :

$$\frac{\text{الانحراف المعياري}}{\sqrt{\text{الجذر التربيعي لعدد أفراد العينة}}}$$

وكمثال على ذلك لو أن الباحث اكتشف أن الانحراف المعياري عن الوسط = 4.2 .

$$\text{هذا يعني أن الخطأ المعياري} = \frac{4.2}{\sqrt{50}} = \frac{4.2}{7.07} = 0.59$$

إن الخطأ المعياري = 0.59.

6 - نعود إلى معادلة بلالوك

$$\frac{1.96 \times \text{الخطأ المعياري}}{\text{حد الثقة}} =$$

$$11,564 = \frac{1.96 \times 0.59}{0.1}$$

$$\text{إن } n = 7^3 = 133$$

7 - لتلافي احتمالية الخطأ على الباحث أن يضيف 30-60 - وحدة إضافية للعينة كي يصل إلى درجة موثوقية أعلى .

ب - مدى تمثيل العينة لمجتمع البحث :

يتفق الباحثون الاجتماعيون على أن العينة العشوائية بأنواعها هي أفضل وسيلة يمكننا من إتاحة فرص متكافئة لكل الوحدات للدخول ضمنها دون تحيز لوحدة على حساب أخرى ، ولكن مع هذا كيف يتأكد الباحث من أن العينة تماثل التوزيع الطبيعي لمجتمع البحث ؟ وعلى هذا السؤال نجيب بالآتي :

يمكن للباحث أن يستند إلى فرضية المنحنى الاعتدالي كأساس يرى من خلاله مدى دقة اختيار العينة فإذا ما استطاع الباحث أن يعرض عينته من خلال أحد المتغيرات الأساسية الداخلة في التحليل على المنحنى الاعتدالي فإذا ما ظهر أن المنحنى يتوافر فيه الشروط العلمية إذن من الممكن القول إن العينة ذات تمثيل جيد لمجتمع البحث هذا فضلاً عن أنها تعبر ضمناً عن دقة المتغيرات المستخدمة في الاختبار وكذلك دقة أدوات القياس المستخدمة من قبل الباحث .

وعلى الرغم من صعوبة توفر منحنى اعتدالي تتوافر فيه المواصفات القياسية الكاملة من حيث (المساحة والتقلطح والالتواء) إلا أن عرض الباحث للعينة على المنحنى الاعتدالي يعتبر ضرورة موضوعية وعلمية فالتأكد من مدى مصداقية تمثيل العينة للمجتمع المبحوث يعد عنصراً أساسياً لتعميم النتائج وإلا فإن النتائج ستكون محصورة في حدود العينة المأخوذة من قبل الباحث .

وللتعرف على اعتدالية التوزيع يمكن للباحث أن يقوم بالخطوات الآتية :

1 . استخراج الوسط الحسابي والانحراف المعياري للمتغير المراد قياسه .

2 . توزيع المساحات تحت المنحنى وفقاً للمعادلة الآتية :

$$(S + X) \text{ (الوسط الحسابي + الانحراف المعياري) .}$$

3 . لو ظهر أن 68.26 من أفراد العينة يتمركزون بين (الوسط + الانحراف) بحيث تتوزع الوحدات بنسبة 34.13 بالاتجاه الموجب و 34.13 بالاتجاه السالب ونسبة 15.42 موجب من الوحدات التي تتجاوز الوسط + الانحراف وكذلك 15.42 للوحدات التي تقل عن الوسط - الانحراف ، وبعد ذلك نقوم باحتساب (التقلطح والالتواء) فإذا ما وجدنا أنهما ضمن المواصفات القياسية نستطيع أن نقول إن التوزيع الخاص بالعينة توزيع معتدل وإنه يماثل التوزيع الخاص بالمجتمع ، ويمكن للباحث أن يقسم المساحات تحت المنحنى باستخدام درجتين معياريتين بدلاً من درجة معيارية واحدة إذا كان ذلك يخدم البحث ويعززه ، وفي حالة توفر المواصفات شبه القياسية للمنحنى ، ولا نقول القياسية ، فإن النتائج التي يخرج بها الباحث تكون ذات موثوقية عالية وقابلة للتعميم على المجتمع المأخوذة منه ، أما في حالة عدم مطابقة المنحنى للمواصفات المطلوبة فإن الخلل يعود إلى أحد العوامل الآتية أو جميعها .

1 - الاختيار غير العشوائي للعينة مما ينعكس هذا الأمر على مصداقية تمثيلها للمجتمع المبحوث .

2 - صغر حجم العينة قياساً بالمجتمع المسحوب منه .

3 - خلل في أداة القياس .

4 - عدم دقة المتغيرات المستخدمة من قبل الباحث .

5 - عدم صدق المبحوث في الإجابة .

ولذا على الباحث أن يراعي أقصى شروط الموضوعية في اختياره للعينة ولابد من أن يتأكد من مدى تمثيلها للمجتمع المبحوث وبالتالي ستكون مشروعية النتائج أدق وأكثر قابلية للتعميم .

ومن المؤكد أن هنالك جوانب أخرى يجب أن تناقش فيما يتعلق بموضوعية البحث أبرزها القياس والأدوات المنهجية والمنهج المستخدم ونظراً لتشعب هذه المواضيع فإننا لا يمكننا أن نغطيها ببحث صغير مثل هذا لذا ساكتفي بما أشرت إليه بهذا الخصوص .

3 - محور المبحوث :

يعد هذا العامل من العوامل التي يصعب السيطرة عليها لأننا نتعامل مع ظواهر اجتماعية محتواها في الفاعلين الذين يملكون دوافع ورغبات وتوجهات وتحكمهم ظروف اجتماعية وثقافية تمنعهم أحياناً من الإدلاء بمعلومات صادقة خاصة في المجتمعات التي لم تصل بعد إلى الفهم العلمي لقيمة البحث مثل مجتمعات العالم النامي ، ومنها العالم العربي ، هذا من جانب ومن جانب آخر فإن عدم توفر الحرية للأفراد تمنعهم من أن يدلوا بإجاباتهم على نحو صريح ، ويتضح هذا على وجه الخصوص في البحوث السياسية والدينية وبعض البحوث ذات المساس الجوهري بالقيم الاجتماعية لأنها تمثل محرمات يصعب المساس بها ، ولهذا تجد المبحوث يتوجس خيفة من الإجابة عن الأسئلة ذات العلاقة بتلك الجوانب لأنه قد يتصنع في سلوكه عند خضوعه للملاحظة كي يبتعد عما يعتقد أنه إدانة له ، ويذهب (اين روبرتسون) إلى إن هنالك عدة مشاكل تعيق البحث السوسيولوجي من بينها أن المبحوث قد يغير سلوكه عند شعوره بأنه خاضع للملاحظة أو الدراسة ولذا يصعب التعامل بموضوعية مع البشر لأنهم لا يشبهون البكتريا أو الهيدروجين إذ إنهم يمتلكون دوافع وعواطف وسمات شخصية وفردية ذات أبعاد متعددة يصعب الإلمام بها جميعاً⁽²⁹⁾ وهنا تكمن صعوبة البحث السوسيولوجي .

وبصفة عامة يمكن للباحث أن يعمل على تحقيق الاستجابة الصادقة للمبحوث من خلال الآتي :

1 - استخدام أكثر من وسيلة لجمع البيانات كاستخدام الاستبيان والملاحظة معاً أو المقابلة والاستبيان .

2 - يعمد الباحث إلى وضع جملة من الأسئلة ذات المعاني المترادفة ونشرها على مسافات متفاوتة داخل استمارة الاستبيان أو استمارة المقابلة لغرض التعرف على مدى تفاوت الإجابات حول تلك الأسئلة وبالتالي التعرف على مدى جدية المبحوث ومصداقيته في الإجابة .

3 - يفضل استخدام الأسلوب غير المباشر في طرح الأسئلة وخاصة التي تثير حفيظة المبحوث .

4 - يمكن للباحث أن يعطي تلميحات للمبحوث بأن البيانات لن تستخدم إلا لأغراض البحث العلمي .

وعلى وجه العموم يمكن القول بأن تجاوب المبحوث وموضوعيته تتطلب مناخا اجتماعيا وثقافيا وسياسيا حرا يسمح للإنسان بأن يدلي بإجاباته دون خوف أو تردد ، ومع ذلك فإن الباحث ينبغي عليه السعي لإيجاد الإجابة الأكثر مصداقية وإن واجهته في ذلك عقبات .

أصول عربية محتملة لقصص وحكايات إسبانية

د. عبدالله محمدالزيات *

بعد مرور ثمانية قرون لوجود قوي للحضارة العربية الإسلامية في شبه جزيرة ايبيريا يصعب القول إنه لم يبق من أثر هناك للغة العربية بصفة خاصة وللحضارة العربية بصفة عامة بل إن طبيعة الأمور والقول المنطقي يحكمان بالعكس تماماً؛ فاللغة العربية عاشت لغة رسمية لشبه جزيرة ايبيريا أكثر من أى لغة حضارية توجد فيها الآن، فمثلاً اللغة الإسبانية الرسمية اليوم EL Castellano لم يزد زمن وجودها لغة حضارية على خمسة قرون إلا قليلاً؛ حيث لم تعرف هذه اللغة فى كل إسبانيا المعروفة بهذا الاسم اليوم ولم توجد لها نصوص كثيرة ذات أهمية قبل هذا التاريخ فى حين أن شبه جزيرة ايبيريا عرفت أوج ازدهارها الثقافى، خلال مايسمى بالعصور الوسطى، أى فى عصر ازدهار الثقافة العربية بها، الذى كان قبل ميلاد تلك اللغة الإسبانية، ذلك الازدهار المعروف فى التاريخ الذى كان مع غيره من تراث العربية والإسلام نقطة انطلاق لحركة ترجمة وتفتح ثقافى كبيرين ⁽¹⁾ كانا سبباً فيما عرف بعصر النهضة الأوروبية الذى قامت عليه النهضة الحديثة، كما كانت الثقافة العربية الإسلامية أفقا من الآفاق الثقافية المهمة التى تطلع إليها سكان قشتالة المسيحية منذ القرن الثالث عشر المسيحى ⁽²⁾.

ويذهب بعض المؤرخين للأدب العربى فى الأندلس وأثار الأدب العربى فى شبه جزيرة ايبيريا إلى أن نصوصاً عربية كثيرة كانت قد ترجمت إلى الإسبانية، كلها أو مجزأة، منها كتاب مبشر بن فاتك مختار الحكم ومحاسن الكلم ⁽³⁾، وحكايات السندباد، وهذه الأخيرة ترجمها عام 1235 دون فادريكي Don Fadrique أخ لألفونسو العاشر — العالم — ⁽⁴⁾،

* أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب ، جامعة قاريونس

(1) انظر مونستجرى وات، فضل الإسلام على الحضارة العربية، نقله إلى العربية حسين أحمد أمين ، دار الشروق، بيروت 1983 ص 84-86 .

(2) انظر Americo Castro La realidad historica de Espana, Editorial Porrúa, Mexico 1987, p. 24. من المقدمة .

(3) انظر Maria Jesus Rubiera Mata, Litertura hispanoarebe, Mapfre, Madrid 1992, p. 244.

(4) Celia del Moral Molina, Huellas de la Literatrura arabe clasica en las literaturas europeas" La confluencia de culuencia de culturas en el Mediterraneo, (separata) ed. Francisco A. Munz, pp. 193-215, p.205.

بل إن ابن عبدون - وهو الذى عاش فى إشبيلية فى عصر المرابطين - يفيدنا بمعلومة عجيبة فى هذا السياق حيث يذكر ترجمة المسيحيين واليهود للكتب العربية ونسبتها إلى أهل ملتهم ورهبانهم⁽⁵⁾. مثل هذه الترجمات وغيرها لابد أنها تركت أثارها فى الأدب الإشباني فى إنتاج أكبر مبدعيه مثل ثربانتس Cervants⁽⁶⁾، الذى ينتمى إلى مايسمى بالعصر الذهبى فى الأدب الإشباني ويؤيد هذا ثربانتس نفسه عندما يذكر مجازياً أو كناية أنه كتب روايته الخالدة كيخوته E1 Quijote بعد أن وجدها مكتوبة من قبل عربى يدعى حامدا وأن أحد الموريسكيين كان قد ترجمها من العربية⁽⁷⁾. ومعلوم أن ثربانتس كانت له اتصالات بوطن العربية والإسلام، فلقد بقى فى الجزائر فترة لا تقل عن خمس سنوات أسيراً هناك وذلك قبل أن يكتب روايته تلك.

ويزعم المستعرب الإشباني خوان ريبيرا Juan Ribera أن بعض القصص التاريخي الموجود فى بعض الكتب التاريخية الأندلسية مثل تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية هو قصص ذو أصل ملحمى شعري فى العامية الأندلسية وقد كان لهذا القصص أثره فى الشعر الملحمى القصصى الإشباني والفرنسي⁽⁸⁾.

أما المستعرب مينيندث بيدال Menendez Pidl فرغم أنه نفى وجود مؤثرات عربية مهمة فى أشعار الملاحم الإشبانية الأولى إلا أنه أقر ببعض الآثار مثل الألفاظ الحربية كـ الغارة Algara والدليل adalides وبعض تقاليد أخرى مثل أداء خمس الغنيمة للملك كما هو معمول به فى الشريعة الإسلامية، كما أقر أيضاً بوجود آثار عربية ظاهرة فى الأغانى الدارجة الموريسكية وأناشيد الحدود المعروفة بـ Romances fronterizos moriscos⁽⁹⁾. وقد حضرت ذات مرة فى جامعة غر ناطة محاضرة لأستاذ إشباني فى أصول اللغة والأدب الإشبانيين وقد قال فى محاضرتة تلك ما معناه إن الأدب الإشباني فى أقدم نصوصه هو أدب ترجمة من العربية أو اللاتينية إلى الإشبانية، وهو - أى الترجمة - أمر حدث فى كل الحضارات.

وقد كان هناك نوعان من الحكايات والقصص العربية التى أثرت فى القصص والحكايات الأدبية الإشبانية؛ نوع دخل الأدب الإشباني على شكل مختارات ومجاميع أدبية

(5) انظر ابن عبدون / ثلاث رسائل أندلسية فى القضاء والحسبة، رسالة ابن عبدون تحقيق ليفى بروفنتال، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، 1955، ص 57.

(6) انظر Celia de Moral Molna فى المقال المذكور سابقاً ص 207.

(7) انظر نظار بن نظاريان " النقد الاجتماعى فى رواية كيخوته" الفصول الأربعة، اتحاد الأدباء والكتاب، طرابلس، ليبيا، السنة الثمانية العدد 7 (شوال 1388/ سبتمبر 1979) ص 61-74. وانظر أيضاً كيخوته نفسها..

(8) انظر آنخل غونثالث بالنتيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس 603-13.

(9) السابق 611 - 12.

متكاملة مثل كليلة ودمنة ونوع آخر وصل الأدب الإسباني على شكل قصص وحكايات مفردة⁽¹⁰⁾.

سأحاول في هذا المقال أن أتناول الأصول العربية للقصة الإسبانية وذلك من خلال المقالات التي كتبت عن هذا الموضوع في مجلة الأندلس ثم القنطرة وبعض مجلات أخرى قليلة .

لقد كانت المقالات التي كتبت حول هذا الموضوع ينصب جلها على المقارنة بين القصة العربية والإسبانية في الشخصيات والأحداث والأهداف التي يستنتج أن القصة وضعت لأجلها والتي قد تكون متطابقة جداً في الأدبين .

ويمكن أن تصنف القصص العربية التي عُدَّت أصولاً للقصة الإسبانية حسب التصنيف التالي الذي سأتناول من خلاله الموضوع ثم أردفه بإشارة إلى طرق الانتقال من القصص العربي إلى القصص الإسباني ثم بلمحة عن مدى تأكيدات التأثير أو نفيه.

قصص الطفيليين:

لقد عرف الأدب العربي قصص الطفيليين التي اتخذها فن المقامة عنصراً هاماً في مكونات بطل المقامة⁽¹¹⁾ وقد وجدت معاصرة لازدهار فن المقامة أو قبله بقليل شخصيتان عرفتا كثيراً بالتطفل وهو حضور الولايم دون دعوى والاحتيال على الأكل من موائد

10) Celia Celia del Moral Molina, *Huellas de la Literatyra arabe en las Literatruras europeas* "La confluencia de culuencia de culturas en el Mediterraneo, (separata) ed. Francisco A. Munz, Granda, 1993 pp. 193-215, p.204.

11) بحث التشابه الموجود بين فن المقامة العربية وفن أدبي إسباني يعرف بما يمكن ترجمته بأدب الصعاليك والمتحاليين *Literatura picaresca* ظهر في القرن السادس عشر ومابعده بأسبانيا والعلاقة بين هذا الأدب وفن المقامة موضوع طويل يتطلب بحثاً مفرداً، انظر مثلاً " celia del Mora Molina, *Huellas de la Literatura arabe clasica en las literaturas europeas, vias de transmisiom en la confluencia de cultras en el Mediterraneo, (separata) ed. Francisco A. Munoz, Granad 1993, pp. 193-215, pp.208-9.* ، تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة حسين مؤنس / مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة 1955 ص 180.

الأخريين بأى أسلوب كان إلا أنه متوج فى النهاية بالنكتة والنادرة، أما تانك الشخصيتان فتدعى إحداهما بطفيل العرائس (12) والأخرى بأشعب الطماع (13).

وقد وجد فى الأدب الإشباني قصص فكاهى من هذا النوع وخاصة فى Floresta espanola، فلقد أشار F de la Granja إلى وجود بعض القصص من هذا النوع عند ابن الجوزى فى كتاب الأذكىاء (14)، وابن الجوزى هذا سبق بمؤلف آخر بحوالى قرنين من الزمان، ذلك المؤلف هو الحصرى القيروانى، الذى ضمن كتابه جمع الجوامع (15) تلك القصص المشار إليها فى هذا الكتاب الذى يعد بصفة عامة أحد الجسور التى أمدت الحضارة الإشبانية فى مجال الأدب، إذ انتقلت عن طريقه كثير من القصص المشرقية إلى الأندلس، ومنها إلى الأسباني ثم إلى بقية الآداب الأوروبية.

هذه القصص ذات المضمون الفكاهى والاحتياالى الطماع لا نعدم مثيلات لها فى الأدب الإشباني كما فى La Florest، حيث جاء فى الفصل الثامن منها (16) خبراً بعنوان "الطلاب" نجد فيه أشياء مشابهة للمضمون لـ "الطماع" و "بماذا مات أبوك" (17) كما وردت فى المصادر العربية.

وقد رأى بعض الكتاب الإشباني أن هذه القصص العربية التى من ذلك النوع تتماثل تماثلاً بعيداً إلى درجة التطابق مع إنتاج إشباني ينتمى إلى أوج العصر الذهبى للأدب الإشباني (18).

وهناك قصص أخرى وإن لم تكن من قصص الطفيليين فإنها تشترك معها فى الهدف إلى الأملوحة والفكاهة وإضحاك المتلقى الذى قد يحدث دون قصد المحدث أو قاص الحكاية

- (12) وهو رجل من أهل الكوفة من بنى عبدالله بن غطفان كان يأتى الولام دون أن يدعى ببـ
انظر، ابن عبدربه، العقد 204/6، ابن منظور، لسان العرب مادة ط ف ل، 11/ 404، وفى شرح
مقامات الحريري للشريشى ط بولاق، 187/1 - 190 هو طفيل بن دلال الدرامى.
(13) ابن عبدربه، العقد شرح وضبط أحمد أمين وآخرين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1949،
204/6. وانظر أيضاً فى أشعب وحكايات الطفيل، أبا العباس الشريشى، شرح مقامات الحريري ط
بولاق 51/2 - 52.

- (14) انظر : Fernando de la Guentes `arabes en la Floresta espanla, en Al - Andalus, XXXV (1970) P 383
وانظر أبا الفرج عبد الرحمن بن الجوزى كتاب الأذكىاء المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت
177 - 182 .

- (15) انظر السابق 384 ، 385 .

- (16) انظر Melchor de Santa Cruz, op. cit, P 315.

- (17) انظر 6 - 382 Fernando de la Granja, Cuentos arabes en la Florsta espanola
Al-Andalus, XXXV (1970)

- (18) السابق 386 .

والخبر، فهي تلك القصص التي يخبر أصحابها عن حوادث معينة، أو يحدثون بأحداث معينة، وهي في حد ذاتها صحيحة منطقية المقدمة والنتيجة إلا أن جانباً منها يخفي حقيقة تبعث على الضحك، وذلك مثل قصة الأعور الذي أصاب حجر عينه الصحيحة فعميت فوضع يده عليها وقال: "أمسينا وأمسى الملك لله" أو "أمسينا والحمد لله".

هذه القصة الفكاهية التي نجدها عند كاتب ينتمي إلى الغرب الإسلامي وهو ابن عبد ربّه في كتابه العقد ثم عند كاتب ينتمي هو الآخر إلى الغرب الإسلامي وهو ابن عاصم في كتابه حدائق الأزاهر، ثم عند كاتبين مشرقين أحدهما قديم وهو الراغب الأصبهاني وثانيهما أقرب إلينا من عصر الراغب وهو صاحب الكشكول⁽¹⁹⁾، نجد شبيهاً لها في الأدب الإسباني خصوصاً في La Floresta espanola حيث ذهب La Granja إلى أن هذه القصص أصلية في الأدبين العربي والإسباني⁽²⁰⁾.

ومن هذه الحكايات التي تحصل بها الفكاهة والتندر قصة المرأة التي يلقي بها الناظر بعد أن أرتّه من وجهه وجهاً قبيحاً ويشمت ذلك الناظر بتلك المرأة لأن أهلها اطرحوها، وقد أورد الحصري القيرواني كما وردت أبيات حولها عند شاعر أندلسي يدعى الأركشي القرطبي، ثم اتفقت هذه القصص التي تدور حول معنى المرأة وما يتعلق بها مع قصة بالمضمون والروح نفسيهما وردت في La Florsta espanola، ويرجح أن العربية أصل للإسبانية⁽²¹⁾.

القصص الديني (قصص كتب التفسير) :

من القصص والحكايات التي كان لها ميدان فسيح في الأدب المقارن العربي الإسباني القصص التي تناولها المفسرون للقرآن الكريم كقصة برصيصا الراهب⁽²²⁾ التي تحكى أن برصيصا كان رجلاً صالحاً من بني إسرائيل متعبداً بصومعته التي قيل إنها كانت غرب الإسكندرية في الطريق إلى طرابلس فأصر الشيطان على أن يجعله عاصياً لله وما زال معه حتى نجح وجعل برصيصاً بطبعه ويزنى بفتاة تحمل منه فيضطر إلى قتلها، فيفتضح أمر

(19) السابق 388 – 390 .

(20) السابق 390 .

(21) السابق 398 .

(22) انظر M Jose` Hermosilla La Leyenda de Barsisa segun el manuscrito numero 36/2 J en AL-Qantara, IX (1988) I, PP 121-135

برصيصا بين قومه وعندها يتبرأ الشيطان منه. ولقد ساق المفسرون أو بعضهم (23) هذه القصة في تفسير قوله تعالى: (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين) (24).

ولقد كان أول من أشار إلى هذه الحكاية D. B. Macdonald فى La Encyclopedie del Islam (25) ثم تلاه بعد ذلك A. Gonzalez ، فى مجلة Al-Andalus Palencia (26) إذ خرج هذا الأخير من بحثه ذلك بنتيجة مفادها أن هذه القصة وإن كان مصدرها مسيحياً غير معروف فإن أول من استخدمها الأدب العربى (27) فى كثير من نصوصه، وعن طريق الأدب العربى انتقلت إلى الآداب الأوروبية الإسبانية ثم الإنجليزية والفرنسية والبرتغالية، حيث ظهرت فى الأدب الإسبانية بأعمال Garin عندما حكى قصة (28) El pecado del ermitano de Montserrat . " خطيئة راهب مونترات".

ولعل من القصص الدينية فى الأدب العربى الذى تأثر به الأدب الإسبانية قصة الإسراء والمعراج التى تأثر بها أديب أسبانية عاش فى القرن الخامس عشر وهو المدعو بـ Antonio Torquemada فى عمله " curiosas " Jardin de flores (29) " جنة الأزهار العجيبة".

ومعروف أن نصوصاً حول قصة الإسراء والمعراج كان قد ترجمها من العربية إلى

(23) لقد ساق القرطبي الخبر دون أن يذكر اسم برصيصا على أنه حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أورد الخبر على لسان ابن عباس ذاكراً اسمه ، ومن خلال سياق القرطبي يفهم أن ابن عباس لم يرفع الخبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، كما ساق القرطبي الخبر بعد ذلك بتوسع كبير على لسان وهب بن منبه ، ومعلوم أن وهباً كان يدخل فى كلامه الكثير من الإسرائيليات. انظر القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن 37 / 8 - 41 .

(24) سورة الحشر 59 الآية 16 .

انظر : M. Jose` Hermosilla La Leyenda de Barsisa seg`un el manuserito nu`mero 63/2 j

فى مجلة 25) Al Qantara, IX , (1988) p. 121

(26) مقالته precedentes islamicos de la leyenda Gar`in en al-Andalus, (1933) pp 335-355.

(27) الأدب العربى هنا بمفهوم كل ما كتب فى اللغة العربية .

(28) انظر A`ngel Gonz`alez palencia precedentes islamicos de la leyenda de Gar`in al-Andalus, I (1933) p 350

(29) انظر Emilio Garc`a Go`mez paseando por Eljardi`n de flores curiosas de

Antonio de Torquemado en al-Andalus, XX (1955) pp.222-224

نصاً من كتاب Antonio Torquimada, Jardin de flores curiosas la sociedad de bibliofilos espanoles Madrid, (ص 119) يذكر فيه المعراج وبعض ما رآه محمد صلى الله عليه وسلم فيه .

الإسبانية مدجن يدعى بالفقيه إبراهيم Abraham عام 1277 أى قبل ترجمة قصة الإسراء والمعراج إلى اللاتينية والفرنسية (30).

قصص الكلاب:

نجد قصص الكلاب تتردد كثيراً في الآداب الإنسانية، حيث توجد حكايات ونوادير وأحاديث وأمثال مأثورة تتخذ من الكلاب موضوعاً لها، كما جاء في بعض أعمال الأديب الإسباني Cervantes (31) وأعمال آخرين غيره من الأدباء الإسبان فحكايات كلب البستاني وكلب الحداد (32) نجدها في الأدب العربي كما نجدها في الأدب الإسباني، فقد وجد في الأدب الإسباني حكاية الكلب الذى عرف بـ El Perro de olías أى كلب الشم، وقد كتب Fernando de la Granga مقالا مطولاً (33) عن كلبى البستاني، والحداد في الأدب الإسباني وصلة ذلك بالأدب العربى، والمقارنة بين تناول الموضوع في الأدبين العربى والإسبانى، وقد خرج بنتيجة مفادها أن الأدب العربى قد سبق الأدب الإسباني في تضمن أو احتواء هذا النوع من الأدب الذى يتناول الكلاب؛ حيث أشار ابن حزم إلى كلب البستاني (34)، وقد ورد في أمثال الزجالى " كلب الورد لا يشم ولا يخلى أحد يشم " (35)، ثم نجد هذا المثل أيضاً في كتاب ابن عاصم حدائق الأزاهر (36)، ثم عند السيوطى (37).

(30) Mar'ia Jes'us Rubiera Mata, السابق 248 .

(31) انظر Fernanado de la Granja Dranja Del Perro de oliasy otros en Al-Andalus, XXXV (1972) P.463

(32) جاء فى Mariana Marug'an Guemez, El Refranero andalusi de Ibn Asim al- Andalus, Garnati, Libros Hiprion,

(33) Madrid 1994, P 129 'كلاب الحدادين يرقدو للزوار ويقومو للقم' .

(34) انظر : Fernando de la Granja Delperro de olias y otros perros Al-Andalus, XXXVII, (1972) P.464-482.

(35) انظر Fernando de la Granja Del Perro de oliasy otros perros Al-Akdalus, XXXVII, (1972) P.464. وذلك فى البيت الثانى من قوله فى باب العذل متحدثاً عن محبين

يجتمعان على محب واحد وكيف أن كلا منهما يغار من الثانى على المحبوب نفسه :

صبان هيمتان فى واحد كلاهما عن خذنه منحرف

كالكلب فى الآري لا يعتلف ولا يخلى الغير أن يعتلف

والآري هو الملفف الواحد للدابتين كما جاء فى لسان العرب، أري، 14/ 29، 30. انظر ابن حزم، طوق الحمامة 145 .

(35) أبو يحيى عبيد الله بن أحمد الزجالى، أمثال العوام فى الأندلس، تحقيق وشرح ومقارنة د. محمد بن شريفة منشورات وزارة الدولة، الرباط 1971، 2/ 261 .

(36) انظر Fernando de la Granja Del Perro de oliasy otros perros Al- Andalus, XXXVII, (1972) PP. 463-82.

(37) انظر Fernando de la Granja Del Perro de oliasy otros perros Al-Andalus, XXXVII, (1972) PP. 463-65

وقد وجدت حكاية كلب البستانى شائعة فى العصر الذهبى للأدب الإشباني وكان الفضل فى ذلك الشيوع راجعا إلى الأديب (38) Lope de Vega فى هزليته المدعوة بـ El perro del hortelano " كلب البستانى " (39) ثم الأديب (40) Melchor de Santa Cruz فى عمله الأدبى Floresta espannla . أما " الكلاب التى لاتعرف القراءة " فهو تعبير ورد ضمن قصة أو حكاية عربية ترددت فى بعض كتب الأدب العربية وورد مايشبهها فى الإسبانية بما يمكن أن يترجم بعنوان " كلاب لا تعرف اللاتين " حيث تضمنت La Floresta هذا العنوان (41) .

ويعتقد Fernando de la Granja وجود القصة بالجانبين الإسلامى والمسيحى من الجزيرة الإيبيرية، أى بين غرناطة وقشتالة وأن ابن عاصم قد سجل تلك الحكاية نقلا عن تلك الروايات الشفهية التى كانت رائجة فى الجانبين (42) .

حكايات وأمثال نظمت فى شعر ثم وردت فى قصص إشباني:

فى حين أن هذا العنوان لايبنى الفصل المطلق بين ما هو شعري وما هو نثري فى مجال القصص والحكايات لأن كلا النوعين عنصر مهم فى تكوين الأدب الذى هو نتيجة لاختلاطهما وتفاعلهما، فإبنا قد نجد فى هذا القصص الإشباني الذى يمكن أن يكون له أصل عربى، استغلالا لبعض الأمثال والحكم العربية القديمة التى دارت حولها أشعار عربية وتناولتها أكثر من مرة.

فمما نجد له صدى فى الأدب الإشباني البيت:

بگرا صاحبى قبل الهجير إن ذاك النجاح فى التبكير

وهو بيت مشهور وشاهد بلاغى متكرر فى كتب البلاغة العربية القديمة، وقد قارن

(38) انظر Fernando de la Cranja Del Perro de olias yotros Perros Al-Andalus, XXXVII, (1972) P. 464

(39) انظر Lope de Vega, ElPerro del hortelano, ed. Mauro Armro Armino, Catedra Letras Hispnicas, 5 ed. Madrid 1998, P. 134.

(40) انظر Fernando de la Granja, Del Perro de oliasy otros Perros AL-ANDALUS, XXXVII, (1972) p.470

(41) انظر Fernando de la Granja, Del Perro de oliasy otros Perros AL-ANDALUS, XXXVII, (1972) p.473

ed. Maximiliano Cabanas, Catedra de Letras Hisp`anicas Madrid 1996, P.130.

(42) انظر Fernando de la Granja, Del Perro de oliasy otros Perros Al-Andalus, XXXVII (1972) P.471.

Granga هذا البيت بنص إسباني⁽⁴³⁾ ذكر أنه من نصوص La Floresta وهو مازال حي الأثر إلى اليوم .

أما الشعر الذي تناول المرأة وهجاءها أو إلقاء اللوم عليها لأنها أرت الشاعر من نفسه شخصاً قبيحاً أو وجهاً قبيحاً فهو معروف قديماً⁽⁴⁴⁾، وتوجد إشارات إلى ذلك عند الحصري القيرواني⁽⁴⁵⁾ . كما يوجد أيضاً بيتان ينسبان إلى شاعر أندلسي يدعى بالأركشي⁽⁴⁶⁾ وغير ذلك من النصوص المتفقة في الروح مع هذه الحكايات التي تدور حول المرأة وإطراحها والنقمة عليها عند بعض الأدباء الإسبان كما جاء في La Floresta espanola⁽⁴⁷⁾ . أما بيت المتنبي⁽⁴⁸⁾ :

ثُرأيه في كلاب كحلٍ أعْيِيهم وسيفه في جناب يسبق العذلا
فقد تحول إلى أمثلة دارت حول هذا المفهوم وكان مبنياً على بعض الأمثال العربية السابقة له مثل "سبق السيف العذل" الذي تناوله كثير من الشعراء مع بعض التغيير، ثم وجدنا شيئاً قريباً من هذا المعنى في مثل أندلسي ورد بكتاب "أمثال العوام بالأندلس" للزجالي وهو "غبار الغنم كحول هو لعين السبع"⁽⁴⁹⁾ وقد أُرْدِف الزجالي بعد هذا المثل مباشرة البيت

43) كان عنوان المقال الجاتبي الذي وضعه هذا الباحث للموضوع M'as madrug'o el que la perdio وهو في الواقع يعطى معنى مناقضاً لمعنى البيت العربي إذ إن معنى العبارة الإسبانية : من بكر ضيع أو خسر ، في حين أن البيت يحض على التكبر من أجل كسب النجاح والربح . انظر Fernando de la Guentos a`rabes en la floresta AL-Andalus, XXXV, (1970) pp. Melcior de Santa Cruz, 391-4 Op Cit, p532

44) الحطينة مثلاً وإن لم يلق التبعة على المرأة فإنه عندما رأى وجهه في صفحة الماء قال بيته المشهور:
أرى لي وجهاً قبيح الله خلقه فقبح من وجه وقبح حامله

45) (3) انظر Fernando de le Cranja, Cuentos a`rabes en la Floresta espanola Al-Andalus, XXXV,(1970) p.398

46) انظر Fernando de la Granja Cuentos arabes en la Floresta espanola Al-Andalus, XXX, (1970) p . 390

والأركشي هذا هو يحيى بن محمد بن أحمد الأصراري الأوسي ونسبته إلى مدينة أركش Arcos في الجنوب الشرقي من الأندلس ، وقد ذكر البيهتين له مع ترجمة له ابن الزبير في صلة الصلة تحقيق ليفي بروفنسال / باريس 1938 _ 184 _ 185 185 ، والبيتان هما :

إني نظرت إلى المرأة إذ رفعت فأنكرت مقلتي كل ما رأتها
رأيت فيها شيئاً لست أعرفه وكنت أعرف فيها قبل ذاك فتى

وقد ذكر المقرئ الأركشي هذا ذكرنا عارضاً عندما سجل له بعض الأبيات التي ليس منها البيتان موضوع الحديث (نفح الطيب ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت 1988/ 408 : 63/ 4 .

47) ص 573 ، وانظر fernando de la Granga espanola " Cuentos arabes en la Floresta espanola " Al " . Andalus, XXXV, (1970) p 396 .-

48) انظر ديوان المتنبي ، وضع البرقوقى ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان 1357 هـ 1938 / 1938 ، وفيه (في كلاب كحل أعينها) . 287/ 3 ،

49) 2 / 393 .

المشابه له فى المعنى وهو:

غبار قطيع الشاء فى عين ذبيها إذا ما اقتفى آثارهن درور
وهو مانجده بشكل مشابه جدا فى أعمال إسبانية كثيرة من بينها:

El Vocabloario del Maestro Cprresas حيث يوجد هناك (50) بالصورة
El polvo del ganado al lobo saca de " (غبار القطيع يعفى الذئب عناء الاحتراس) .
cuidado وهو مايمكن ترجمته بـ ((غبار القطيع يعفى الذئب عناء الاحتراس)) .
وبيت ابن الجزار السرقسطى الذى عاش فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر
الميلادى فى الأندلس:

لو وردت البحر أطلب ماء جف قبل الورود ماء البحر
الذى نجد له شبيها فى الأدب العربى على مر العصور حتى فى العاميات الحديثة نجد
له آثاره فى كاتب وأديب إسباني كبير ينتمى إلى مايسمى بالعصر الذهبي فى الأدب الإسباني
يدعى Francisco de Quevedo Y Villegas وقد وضع F. de la Granha دراسة
حول هذا البيت والمعانى التى تدور حول معناه فى الأدبين العربى والإسباني (51).

الغز والنكتة والكدية:

ومن الحكايات والقصص العربى الذى تأثر به القصص الإسباني ما أخذ طابع الغز
وإن صبغ أيضا بطابع فكاهى ذى كدية ونادرة؛ حيث يتطفل البطل أو دائما يحاول أن يتحصل
على أموال الناس بصور شتى يغلب عليها الكدية والاحتتيال. هذا الفن نجده تسرب إلى الأدب
الإسباني، ومن بين ذلك حكاية اللصوص الذين كانوا ينقبون جدار دار فمر بهم حاكم المدينة
وسألهم عما يفعلون، فأخبروه أن شخصا قد مات لهم وأنهم يحفرون نقبا ليخرجوه منه، وبدل

أن يستغرب السائل هذه الطريقة الغريبة فى توديع الميت قال لهم: إنه لايرى أثرا للموت ولا
علامة للحزن من مثل النواح والصراخ، فأجابوه: آخر الليل تسمع النواح.
والإجابة " آخر الليل تسمع النواح" تضمنت تورية حيث أراد منها اللصوص النواح
والصراخ الذى سيكون بسبب حدوث السرقة، بينما فهم السائل أنه النواح على الميت
المزعوم (52).

إذ نجد أثرا لهذه الحكاية وأشباهها فى Miscelanea للأديب الإسباني Luis Zapata
حيث نجد له فصلا بعنوان " (53) " Manana llorar'a " أى غدا سيبكى من يبكى، كما نجد

(50) انظر Emilio G'arcia G'omez Sobre um verso de Mutanabb'I con dos refranos
uno de ellos pasado al espanol Al-Andalus, XXXVIII, (1973) pp.192- 4

(51) انظر كتابه Precedentes y reminiscencias de le literatura y el folklore arabes en
nuestro siglo de oro, R eal Academia de la Historia, Madrid 1996 . PP 11-26.

(52) انظر Fernando de la Granja Dos cuentos a rabes de ladrones en la Literatura
espanola Al-Andalus, XXXIII(1968) P. 459-69

(53) انظر Fernando de la Granja Dos cuentos arabes de ladrones en en la
Literatura espanola Al-Andalus, XXXIII, (1968)p 461

أثرا لذلك في La Floresta espanola للأديب الإسباني Melchor de Santa Cruz (54) إلى حد ذهب فيه Granja إلى القول (55): "لا توجد حاجة للمقارنة العميقة بين هذه الحكاية — حكاية اللصوص — وحكايتي Cruz (56) و Zapata اللتين هما عبارة عن روايتين بسيطتين للموضوع نفسه".

وقريب من هذا الرأي مذهب إليه أيضا Granja في الحكم على الحكاية العربية الشهيرة التي تحكى أن واعظا صعد المنبر وسأل الحاضرين: هل تدرون ماذا أريد أن أقول لكم؟ فقالوا: لا، فقال: إذن لا يوجد جدوى من الكلام، ونزل من المنبر، وفي يوم ثان صعد ثانية وسألهم السؤال نفسه، فأجابوه بأنهم يعرفون، فقال: إن كلامه لن يضيف جديدا لأنهم يعرفون، وترك المنبر مرة أخرى، وفي المرة الثالثة وعندما سألهم السؤال نفسه أجابوه: بعضنا يدرى وبعضنا لا يدرى، فقال لهم: فليخبر الذى يدرى الذى لا يدرى وترك المنبر، وقد رأى Granja أن العبارات:

أتدرون ماذا أريد أن أقول لكم؟ — بعضنا يدرى وبعضنا لا يدرى — فليخبر الذى يدرى الذى لا يدرى، تكاد تكون قد ترجمت مباشرة إلى اللغة الإسبانية فى كتاب Luis de Pendo المسمى بكتاب " الفكاهات " أو " النوادر " Chistes فى قصة الطالب السلمكى الذى لم يعرف نوع التخصص الذى سيختاره فجمع أهله وأقاربه مريدا منهم النصيحة، وقام فيهم خطيبا سائلا إياهم عن السبب الذى جمعهم لأجله (57).

ولعل من نوع الأحداث التى تتضمن الفكاهة والمزاح مايرويه الحصرى القيروانى عن البهلول الذى أودع مائة درهم فى فدان، فرآه خياط وخلفه عليها وأخذها، وعلم البهلول أن الخياط هو الذى أخذ الدراهم فأوهم البهلول الخياط أنه سيضيف إليها نقودا أكثر، ومن ثم وسيرا وراء طمعه الجنونى أرجعها إلى مكانها منتظرا الزيادة فأخذها البهلول وأحدث مكانها وغطى الحدث بالتراب ثم جاء الخياط طالبا النقود الأولى والزيادة فضرب يده فى المكان... وجرت بقية الأحداث ولم يجد النقود، وسمت البهلول بالخياط وتحرش به صبيان الكوفة حتى خرج منها (58).

54) انظر Fernando de la Granja Dos cuentos arabes de ladrones en la literatura Al Andalus, XXXIII, (1968) P.466

55) انظر Fernando de la Granja Dos cuentos arabes de ladrones en la Literatura esbanola Al- Andalus, XXXIII (1968) P 468

56) انظر Melchor de Santa Cruz, op.cit, P.297

57) انظر Fernando de la Cranja Tres cuentos espanoles de urigen arabe Al- Andalus, XXXIII, (1968) PP. 123-41

58) انظر Fernando de la Granja Nunca mas perro el molino Al-Andalus, XXXIX (1974) P, 440

ولقد أشار Granja إلى أن وجود هذه الحكاية في الأدب العربي كان سابقاً لوجود حكاية مشابهة لها في اللغة الإسبانية الرسمية El castellano بقرنين ونصف القرن⁽⁵⁹⁾.

نوع حيادي:

يوجد نوع آخر من الحكايات والقصص العربي الذي تأثر به القصص الإسباني وهذا النوع لا ينتسب إلى أي من الأنواع المذكورة سابقاً، فهو نوع خال من القصد إلى الفكاهة والإضحاك، وليس معبراً عن جشع أو طمع أو كدية أو ماشابه ذلك، ولم يذُر موضوعه حول الكلاب، وهو نوع يقصد إلى الهدف مباشرة في أسلوب جدي وواضح، كما في حكاية "سيف" عمرو بن معدى كرب المدعو "بالمصصامة"⁽⁶⁰⁾ التي تداولها الأدباء العرب نصاً أو روحاً

بأشكال متقاربة، وتلك الحكاية تتلخص في أن الرجل أو الضارب بالسيف هو الذي عليه التبعة وليست التبعة على السيف الذي هو أداة في يد حامله يصنع به ما يريد متى استطاع⁽⁶¹⁾. فلقد أورد Granja⁽⁶²⁾ ذلك التطور لهذه الحكاية في الأدب العربي مقارناً له بتطور يشبهه في الأدب الإسباني لقصة من ذلك النوع وردت في El Especulo do los legos "منظار الجلهة" لكايتها Juan de Hoveden وخلص إلى أن التشابه كبير جداً بين القصتين العربية والإسبانية، رغم أنه لم يستطع أن يجزم بتأثر الأدب الإسباني بالأدب العربي ولم ينف ذلك أيضاً⁽⁶³⁾.

ويمكن أن نجعل من هذا النوع مانسميه بالقصة الأخلاقية وهي التي تنطوي على هدف أخلاقي أو نستنتج منها قيمة أخلاقية، كما في تلك القصة التي تروى أن مؤذنا كان قد رأى من فوق منارته امرأة جميلة فوق سطح بيتها، فكان أن ضايقها عند خروجها إلى السوق، فاشتكتها إلى زوجها، فقال لها دبري له حيلة حتى نقتص منه، فاستدرجته حتى وقع عندها ووضع مكان الحمار الذي يدير الطاحونة، فبات يديرها ليلة كاملة كان الزوج ينهال عليه فيها بالضرب بين الفينة والأخرى⁽⁶⁴⁾.

وقد ذهب Granja إلى أن Zapata تأثر بالقصة العربية دون أدنى شك، مع إيجاز وبعض التغيير للتفصيلات⁽⁶⁵⁾.

(59) انظر (XXXIX Fernando de la Granja Nunca mas perro el molino Al-Andalus, 1974) P. 440

(60) انظرها وأخبار عمرو كاملة في ابن نباتة، شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون، تحقيق أبي الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1964، ص 436 - 445.

(61) على بن عبد الرحمن بن هذيل الأندلسي، حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق محمد عبدالغني حسن، القاهرة 1949 - 190.

(62) Eco de un poeta arabe artigu en la Literatura espanola Al-Andalus, XXXXI, (1976) PP. 179-193

Eco de un poeta arabe artigu en la Literatura espanola Al-Andalus, XXXXI, (1976) P. 193

(64) انظر (XXXIV Fernando de la Granja El castigo del calan Al-Andalus, 1969) P.229

(65) انظر (XXXIV El castigo del calan Al-Andalus, 1969) P. 239

ومن هذا النوع الذى دعونه بالحيادى، والذى اتسم أكثر ماتسم بالجدية وهدف فى بعض الأحيان إلى معان فلسفية، مانجده فى قصة ذى القرنين التى يمكن أن نصنفها أيضا ضمن القصص الدينى أو القصص الذى ورد فى كتب التفسير، وقد كانت قصة ذى القرنين مصدرا من المصادر التى يمكن أن يكون قد تأثر بها ابن طفيل فى قصته الأدبية الهادفة حى ابن يقظان، كما كانت قصة ذى القرنين مصدرا من المصادر التى تأثر بها فى الأدب الإشباني الكاتب Garcian كما أشار إلى ذلك المستعرب Emilio Garcia Gomez فى مقاله (66) المعنون بـ " Un cuento arabe fuente comun de ibn Tufayl Y de " "Carcian" أي " قصة عربية هى المصدر المشترك بين ابن طفيل وغارثيان " .

طرق الانتقال:

أما عن طرق انتقال القصص والاضحكات والحكايات العربية إلى الأدب الإشباني فهناك عدة طرق (67) من بينها طريق المشافهة وهى طريق نرى La Granja يذهب فى كثير من بحوثه التى أعدها فى هذا الميدان إلى جعلها الواسطة فى انتقال بعض القصص والحكايات العربية إلى الأدب الإشباني، كما فى بحثه المعنون بـ El casting del galan, origen arabe de un cuento de Luis Zapata " عقاب العاشق؛ أصل عربى لقصة من قصص لويس ثاباتا" لأنه فى رأى Granja لا توجد طريقة أخرى ممكنة غير الطريقة الشفهية المحتملة، إذ انتشرت القصة بعد الحصرى ووجدت فى كتب أدبية عربية كثيرة مثل كتاب ابن عاصم، ويحتمل أنها أصبحت شائعة على ألسنة الناس فى إشبانيا الإسلامية ثم المسيحية، ونقلها الكاتب الإشباني Zapata من ألسنة الناس (68) ، وقد ذهبت ماريّا خيسوس ربييرا ماتا (69) Maria Jesus Rubiera Mata إلى أن هذا الطريق كان عبر المدجنين والموريسكيين الذين أجبروا على التمسح والعيش فى مجتمع إشباني وقد كان هؤلاء يتحدثون العربية ويقرأونها.

أما الطريق الثانى فهو الموريسكيون الذين كانوا واسطة فى انتقال كثير من الآداب العربية التى تأثروا بها بعد أن قرأوها فى اللغة العربية ثم نقلوها إلى الإشبانية حيث سجلوها فى أدبهم المسمى Aljamiado الخياميادو (70)، ومعروف أن الموريسكيين قد كانوا عبيدا

(66) انظر Revista de archivos, bibliotecasy museos, XXX, Julio- Septiembre de 1926, num 7 a 9, PP, 241- 69

(67) فى الطرق العديدة لانتقال الأدب العربى إلى الآداب الأوربية بصفة عامة انظر مقال Celia del Moral Molina, Huellas de la Literatura arabe clasica en las literaturas europeas. Vias de transmision en La-confluencia de culturas en el Mediterraneo, (Separata) ed. Francisco A. Munz, Granad 1993, PP.193 215, P.195.

(68) انظر المقال المذكور أعلاه فى P.229 (1969) Al-Andalus, XXXIV, وانظر للكاتب نفسه المقال Cuentos arabes en el Sobre mesa de Timoneda Al-Andalus, XXXIV, (1969) P. 387.

(69) السابق 249 .

(70) انظر - 93/2j Maria Jose Hermosilla La leyenda de Barsisa el manuscrito (1970) Qantara LX (1988) fasc. I, P 122.

وخدموا في قصور المسيحيين وبيوتهم بل وفي فنادقهم أيضا، كما أن الموريسكيات كذلك كن خادمات أو جوارى عند كثير من المسيحيين وكن يحكين القصص العربي للأطفال الذين يخدمهم، كما كان أولئك الخدم يؤثرون بتلك الثقافة الأم التي يعرفونها وهي ثقافة اللغة العربية وكان كثير منهم يحكى تلك القصص العربية عندما يجتمع مع المسافرين في تلك الفنادق حول النار في ليالي الشتاء الطويلة (71).

والطريق الثالث الذي عبرت خلاله الحكايات والقصص العربي إلى الأدب الإسباني هو طريق الترجمة من العربية إلى الإسبانية El castellano حيث انتقل عبر هذه القناة كثير من هذا القصص الذي نجد له أصولا عربية وورد في مصادر عربية مثل كتاب " تنبيه الغافلين " للسمرقندي الذي احتوى قصصا وحكايات مثل قصة الراهب برصيصا (72).

لأننسى أيضا الشعراء المتجولين وغيرهم من المتنقلين بصفة عامة بين البلاد الأندلسية والبلاد المسيحية الذين كانوا ينقلون شفها قصصا عديدة وحكايات مختلفة (73).

نفى التأثير وإثباته:

على أننا في كثير من المرات نجد الناقد الباحث في أصل بعض القصص والحكايات أو الأمثال الإسبانية التي يعتقد أن لها أصلا عربيا يقف محايدا بين النفي والإثبات للعلاقة الأكيدة، لأنه وإن وجدت المشابهة الكبيرة بين النصين، إلى درجة لا يشك معها في وجود التأثير (74)، فإنه ينعدم الدليل المادي الذي يثبت أو ينفي تأثير النص الإسباني بالنص العربي، كما في قصة برصيصا الراهب وأثرها في أسطورة Garin (75).

لكن Granja عودنا في عناوين مقالاته التي كتبها حول هذا الموضوع " القصص والحكايات العربية وأثرها في الأدب الإسباني " على أن يضع عنوانا يوحى بل في أحيان كثيرة يؤكد أن القصص العربي أصل للقصص الإسباني، رغم أنه في أغلب الأحيان يصرح في صلب المقال أنه ربما كان الأصل للقصص والحكايات الإسبانية القصص والحكايات العربية، معللا ذلك الشك الذي يذهب إليه بعدم وجود الدليل المادي على ذلك التأثير الواضح، وفي بعض الأحيان يسكت ولا يعلل لوضعه الاحتمال — في صلب المقال — بدل التأكيد الذي كان قد أخبرنا به أو أوحى إلينا به عبر عنوان المقال (76).

(71) Maria Jesus Rubiera Mata السابق 249 .

(72) انظر - Angel Conzalez Palencia Precedentes islamicos le leyenda de Barsisa Al-Andalus, I (1933) P. 341.

(73) Celia del Moral Molina المقال السابق ص 205 .

(74) انظر مثلا Gonzalez Palencia, Prencia, Precedentes islamicos de la leyenda de Barsisa Al-Andalus, I, (1933) P. 355

(75) انظر السابق 350.

(76) انظر مثلا مقاله Cuentos arabes en el Sobremesa de Timoneda Al-Andalus, XXXIV, (1969) PP. 381-94 :

مصادر ومراجع :

- بالنثيا، أنجل جنثالث: تاريخ الفكر الأندلسي/ترجمة حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة 1955.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد: طوق الحمامة، تحقيق وتقديم، فاروق سعد، دار مكتبة الحياة، بيروت 1980.
- الزجالي، أبو يحيى عبيد الله بن أحمد، أمثال العوام في الأندلس، تحقيق وشرح ومقارنة د. محمد بن شريفة، منشورات وزارة الدولة، الرباط 1971.
- السمرقندي نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي: تنبيه الغافلين، طبعة بولاق.
- ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد، العقد، شرح وضبط أحمد أمين وآخرين، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة 1949.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد بن عبدالمعطي البردوني، ط 2، دار الشام، بيروت لبنان.
- الشريشي، أو العباس أحمد بن عبدالمؤمن، شرح مقامات الحريري، ط بولاق.
- المقري، أو العباس أحمد بن محمد التلمساني: نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1408 / 1988.
- المتنبي، أبو الطيب، الديوان، وضع عبدالرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت 1357 / 1938.
- ابن منظور، لسان العرب مؤسسة الأعلمی بیروت.
- ابن عبدون رسالة في الحسبة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في القضاء والحسبة تحقيق ليفي بروفنثال، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة 1955.
- ابن نباتة، سرح المتون في شرح رسالة ابن زيدون.
- ابن نظاريان، نظار: " النقد الاجتماعي في رواية كخيوتة " الفصول الأربعة، اتحاد الأدباء والكتاب، طرابلس ليبيا، السنة الثانية العدد 7 (شوال 1388 / سبتمبر 1979) 61 – 74.
- الغرناطي، ابن هديل: حلية الفرسان وشعار الشجعان، تحقيق محمد عبدالغني حسن، دار المعارف، القاهرة 1949.
- ابن الجوزي، كتاب الأذكياء، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت.

Castro, Americo: La realidad historica de Esjpana Editorial Porrua, Argentina, Mexico, 1987.

Cervantes, Miguel: Don Quijote de la Mancha, 11, ed. John Jay Allen, Catedra Letras Hispánicas, Madrid, 1995.

Garcia Gomez, Emilio,

- " Un cuento arabe fuente comun de Ibn Tufayl Y de Carcian " Revista de archivos, bibliotecas Y museos, Madrid XXX, Julio – Septiembre 1926.

- "Paseando por el Jardin de flores curiosas de Antonio de Torquemado" en Al-Andalus, XX, (1955).
- "Sobre un verso de Mutanabbe con dos refranos uno de ellos pasado al espanol" Al-Andalus XXXVIII, Madrid (1973).
- Gonzalez palencia, Angel,
- "Precedents islamicos de la leyenda de Garin" Al-Andalus, I, Madrid (1933).
- Granja, Fernando de la.
- "El Castigo del calan" Al-Andalus, XXXIV (1969).
- "Cuentos arabes en la Floresta espa espanola" , Al-Andalus, XXXV (1970).
- "Cuentos arabes en el Sobremesa de Timoneda" Al-Andalus, XXXIV (1969).
- "Del Perro de Olias Y otros perros" Al-Andalus XXXVII (1972).
- "Dos cuentos arabes de ladrones en la Literatura espanla" Al-Andalus, XXXIII (1968).
- Eco de un poeta arabe antiguo en la Litratra espanold, Al-Andalus XXXXI (1976).
- "Nunca mas perro el molino" Al-Andalus, XXXIX (1974).
- Precedents Y reminiscencias de la litratra Y el folklore arabes en nuestro siglo de oro Real Academia de la Historia, Madrid 1996.
- "Tres cuentos espanoles de urigen arabe" Al-Andalus, XXXIII (1968).
- Hermosilla, M Jose, " La Leyenda de Barsisa segun el manuscrito numero 631 2j", Al-Qantara, IX, 1 (1988).
- Marugan Guemez, Mariana: El refranero andalusi de Ibn " Asim al-Garnati, Libros Hiperion, Madrid 1994.
- Moral Molina, Celia del, "Huellas de la Litratra confluencia de culturas en el Mediterraneo, (separata) ed. Francisco A. Munoz, Granada 1993.
- Rubiera Mata, M. Jesus, Literatura hespanoarabe, Mapfre, Madrid, Madrid 1992.
- Santa Cruz, Melchor de: Floresta espanla, ed.
- Maximiliano Cabanas, Catedra Letras Hispanicas, Madrid 1996.
- Vega Lope de: El Perro del hortelano, ed. Mauro Armino, Catedra Letras Hispanicas, Madrid 1998.

نحوه على بدء

مراجع عبدالقادر الطلحي*

أستاذ مساعد ، قسم اللغة العربية

وآدابها ، كلية الآداب ، جامعة قاريونس - بنغازي

إن الحديث عن (النحو العربي : أصوله ، وتاريخه) حديث يطول ، ويعاد فيه القول ، دونما جدوى في كثير من الأحيان ، إذ تأتي نتائجه مكررة ، أو تدور حول الحقيقة دون أن تدركها ، بوعى أنا ، وبلا وعى غالبا ، ويظل تقديسنا لتراث هذا النحو هو المسيطر على عقولنا ، وطرائق تفكيرنا ، عجزا عن مواصلة جهد القدماء الرواد ، أو اختيارا للطريق الممهد بتسطير ماكتبوه ، وفي كلتا الحالتين نحن ندور في حلقة مفرغة لا قرار لها . وذلك مايرر إلى حد كبير انصراف أجيالنا الحاضرة عن الاهتمام بلغة دينها وقوام شخصيتها . بله التعمق في فهم أسرارها ، والكشف عن فقهها ، والسيطرة على أدواتها ، ليكون لنا دور خلاق في مجالات الإبداع الأدبي والابتكار العلمي .

لقد دعاني إلى كتابة هذه الكلمة ، التي زادها جهد العلماء الهاجرين لحياة الدعة ، المكابدين لمشاق العلم ، بحث كتبه الأخ : محمد خليل الزروق تحت عنوان : (بين ابن هشام وابن أم قاسم) ونشره في مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، وغرضه أن ينفى عن ابن هشام ما رمى به من اعتماد في الباب الأول (تفسير المفردات وذكر أحكامها) من كتابه (مغنى اللبيب عن كتب الأعراب) ، على كتاب ابن أم قاسم المرادى (الجنى الدانى في حروف المعانى) ، لاشتراكهما في معالجة موضوع واحد ، هو ماتحملة حروف المعانى من دلالات في التراكيب النحوية ، مما فرض على المؤلفين الالتقاء في وجوه كثيرة .

وهو موضوع طرقتة المؤلفات النحوية منذ أن ظهر (الكتاب) لأبى بشر عمرو بن عثمان الملقب بسبيويه ، قبيل نهاية القرن الثانى الهجرى ، وفيما أفرد من مؤلفات ظهرت قبلهما خصصت للحديث عن هذه الأدوات ومعانيها ، مفردة أو مجملة .

لقد ساء الباحث أن يذهب محققا (الجنى الدانى في حروف المعانى) إلى اتهام ابن هشام بالنقل في (المغنى) عن ابن أم قاسم المرادى دون أن يشير إليه ، أو إلى كتابه أدنى إشارة ، ولم يأت هذان المحققان ببذع من القول ، فقد اعتقد هذا رأى قبلهما الشيخ الدكتور : محمد عبدالخالق عضيمة ، المحقق المدقق والعالم الجليل ، فقال في عبارة حاسمة (دراسات لأسلوب القرآن الكريم 97/1 : " نقل ابن هشام (الجنى الدانى) بنصه وفصه إلى كتابه (المغنى) دون أن يشير ولو مرة واحدة إلى اسم الكتاب أو اسم مؤلفه " .

كما أشار إلى هذه القضية الشيخ الطنطاوى ، فقال في معرض حديثه عن ترجمة ابن أم قاسم (نشأة النحو 233) : " ومؤلفات المرادى مصادر لدى النحاة وثيقة ، فالداماميني عول في شرح (التسهيل) على شرحه ، والأشمونى نقل في شرح (الألفية) كثيرا عن شرحه ، وقالوا : إن ابن هشام استفاد في (المغنى) من (الجنى الدانى) " . وأشار إليها قبل حاجي خليفة في (كشف الظنون) .

إن كاتب البحث لا يخفى إعجابه الشديد بشخصية ابن هشام النحوية ، فيراه أنحى من المرادى ⁽¹⁾ ، وأغزر منه علما في العربية ، ولذا كان من غير المستساغ عنده أن يتكفى ابن هشام على نحوى أقل منه شأنا ومعرفة بأصول العربية ، فينقل عنه فى مصنفاته النحوية ، بله أن يشاع ذلك عنه فى حلقات الدرس .

وهذه مسألة لا يمكن للعاطفة المجردة أن تفصل فيها ، أو أن يتم حسمها بجملة عابرة تلقى جزافا ، دونما بحث متأن مقارن فى مؤلفات كلا الرجلين ، وإذا كان الباحث — ونحن معه — قد اطلع على بعض مؤلفات ابن هشام ، فهو — ونحن معه أيضا ، لم يطلع إلا على (الجنى الدانى) أو على شرحه لألفية ابن مالك ، المخطوط بمكتبة جامعة قاريونس من بين مؤلفات المرادى العديدة ، وذلك لا يكفي حتما لى نكون حكما سليما على شخصية كلا الرجلين العلمية ، لأن حكمنا — والحالة هذه — يفقد مبررات كثيرة تعضده ، وتضمن له الاطراد والاستقامة .

وإعجاب الباحث بابن هشام يظهر جليا فى بحثه من بدايته ، فهو يقول (مجلة كلية الدعوة 414) : " وقد ساءنى أى مساة ماكتبه فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل ... فرميا ابن هشام ... بالسرقة ، وأنه رفع كتابه (المغنى) فوق قدره ، وأنه فى هذا الكتاب عالة على كتاب ابن أم قاسم ، بعبارات قاسية ، وتحامل ظاهر ، وخط شديد " .
والبحث العلمى الجاد يفرض على الباحث أن يتجرد عن انطباعاته الذاتية ، ما أمكنه ذلك ، لأنها فى غالب الأحيان لا تكون مبررة تبريرا علميا سليما ، مما يجعل الباحث أسيرا فى بحثه لهذه الانطباعات ، فتقوده قسرا إلى مزالق لاتحمد عقباها ، إذ تصيب بصره بغشاوة كثيفة تحجب عنه وجه الحق ، فيتجاهل التعرّيج على كثير من الحقائق البادية للعيان إرضاء لهذه المشاعر ، وانسجاما معها .

وربما فرضت هذه المشاعر على الباحث أن يبدأ بحثه بهجوم عنيف لامبرر له البتة على هؤلاء الذين يريد أن يدحض رأيهم ويبين فساد حجتهم القائلة إن ابن هشام قد ضمن (الجنى الدانى) فى كتابه (المغنى) دون إشارة ، وبخاصة هجومه الحادّ على الشيخ محمد عزيمة — الذى لا أنكر تقديرى له — إذ اتهمه الباحث دون مبرر بأنه لم يكن ذا بصر وصبر فى معالجته هذه القضية ، قال (مجلة كلية الدعوة 417) : " ثم لو أن الشيخ وازن ببصر وصبر على ماهو معهود فيه ، لرأى رأيا آخر ، ولكنه وقع على قول حاجى خليفة ، مع نظر سريع فى كتاب (الجنى) فقال ما قال " .

إن مثل هذا القول لا يصدق بحال على الشيخ عزيمة ، وقد يكون من باب المجازفة الشديدة التى تعودناها فى كتاباتنا ، إذ إن آثار الشيخ العلمية التى بين أيدينا تدل على أنه من العلماء الذين وهبهم الله البصر بالأمور ، والصبر على درسها ومعالجتها ، ويكفى شاهدا على ذلك موسوعته الرائدة (دراسات لأسلوب القرآن الكريم) التى أنفق خمسا وعشرين سنة من عمره فى تأليفها ، ويظل تحقيقه لكتاب أبى العباس المبرد (المقتضب) عملا متفردا فى بابيه ، أشاد به أهل هذا الفن .

والأهم من كل هذا الحديث الذى قد تلونه العاطفة ، أن كلام الشيخ يدل ضرورة على أنه قد قرأ (الجنى الدانى) قراءة متأنية فاحصة ، مدققة ، وإلا ما كان له أن يحدثنا عنه بشيء البتة ، فهو عندما عرفنا بهذا الكتاب فى مقدمة مؤلفه (دراسات لأسلوب القرآن الكريم 96/1 - 97) تحدث إلينا حديث العارف بمجاهل هذا الكتاب ، إذ احتوى خمس نقاط لا يذكرها إلا من قرأ (الجنى الدانى) قراءة متأمل ، لعل من أهمها :

- نقل المرادى من كتاب (رصف المباني) للمالقي ، فى هذه الحروف : الباء ، اللام ، لام الابتداء ، الواو ، بل ، إذا ، فى ، مذ ، ما النافية ، ها ، أجل ، إذن ، ألا ، ثم ، إياك ، كلا ، لكن ، لولا . ونجد فيه نقولا من : المقتضب ، سر الصناعة ، وكتب أبى على ، والمستوفى ، والمفصل ، والبدیع ، وعن ابن مالك كثيرا ، وكذلك عن أبى حيان .

- كان يميل إلى الإيجاز فيحيل على كتبه الأخرى .
- كان مولعا بنظم (معانى الحروف) : نظم معانى الفاء ، الكاف ، أقسام اللام ، معانى الواو ، معانى ال ، أقسام إن ، معانى أن ، معانى من ، الفرق بين إذا الشرطية ، وإذا الفجائية .

ثم إن الشيخ عزيمة عندما تحدث فى مقدمته عن كتب (معانى الحروف) كان يستقى معلوماته عنها أيضا من خلال كتب التراجم والطبقات مثل : وفيات الأعيان ، إنباه الرواة ، معجم الأدباء ، بغية الوعاة ، وكتاب الأشباه والنظائر ، ولم يكن كتاب (كشف الظنون) من بين هذه المصادر التى أشار إليها ، لكى نفترض أنه وقع على قول حاجى خليفة وبنى عليه مجمل رأيه دون نظر متأمل منه فى كتاب (الجنى الدانى) والشيخ فى الأمانة العلمية هو من هو ، فلو كان قد نظر (كشف الظنون) ووجد هذا رأى فيه لأشار إليه حتما .

هذه النقاط التى عرف بها الشيخ كتاب (الجنى الدانى) توحى بلا جدال أنه قد قرأ هذا الكتاب ، وفتشه تفتيشا متأملا فاحصا إلا إذا كان الشيخ ممن يرجمون بالغيب ، فتطابق خيالاتهم عين الحقيقة ، ولم يكن الشيخ من أهل هذا الشأن ، بل هو بشر يجوز عليه مايجوز عليهم من السهو والنسيان والغلط ، إذ النقص مستول على جملتنا ، غير أنه لم يكن ليحدثنا بما لايعلم ، لإدراكه أن شمس الحق لا يحجب شعاعها بغربال .

والباحث لا يخفى سخريته واستخفافه بالأستاذين الفاضلين اللذين حققا كتاب (الجنى الدانى) فباتى بتعليقات على أقوال لهما وردت فى المقدمة التى كتبها من مثل قولهما : (وهذا اللقاء ليس قاصرا) ، فيعلق عليه بين قوسين : الصواب مقصورا . (مجلة كلية الدعوة 415) ، كما يصف قولهما : (الأمر الذى يدعو) بأنه (تعبير ركيك) ، كما يتهمهما بالحيس والخلط فى كلامهما .

إن نقاش مثل هذه القضية يحتاج إلى وقفة طويلة ، غير أنى أكتفى فى هذا المقام بالقول إن بعض علماء اللغة أنفسهم قد وقعوا فى بعض الأخطاء اللغوية التى حكموا على نظائرها بمخالفة الصواب اللغوى .

- يرى ابن قتيبة فى كتابه (أدب الكاتب 323) أن تعديّة الفعل (عير) بالباء إلى مفعوله الثانى خطأ لغوى ، ولكنه هو نفسه وقع فى هذا الخطأ فى مقدمة الكتاب

نفسه⁽²⁾ قال (12) : " وأورد الأحنف أن قريشا كانت تُعَيَّرُ بأكل السخينة " .

- وابن هشام نفسه لم ينج من مثل هذه الأخطاء اللغوية ، فقد قال في مقدمة المغنى (14 / 1) : " وها أنا بائح بما أسررتَه " مع نصه في المغنى (2 / 402) أن هاء التنبيه إذا دخلت على ضمير رفع (كما في قوله) لا يكون خبره إلا اسم إشارة مثل قوله تعالى " هأنتم أولاء - آل عمران 119 - " .

وقد ارتكب ابن جنى عدة أخطاء لغوية في مؤلفاته منها :

- تقديم النفس من ألفاظ التوكيد المعنوى على المؤكد ، وهى لا تتقدم عليه وفق حكم القاعدة المعيارية ، من مثل قوله (الخصائص 1 / 101) : " لم تباشر نفس الفعل " و " وإن لم تل نفس الفعل) .

- كلمة (كافة) لا تستعمل إلا نكرة ، مؤخرة ، منصوبة على الحالية ، فى الأناسى وذلك ماخرج عن حدّه ابن جنى فى مثل قوله (الخصائص 1 / 9 ، 388/2) : ، ((والوجه فيه ماعليه كافة " و " هذا عند كافة أصحابنا " ، إذ جعلها متصرفة مثل كل وجميع من ألفاظ العموم ، (وانظر درّة الغواص 56) .

وغير هؤلاء كثير⁽³⁾ مما يعنى أن الألف اللغوى يغلب الحكم المعيارى حتى لدى أساطين اللغة وعلمائها ، الذين وضعوا هذه الأحكام المعيارية لكى يتجنب المتكلمون باللغة الوقوع فى الخطأ . ومن البين أن السنة المتكلمين باللغة لاتخضع لمعيار إلا معيار اللغة نفسها الذى يتطور وينمو ويتجدد دائما ، وذلك مانراه واضحا فيما كتبه اللغويون من كم هائل من المصنفات حاولوا أن يعالجوا بها فى مختلف الأزمنة مأسموه (لحن العامة) ، ولو أفلحت محاللاتهم تلك لكف اللغويون المعاصرون ومن قبلهم عن معالجة هذا الأمر ، إذ لاحياة لأية لغة إلا بأن يفرض عليها التطور قوانينه .

والباحث يرتكب خطأ علميا تأباه أصول البحث العلمى ، إذ إنه يعتمد أن يقفز فوق الحقائق ، ويتجاهلها ليصل إلى العدو القصى وهى : تبرئة ابن هشام مما نسب إليه من السطو على جهد ابن أم قاسم المرادى العلمى ، بل إنه ليلوى عنقها ليا عنيفا ليصل إلى مبتغاه الذى يظل فى الأحوال كلها مبتغى دون دليل يسنده ، وحجة تدعّمه ، وليس أمام الباحث من خيار إلا ركوب هذا المركب الوعر الشعث لينقض مقاله هؤلاء الباحثون وبينيه من جديد .

إن الباحث يريد الذهاب إلى الضفة المقابلة بلا وسيلة ، فيثبت لنا أن ابن أم قاسم المرادى هو الذى سطا على (المغنى) لابن هشام ، ولفق منه كتابه (الجنى الدانى) ، ولاسبيل إلى ذلك إلا بتجاوز أمرين ، لايمكن تجاوزهما إلا بدليل بين وحجة دافعة :

2- البطلبوسى ، الاقتضاب 1 / 109 " وقد تأملته فى عدة من النسخ المضبوطة ، الصحاح فوجدته بالباء ، والصحيح فى هذا أنهما لغتان ، وإسقاط الباء أفصح وأكثر " قال الحريرى (درة الغواص 168) : ولم يسمع فى كلام بليغ ولا شعر فصيح تعديّة (عبرته) بالباء " .

3 - ابن منظور ، لسان العرب (بعض) : " واستعمل الزجاجى (بعضا) بالالف واللام ، فقال : وإنما قلنا البعض والكل مجازاً وعلى استعمال الجماعة له مسامحة ، وهو فى الحقيقة غير جائز ... قال أبو حاتم : قلت للأصمعى رأيت فى كتب ابن المقفع (العلم كثير ، ولكن أخذ البعض خير من ترك الكل) فأنكره أشد الإنكار ، وقال : الألف واللام لايدخلان فى بعض وكل ، لأنهما معرفة بغير ألف ولام ، ... قال أبو حاتم : ولا تقول العرب : الكل والبعض ، وقد استعمله الناس حتى سيبويه والأخفش فى كتبهما ...

- ألف ابن هشام (المغنى) مرتين ، كما ذكر فى مقدمته ، الأولى كانت سنة 749 هـ ، وقد ضاع منه هذا التأليف الأول ، ثم أعاد تأليفه عندما جاور بمكة المكرمة سنة 756 هـ ، أى بعد سبع سنوات من ضياع التأليف الأول .
 - توفى ابن أم قاسم المرادى يوم عيد الفطر من سنة 749 هـ كما نص على ذلك كل من ترجم له ، وهى السنة التى ألف فيها ابن هشام كتابه للمرة الأولى .
- ويريد الباحث أن يتخطى حاجز هذين الأمرين ، ويعيد بناءهما من جديد ، ليكون رايه وجيها مقبولا ، وتجاوز هذين الأمرين لن يحدث إلا اذا افترضنا أن ابن أم قاسم قد توفى بعد سنة 749 هـ ، بمدة صالحة لتأليف كتاب وأنه قد عثر على التأليف الأول للمغنى الذى وضعه ابن هشام سنة 749 هـ ، وضاع منه أثناء أوبته من الحجاز إلى مصر .
- وقد أسعف الباحث بما بدا أنه يحقق له طلبته وغايته ، قال (مجلة كلية الدعوة : 429) :

" وقد وجدت ابن حجر فى (الدرر انكاملة) يقول : وقد رأيت بخطى ، ولا أدري من أين نقلته ، وكانت وفاته سنة 755 هـ ، والذي يبدو أن هذا هو الحق الذى لا محيد عنه " .

وليس أمام الباحث من خيار إلا التمسك بهذه الرواية وهى رواية شاذة ، لايؤبه بها ، ولا يعول عليها ، لضياع مصدرها من ابن حجر ، ولوجود رواية أخرى بازائها تضافر النقلة على حملها وأدائها إلينا ، تحدد تاريخ وفاة ابن أم قاسم بدقة متناهية ، إلا أن الباحث بعثوره على هذه الرواية اليتيمة — أشار إليها محققا (الجنى الدانى) فى الهامش — قد سقط على بيضة العقر ، فلا مناص أمامه إلا أن يعرض عليها بنواجذه ، وإلا طارت دعواه ذرات تتعاورها الرياح قبل أن يستطيع لم شتاتها المتطاير فى كل اتجاه .

كما حسم القضية الثانية ببساطة متناهية ، فقال : " وكان كتاب ابن هشام سرق ، أو غُصِبَ — وقد مر أنه كثر الفساد ، وقطع الطريق ، وعم الغلاء — فلما كان شىء من ذلك حُمِلَ إلى مصر وبيع هناك فوق عليه ابن أم قاسم " (مجلة كلية الدعوة 428) .

لقد أسس الباحث درسه هذه القضية على الشك عندما ابتدأه بكان التى نص الكوفيون والزجاج على أنها تحمل معنى الشك إذا كان خبرها مشتقا ، ثم تتوالى بعد ذلك أفعال كلها مبنية لفاعل مجهول ، إلا أنها أوصلت الباحث إلى نتيجة حاسمة لاشك فيها عنده ، وهى أن التأليف الأول لكتاب ابن هشام (المغنى) قد استقر بعد تطوافه المجهول بين يدى ابن أم قاسم المرادى ، ولا يمكن لعاقل قبول هذه النتيجة ، والتسليم بها إلا إذا ألغينا منحة التفكير التى وهبها الله لخلق المكرمين .

هل يستطيع الباحث أن يبين لنا الكيفية التى ضاع بها (المغنى) من ابن هشام ، عند عودته من الحجاز إلى مصر ، وأين ضاع منه ؟ هل سرق الكتاب من ابن هشام ، أو دفن تحت الرمال ؟ أو غصب منه ؟ أو احترق بالنار ؟ أو أن قوى خارجية قاهرة اختطفته من ابن هشام ، وأودعته بين يدى ابن أم قاسم المرادى ، هدية ثمينة سقطت عليه من حيث لا يحتسب ؟! وهل كان المرادى على نيا وعلم بخبر هذا الكتاب : تأليفه ، وضياعه ؟

كل ذلك قد يجيزه العقل ، غير أن بحث هذا الأمر خبط عشواء ، إذ إنه ما من نتيجة يصل إليها الباحث فى هذا الشأن إلا تبرز أمامه نتائج أخرى تنقضها من أساسها ، وتقوض

بنيانها ، هذا إن وصل إلى نتيجة . أما أين ضاع (المغنى) ، فكل بقعة من مكة المكرمة إلى القاهرة هي مظنة أن يكون قد فقد عندها .

وإذا كان الباحث يمهّد لنتائج الحاسمة بهذه المقدمات المفككة الأوصال ، فربما كان من حقنا أيضا استخدام منهجه نفسه ، فنقول : أحقا ألف ابن هشام كتابه (المغنى) للمرة الأولى بمكة المكرمة سنة 749 هـ ثم ضاع منه في طريق عودته إلى أرض الكنانة ؟ إلا يجوز أن تكون هذه القصة برمتها من اختلاق ابن هشام ليدفع عن نفسه معرة اتهامه بسرقة كتاب ابن أم قاسم (الجنى الدانى) ؟ أى أنه يحاول منذ البدء أن يضع دليل براءته أمام من يتهمة بالنقل عن المرادى مقدما . أليس هذا الأمر مما يجوزه العقل أيضا ، ويسوغه نهج الباحث ؟ غير أننا لاندّهب إليه ، فابن هشام صادق فيما كتبه غير متهم لدينا فى سلامة سريره وذمته .

إن هاتين القضيتين اللتين أثارهما الباحث وحسم القول فيهما دون بينة لا يمثلان إلا مقدمة ضرورية لأس البحث وعماده ، وهو الأمر الذى يعيننا أن نغوص فيه مع الباحث ، ونبين فساد ، ونوضح بطلانه ، لأنه الفصيل الذى لا محيد عنه لمن أراد أن يحسم الجدل فى هذه القضية ، وقد أبان عن وجهه الباحث ، فقال (مجلة كلية الدعوة 418) .

" إن القارئ للباب الأول من (المغنى) وكتاب (الجنى) قراءة متأنية ، متاملة ، فاحصة ، لا قراءة يسيرة فعل (قباوة وصاحبه) يرى بجلاء أن المرادى قد اطلع على (المغنى) وأخذ منه ، ذلك أن الاتفاق بين الكتابين أنواع ، ليس فيها فى نفسها دلالة على شىء مما نحن فيه إلا نوع واحد ، وصورته ، أن ينسب أحد المؤلفين القول إلى غيره بقوله : قيل ، أو قال بعض النحويين ، أو نحو ذلك ، ثم نجد القول نفسه عند الآخر غير منسوب إلى أحد أي ينسبه إلى نفسه . وقد وجدت ابن أم قاسم يعزو القول إلى غيره ، وابن هشام هو صاحب القول فى كتابه (المغنى) ولهذا أمثلة كثيرة ، بعضها أوضح من بعض فى الدلالة .. "

هذا هو الأمر المنطقي الوحيد فى بحث الباحث ، وأنا أوافقه كل الموافقة فى اتخاذ هذا المقياس فيصلا يحسم هذه القضية ، غير أن الباحث قد تجاهل أمرا ما كان لمثله أن يتجاهله ، ويرمى به وراء ظهره ، إذ لهذا المقياس وجه آخر هو أكثر حسما مما عرضه علينا الباحث ، وهو ما يمكن طرحه فى صيغة السؤال التالى : هل ثبت لدى الباحث أن الآراء والأقوال التى وردت فى (المغنى) غير معزوة إلى أحد وجاءت فى (الجنى الدانى) مبهمة الإسناد ، هى من الآراء التى تفرد ابن هشام بالقول بها ، أو أنه قد سبق إليها ولكنه لم ينسبها إلى أصحابها ومصادرهما التى استقاها منها فعل المؤلفين المدققين ؟

يعلم الباحث — بحكم طبيعة تخصصه — أن التراث النحوى العربى المتأخر لم يكن يتصف بالخلق والجدة والطرافة فى مباحثه اللغوية ولا بتغيير طرق مناهجه ، وتطور أصوله ، وإنما ميزته الظاهرة هى التكرار وطول الترداد بكثرة النقول عن النحاة السابقين ، سواء ذكر أصحاب هذه النقول ، أم سكت عنهم ، وهى سمة بارزة طبعت النحو العربى منذ ظهر " كتاب " سيبويه إلى الوجود .

إن الاجتهاد النحوى قد قفل بابه ، وأحيط بناؤه بسياج محكم متين من القداسة ، لتوهم

النحاة حقاً أو باطلا أن هذه المناهج التى درست على ضوءها اللغة العربية ، وقننت أحكامها ، ووضعت معاييرها مناهج صالحة لكل وقت ، وغير قابلة للتغير والتطور ، بينما مظاهر الحياة جميعا الواقعة فى نطاق حسم تتجدد وتتطور دائما ، وانبنى على ذلك لديهم أنه من التعسف الفصل بين اللغة الحية على ألسنة المتكلمين وهذه المناهج الجامدة التى لا تتحرك ، وليس الأمر فى حقيقته كذلك ، فاللغة قد تتصف قواعدها وأحكامها التركيبية ، وأبنية كلماتها الصرفية بالثبات والاستقرار ، أو يلحقها تغير بطيء لا يكاد يلحظ ، كما هو شأن اللغة العربية لارتباطها الوثيق بالقرآن الكريم ، وميراث الإسلام الحضارى ، غير أن اللغة فى معانى ألفاظها ، ودلالات كلماتها متجددة متطورة كى تلبي حاجات الناس المتحركة فى دأب لا يمل كما أن المناهج التى تدرس بها هذه اللغة قابلة للتغير والتطور ، وإلا اتصفت حياتنا كلها بالجمود والهمود ، وهى حالة موت وانتحار لاتناسب الفعل الإنسانى الحى .

إن سلطان " كتاب " سيبويه قد طغى على من جاء بعده من النحاة ، فاهتموا به قراءة وشرحا وتدريسا ، وظلوا يطوفون حوله غير قادرين على الانفلات من عقال سلطانه المميت ، فإذا حاولوا وضع مؤلفات تنسب إليهم ، اغترفوا من نبع (الكتاب) الذى لا ينضب أبدا إلا فيما شذ ونذر من الآراء والأقوال النحوية التى لاتخرج عن المنهج الذى اختطه سيبويه ومن سبقه من النحاة الأوائل قيد أنملة ، فهى لاتؤصل منهجا نحويا متميزا ، ولاتبنى أساسا لغويا جديدا لدرس النحو العربى .

وقد جاء ابن أم قاسم وابن هشام بعد استقرار الدراسة النحوية أصولا وفروعا ، واكتمال بنائها منذ أمد طويل وحفلت المكتبة العربية بمئات المصنفات فى هذا الشأن ، فلم يكن أمامهما إلا النقل عن هذه المؤلفات والاعتماد عليها فيما يؤلفانه⁽⁴⁾ ، وهو أمر لاضير فيه — مادام لم يترك الأول للأخر شيئا — إن نسبت الآراء إلى أصحابها ، ووثقت من مصادرها الأصلية ، المباشرة وغير المباشرة ، غير أننا نجد فى الكتابين آراء كثيرة لم توثق نسبتها إلى أصحابها ، وتلك لعمري سرقة بينة يستوى فيها ابن أم قاسم وابن هشام وغيرهما .

إن الباحث لو كلف نفسه عناء البحث عن أصحاب هذه الآراء والأقوال التى جاءت دون نسبة ، أو بإسناد مبهم فى الكتابين : الجنى والمغنى ، لوجد أن ليس لابن هشام وابن أم قاسم من فضيلة إلا نقلها عن غيرهما من النحاة المتقدمين عليهما ، وماخاض فى بحث هذه القضية من أساسها ، لأن أقوى أدلته وأمتنها التى يعتمد عليها فى إثبات صحة دعواه قد ارتدت أثرها إليه ، تناديه : أن قد أخطأت السبيل القويم .

يورد الباحث مسائل معينة مختارة ، واردة فى الكتابين ، ويتخذ من مجيء رأى أو

4 — ربما كان كتاب ابن مالك (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) هو قمة التأليف النحوى الموسوعى عند العرب ، إذ حشد فيه أقوال النحاة السابقين واختلافاتهم حشداً لم يغادر شيئا ، وقد شرحه ابن مالك نفسه شرحا غير مكتمل ، فحاول ابنه إتمامه ، ثم جاء أبو حيان الأندلسى فكتب له شرحا ضخما سماه (التذيل والتكميل فى شرح التسهيل) ثم اختصره فى كتابه (ارتشاف الضرب من لسان العرب) ولم يكن المرادى وابن هشام بمعزل عن هذا الكتاب ، فقد شرحه المرادى ، وابن هشام أربعة كتب تدور حوله ، ومن هنا فى رأى كثرة النقول فى (المغنى والجنى) عن النحاة المتقدمين .

قول نحوى غير منسوب إلى أحد فى (المغنى) ، ومجيئه فى (الجنى الدانى) مصدرا بإسناد مبهم ، دليلا على أن المرادى قد نقل عن ابن هشام ، إذ خلو هذا رأى أو القول من الإسناد مطلقا يثبت أنه لابن هشام نفسه ، لا لأحد غيره ، والحق أن هذه الآراء التى جاءت فى (المغنى) غير معزوة إلى أحد ، وفى (الجنى الدانى) مبهمة الإسناد ، ليست لابن هشام ، وإنما هى لغيره من النحاة الذين سبقوه .

وبطبيعة الحال فإن المقام يضيق عن ذكر المسائل التى أوردها الباحث مفصلة ، أو أشار إلى مواطن ورودها فى الكتابين وإنما نذكر بعضها منها للتدليل على أن الباحث لم يكن موفقا فى الأساس الذى أقام عليه دعواه ، وبحثه ، فهو أساس متداع إذا انهدم تبعه ضرورة ماعده بالسقوط والتهالوى .

1 - مجيء (عن) دالة على الظرفية .

قال ابن هاشم :

" السادس من معانى (عن) : الظرفية كقوله :

وأس سراة الحى حيث لقيتهم ولاتك عن حمل الرباعة وإني⁽⁵⁾

قيل : لأن (ونى) لا يتعدى إلا بـ (فى) بدليل : ("ولانتيا فى ذكرى - طه 42") .

والظاهر أن معنى (ونى عن كذا) : جاوزه ولم يدخل فيه ، و (ونى فيه) : دخل فيه وفتر .

وقال ابن أم قاسم :

" السابع من معانى (عن) : أن تكون بمعنى (فى) كقول الشاعر :

وأس سراة الحى

... البيت ...

... هذا قول الكوفيين .

وقال بعض النحويين : تعدية (ونى) بـ (فى وعن) ثابتة ، والفرق بينهما أنك إذا قلت : ونى عن ذكر الله ، فالمعنى : المجاوزة ، وأنه لم يذكره ، وإذا قلت : ونى فى ذكر الله : فقد التبس بالذكر ، ولحقه فيه فتور وأناة " (مجلة كلية الدعوة 424) .

التمائل بين النصين واضح ، إلا أن المرادى يأتى بإضافة مهمة ، وهى نسبة دلالة (عن) على الظرفية إلى أهل الكوفة ، والبحث يرى أن ابن أم قاسم هو الناقل عن ابن هشام ، لأن قوله : (وقال بعض النحويين) لا ينصرف إلا إلى ابن هشام ، بحجة أن ماجاء بعد هذه العبارة فى الجنى قد ورد فى (المغنى) دون أن يعزى إلى أحد من النحاة ، لاتصريحا ، ولاتلويحا ، مما يعنى عند الباحث أنه رأى خاص لابن هشام ، تفرد به من بين النحاة جميعا .

تتبع هذه المسألة فى كتب النحاة يثبت أن مأخذ نص المرادى ومصدره إنما هو كلام شيخه أبى حيان الأندلسى (ت 745 هـ) ، وقد نقله من شرحه على (التسهيل) لابن مالك (ت 672 هـ) ، وكان أبو حيان قد رد على ابن مالك إجازته أن تأتى (عن) دالة

على الظرفية . ونصر أبي حيان نقله عبدالقادر البغدادي (ت 1093 هـ) في كتابه (شرح أبيات المغنى ، 298/3) :

" قال أبو حيان : قال المصنف في الشرح : واستعمال (عن) موافقة لـ (في) كقول الشاعر :

واس سراة الحى
..... البيت .

وجعلت هنا الأصل (في) كقوله تعالى ((ولاتنينا في ذكرى))⁽⁶⁾

وتعدية (ونى) بـ (عن) مستعملة في لسان العرب ، وفرق بين : ونى عن كذا ، وونى فى كذا ، فإذا قلت : ونى عن ذكر الله ، فالمعنى المجاوزة ، وأنه لم يذكره ، وإذا قلت : ونى فى ذكر الله ، فقد التبس بالذكر ، ولحقه فيه فتور " إن نص المرادى كما هو واضح منقول بحذافيره عن أبي حيان وقوله : قال بعض النحويين ، إنما يعنى به أستاذه أبا حيان ، وليس ابن هشام كما توهم الباحث دونما دليل فكيف إذن سقط هذا القول إلى ابن هشام ؟ ليست ثمة إلا طريقتان :

1. أن يكون ابن هشام قد نقله مباشرة من كتاب أبي حيان .

2. أنه أخذه عن (الجنى الدانى) بعد أن تصرف فى ألفاظه ببعض التحوير غير المؤثر فى جوهره ، وفحواه . أما أى افتراض آخر ، فهو بحث وراء سراب ، ومعاناة باطل ، وفى الحاليتين تظل أمانة ابن هشام العلمية محل نظر ، لأنه نقل عن غيره دون أن ينسب إليه ما أخذه عنه ، لأصراحة ، ولا إشارة ، مما جعل الباحث ينزلق هذا المنزلق ، فيظن أنه قد وقع على عين الحقيقة ، وحصل على دليل براءة ابن هشام مما نسب إليه من السطو على جهد المرادى العلمى فى كتابه (الجنى) .

2 - دلالة (من) على ابتداء الغاية ، وانتهائها .

قال ابن هشام :

" الثالث عشر من معانى (من) : الغاية ، قال سيبويه : " ونقول : رأيت من ذلك الموضع ، فجعلته غاية لرؤيتك " 1 هـ ⁽⁷⁾

أى : محلا للابتداء والانتهاء .

6- ابن مالك ، شرح التسهيل ، 161/3 . وفيه : واستعمالها .

7- قال أبو حيان (ارتشاف الضرب 442/2) : " يريد أن (من) دخلت على المحل الذى وقع فيه ابتداء الروية وانتهأوها ، ولذلك سماها غاية ، لما كان محيطاً بغاية الفعل " .

وقال ابن أم قاسم :

" الثامن من معانى (من) أن تكون للغاية ، نحو : أخذت من الصندوق ، ذكره بعض المتأخرين ، وحمل عليه كلام سيبويه المتقدم قال : إنه محل لابتداء الغاية وانتهائها معا " (مجلة كلية الدعوة 423) .

إن الباحث عندما وجد المرادى يقول : " ذكره بعض المتأخرين " اتخذ ذلك حجة على نقل ابن أم قاسم عن ابن هشام ، إذ المعنى بهذا القول هو ابن هشام ، لا أحد غيره ، لمجىء الكلام فى (المغنى) خلوا من الإسناد . وابن هشام فى واقع الأمر ينقل كلام سيبويه عن طريق كتاب ابن مالك (شرح التسهيل 136/3) ولم ينقل ابن مالك نص سيبويه تاما كما ورد فى (الكتاب) ولذا جاء تعقيب ابن هشام : أى محلا للابتداء والانتهاء " موحيا أنه من تفسير ابن هشام نص سيبويه ، والحق غير ذلك .

قال سيبويه فى (الكتاب 4 / 225) :

" وتقول : رأيت من ذلك الموضع ، فجعلته غاية رؤيتك ، كما جعلته غاية ، حيث أردت الابتداء والمنتهى " (8)

كما نجد هذا الفهم نفسه عند أبى حيان فى (البحر المحيط 8 / 108) قال : " أثبت أصحابنا فى معانى (من) أنها تكون لابتداء الغاية وانتهائها فى فعل واحد ، وأن الشئ الواحد يكون محلا لهما ، وتؤلوا ذلك على سيبويه " . وانظر (رصف المباني 323) .

إن ابن هشام لم ينفرد بهذا القول ، بل هو مسبوق إليه ، مما يعزز ماقلته سابقا من أن ابن أم قاسم وابن هشام ليسا بنحويين مبتكرين ، وإنما هما نحويان يتبعان خطى النحاة السابقين ، حدوك النعل بالنعل .

3 - دلالة (هل) على معنى التحقيق .

تدل (هل) فى الأصل على الاستفهام ، وقد تخرج عن هذا المعنى إلى الدلالة على التحقيق ، وتأكيده حصول مابعدا ، مما يعرف بتعدد المعنى الوظيفى للمبنى الصرفى الواحد ، وقد ثار بين النحاة جدل وخلاف حو انصراف (هل) إلى الدلالة على هذا المعنى الجديد ، وبخاصة إذا دخلت عليها همزة الاستفهام ، كما فى قول زيد الخيل :

8- نقل هذا النص ابن السراج فى كتابه (الأصول فى النحو 1 / 411) ، ولم ترد فيه كلمة المنتهى ، وربما يؤكد زيادة كلمة (المنتهى) على نص سيبويه قوله بعد : (ونقول : مارأيت منذ يومين ، فجعلتها غاية ، كما قلت : أخذته من ذلك المكان ، فجعلته غاية ، ولم ترد منتهى ، الكتاب (4 / 622) وشرح ابن السراج كلام سيبويه يدل على أنه لم يرد منتهى ، وربما عزز ذلك قول أبى حيان : " وتؤلوا ذلك على سيبويه / وهى ثابتة فى (النكت فى تفسير كتاب سيبويه ، للأعلام 1129) .

وقد كان ابن هشام من النحاة المانعين مجيء هل خارجة عن معنى الاستفهام إلى معنى التحقيق ، قال : " وبالغ الزمخشري فزعم أنها أبداً بمعنى : قد ، وأن الاستفهام إنما هو مستفاد من همزة مقدرة معها ، ونقله في (المفصل) عن سيبويه ، فقال : وعند سيبويه : أن هل بمعنى قد ، إلا أنهم تركوا الألف قبلها لأنها لاتقع إلا في الاستفهام " .

وقد جاء دخولها عليها في قوله :

سائل فوارس يربوع بشدنتا
أهل راونا بسفح القاع ذى الأكم⁽⁹⁾
... وقد عكس قوم ماقاله الزمخشري ، فزعموا أن هل لاتأتي بمعنى قد أصلاً⁽¹⁰⁾ ، وهذا هو الصواب عندي ، إذا لا مستمسك لمن أثبت ذلك إلا أحد ثلاثة أمور ...
والثالث : دخول الهمزة عليها في البيت ، والحرف لايدخل على مثله في المعنى ، وقد رأيت عن السيرافي أن الرواية الصحيحة : (أم هل) ، وأم هذه منقطعة بمعنى (بل) ، فلا دليل ، وبتقدير ثبوت تلك الرواية فالبيت شاذ ، على أنه من الجمع بين حرفين لمعنى واحد ، على سبيل التوكيد ، كقوله :
ولا للما بهم أبداً دواء⁽¹¹⁾ .

بل الذي في ذلك البيت أسهل ، لاختلاف اللفظين ، وكون أحدهما على حرفين " وقال ابن أم قاسم :

" وأنكر بعضهم مرادفة (هل) لـ (قد) ، وقال : يحتمل أن يكون : أهلاً راونا . من الجمع بين أداتين لمعنى واحد على سبيل التوكيد كقوله : ولا للما بهم أبداً دواء ، بل الجمع بين الهمزة وهل أسهل ، لاختلاف لفظهما ، ولأن أحدهما ثنائي " (مجلة كلية الدعوة 425) .

9- الزمخشري ، المفصل في صنعة الإعراب ص 319 ، سيبويه ، الكتاب 981/3 ، 1 / 100 .
10- جعل البغدادي في (الخزانة) 11 / 266 (من هؤلاء ابن جني ، الذي إن قال في (الخصائص 462/2) : " فأما (هل) فقد أخرجت عن بابها إلى معنى (قد) نحو قول الله سبحانه (هل أتى على الإنسان حين من الدهر . الإنسان 1) قالوا : معناه قد أتى عليه ذلك ، وقد يمكن عندي أن تكون مبقاة في هذا الموضع على بابها من الاستفهام ... فإن قلت : ماتصنع في قول الشاعر : سائل فوارس ... البيت ، ألا ترى إلى دخول همزة الاستفهام على هل ، ولو كانت على ما فيها من الاستفهام لم تلاق همزته ، لاستحالة اجتماع حرفين لمعنى واحد ، وهذا يدل على خروجها عن الاستفهام إلى معنى الخبر .
قيل : هذا قول يمكن أن يقوله صاحب هذا المذهب ، ومثله خروج الهمزة عن الاستفهام إلى التقرير ... فإنه قال بعد كلام طويل 2 / 456: فمن هنا جاز أن تقع (هل) في بعض الأحوال موضع (قد) وهذا كاف في إيضاح المراد والأغرب منه نسبة ذلك إلى الزجاج ، وهو يقول في (معاني القرآن وإعرابه 5 / 752) : " ومعنى (هل أتى) قد أتى على الإنسان أي : ألم يأت على الإنسان حين من الدهر " .
11 - الشاهد لمسلم بن معبد الوالبي ، وروايته في (شرح أبيات المغنى 4 / 134) نقلا عن (منتهى الطلب)

يبدأ ابن هشام نصه بمقولة خاطئة ، إذ إن الزمخشري من النحاة القائلين بدلالة (هل) على الاستفهام قال فى (المفضل 319) : " ومن أصناف الحروف حرفا الاستفهام ، وهما : الهمزة وهل فى نحو قولك : أزيد قائم ، وأقام زيد ، وهل عمرو خارج ، وهل خرج عمرو ، والهمزة أعم تصرفا فى بابها من أختها " فلا معنى لقول ابن هشام : " وبالغ الزمخشري فزعم أنها أبدا بمعنى قد " . والزمخشري فى ختام حديثه عن حرفى الاستفهام فى (متن المفضل) تحدث عن انحراف دلالة (هل) من الاستفهام إلى التحقيق بادئا حديثه بكلام سيبويه ، ثم استشهد ببيت زيد الخيل ، ولايعنى ذلك أنه يذهب إلى أن (هل) دالة على التحقيق أبدا ، والأمر الأهم أن الدليل الثالث الذى يورده الباحث دليلا على نقل المرادى عن ابن هشام هو من بضاعة الشيخ أبى حيان الأندلسى .

قال أبو حيان فيما نقله عنه البغدادى فى (الخزانة / هارون 11 / 267) : (12) " إن مرادفة هل لقد لم يقم عليها دليل واضح ، إنما هو شيء قاله المفسرون فى قوله تعالى (هل أتى على الإنسان حين) إن معناه : قد أتى ، وهذا تفسير معنى لاتفسير إعراب ، ولا يرجع إليهم فى مثل هذا ، وإنما يرجع فى ذلك إلى أئمة اللغة والنحو ، لا إلى المفسرين ، وأما البيت ، فيحتمل أن يكون من الجمع بين أداتين لمعنى واحد ، على سبيل التوكيد ، كقوله : ولا للما بهم أبدا دواء

" بل الجمع بين الهمزة وهل أسهل ، لاختلاف اللفظين "

لقد اتضح أن نص المرادى مأخوذ عن شيخه أبى حيان ، ولفظهما يكاد يكون واحدا ، وأن ابن هشام لم يكن أول من ذهب هذا المذهب ، متكنا على هذا الحجاج والاستدلال ، وإنما هو متابع لأبى حيان ، ينقل آراءه ، دون أن يسندها إليه ، وقد كان ابن هشام " كثير المخالفة له ، شديد الانحراف عنه (13) " .

ولأنريد ترك هذه القضية قبل نقاش أمر آخر ، وهو أن مانسبه الزمخشري إلى سيبويه صحيح ، ثابت نصه فى (الكتاب) - ومن يقرأ (المفضل) يدرك مدى عناية الزمخشري بـ (كتاب سيبويه) ودقة اطلاعه عليه - وابن هشام نفسه يقر ذلك ، ويعترف به ، قال :

" وثبت فى (كتاب سيبويه) رحمه الله ، مانقله عنه ، ذكره فى باب (أم المتصلة) ، ولكن فيه أيضا ماقد يخالفه ، فإنه قال فى باب (عدة مايكون عليه الكلام) مانصه ، وهل : هى للاستفهام " ولم يزد على ذلك " .

ثم يجعل ابن هشام من الأدلة التى يستشهد بها فى إنكار مجيء (هل) بمعنى (قد) نقل سيبويه عن العرب أنهم لم يستعملوا (هل) خارجة عن معنى الاستفهام ، وأخذ سيبويه

12- وانظر ارتشاف الضرب 3 / 256 - 257.

13- السيوطى ، بغية الوعاة ، 69/2 ، وقال الشيخ عزيمة : " كذلك رأيته - أى ابن هشام - نقل كثيرا من أعاريب (البحر المحيط) لأبى حيان ، ولم يشر إليه ولو مرة واحدة . والمواضع التى ذكر فيها اسم أبى حيان لاتتجاوز (36) وأكثرها كان نقدا أو اعتراضا على أبى حيان . وأكاد أقطع بأن كل إعراب لايات القرآن مبسوط فى (المعنى) إنما كان من (البحر المحيط) . مانأخذ ابن هشام من (البحر) يزيد أضعافا عما نقله من (الكشاف) ومن العكبرى ، وقد صرح باسم الزمخشري فى مواضع تزيد عن (150) وباسم العكبرى فى (45) ، دراسات لأسلوب القرآن الكريم 1 / 100 وهى شهادة عالم مطلع على الكتابين اطلاع بحث ودرس .

ذلك ، قال ابن هشام : " والدليل الثانى : قول سيبويه الذى شافه العرب وفهم مقاصدهم ، وقد مضى أن سيبويه لم يقل ذلك (14) . "

ونكتفى هنا بما قاله البغدادى فى (الخزانة 11 / 268) رادا على أبى حيان وابن هشام إنكارهما إتيان (هل) بمعنى (قد) : " ويرد عليهما أن مارداه هو قول سيبويه إمام البصريين ، والمبرد (15) ، وقول إمام الكوفيين الكسائى ، وتلميذه الفراء (16) ، وكلهم أئمة النحو والتفسير واللغة ، وقد خالطوا العرب الفصحاء ، وسمعوا كلامهم ، وفهموا مقاصدهم ، وثبت النقل عنهم ، فيتعين الأخذ به ، ورد من خالفهم فى هذا الباب (17) . "

4 - تعدد صور " إن " اللفظية والمعنوية .

قال ابن هشام :

- (1) تَأْتِي (إِنَّ) فعلا ماضيا ، مسندا لجماعة الإناث ، من (الأين) (18) وهو التعب ، تقول : النساء إنَّ ، أى تعبن .
- (2) أو من (أَنْ) بمعنى قرب .
- (3) أو مسند لغيرهن على أنه من (الأين) ، وعلى أنه مبنى للمفعول ، على لغة من قال فى رُدٍّ وجب : رَدٌّ وَجِبَ ، بالكسر تشبيها له بقليل وبيع ، والأصل مثلا أن زيدَ يوم

14- فى كتاب (شرح أبيات معنى اللبيب 6 / 67) ومابعدا للبغدادى ، رد مطول على ابن هشام فى كلامه هذا بداهة بقوله : وقد أنكر المصنف ما نقله الزمخشري عن سيبويه من أن هل بمعنى قد ، وهذا غير مستحسن من المصنف ، فإن الزمخشري إمام حافظ ثقة مأمون فيما نقله ، إلى آخر النص ، وانظر (الخزانة 11/262) و (شرح المفصل ، لابن يعيش 8/152-153) .

15 - (المقتضب 1/42 - 43) وفيه : " ومنها هل وهى للاستفهام ... وقد تكون بمنزلة قد ... ولأنها تخرج عن حد الاستفهام تدخل عليها حروف الاستفهام ... وإن احتاج الشاعر إلى أن يلزمها الألف فعل كما قال : سائل فوارس وانظر 3/290 - 292 .

16 - الفراء ، معانى القرآن 3/213 ، وانظر أمالى ابن الشجرى (الطناحى) 3/107 - 108 .

17 - من النحاة الموافقين لمن ذكرهم البغدادى ، أبو على الفارسي فى (كتاب الشعر 1 / 88) ومعاصره الرماتى فى (معانى الحروف 102) ، وربما كان الرضى هو الذى قال بأن الأصل فى هل الدلالة على التحقيق ، جاء فى شرحه على كافية ابن الحاجب 4 / 446 : " إن أصلها - أى هل - أن تكون بمعنى (قد) فقيل : أهل ، قال : أهل عرفت الدار بالغريين . وكثر استعمالها كذلك ، ثم حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال ، استغناء بها عنها ، وإقامة لها مقامها ، وقد جاءت على الأصل ، نحو قوله تعالى " هل أتى على الإنسان " أى " قد أتى . "

18- يبدو أن اللغويين الأوائل لم يرووا عن العرب مجيء الفعل من مادة : (ع ي ن) ، فالخليل . (العين 8/404) نصَّ على أنه : (لا يشتق منه فعل إلا فى الشعر) ، وكذلك أبو زيد الأنصارى فقد نقل عنه الجوهري فى (الصحاح أين) أنه (لا يبنى منه فعل) ، وقد نقل ابن هشام قول أبى زيد وعقب عليه بقوله : (فعلى قول أبى زيد يسقط بعض الأقسام . المغنى 1 / 39) . غير أن ثعلبا أحمد بنى يحيى ينقل عن ابن الأعرابى : (أن يبنى أيننا من الإعياء) وأنشد : إنا ورب القلص الضوامر ، إنا : أى أعيننا (الأزهرى ، تهذيب اللغة 15 / 550) وقال ابن دريد فى (جوهرة اللغة 1 / 249 ، 565) : " إنا : فعلنا من : الأين وهو التعب ، وأنشدنا أبو عمران الكلابى لرجل من خثعم :

أونوا فقد أنا على الطلح أيننا كآين الحافر الموكح .

وانظر : أبى الطيب اللغوى ، الأضداد 22 ، الخطيب التبريزى ، تهذيب إصلاح المنطق 134 ، وقد جاء المصدر (الأين) فى شعر النابغة الذبياتى ديوانه 27 ق 1 ب 46 .

الخميس ، ثم قيل : إن يوم الخميس .

(4) أو فعل أمر للواحد من (الأثنين) .

(5) أو لجماعة الإناث من (الأيّن) .

(6) أو من (أن) بمعنى قرب .

(7) أو للواحدة مؤكدة بالنون من (وأى) بمعنى : وعد كقوله : إن هند المليحة الحسناء...

(8) أو مركبة من (إن النافية) و (أنا) كقول بعضهم : إن قائمً والأصل : إن أنا قائم ،

فعل به ما مضى شرحه (ص 24) .

" فالأقسام عشرة ، هذه الثمانية ، والمؤكدّة ، والجوابية "

وقال ابن أم قاسم : " ذكر بعض النحويين لأن في الكلام عشرة أنحاء " ثم ذكرها

وهذا الموضع من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى بيان " (مجلة كلية الدعوة 422) .

إن هذا المبحث يحتاج إلى إيضاح أكثر بيانا مما ذكره الباحث في هذه العبارة

الموجزة ، فلم يكن ابن هشام أول من نص على هذه الأقسام الثمانية ، وإنما ذكرها النحاة

قبله ، وفصلوا القول فيها من مثل : على بن عيسى الرماني (ت 384 هـ) في كتابه

(معاني الحروف 111 - 112) :

قال : (وقد يكون - أى إن - على وجوه صناعية ، ولغوية ، فالصناعية أن تقول :

وأيت أى وعدت ، فإذا أمرت بالنون الثقيلة مؤنثا قلت : إن ياهذه⁽¹⁹⁾ .

ومن ذلك : أن الوقت يئين ، أى : حان ، فإذا أمرت مؤنثا مجموعا قلت : إن ، كما

19 (وأى) فى بنائه الصرفى مثل : وقى ، وعى ، وشى ، أى : فعل معتل لفيف مفروق وهذه الأفعال تأتى فى الماضى ضمن التكوين المقطعى (ح ، ح ج) ويكون المقطع الأول فيها عبارة عن (و - ح ") دائما ، ويسقط هذا المقطع عند تصريف هذه الأفعال فى المضارع والأمر ، لحدوث تتابع صوتى ينفر منه ذوق العربية ، فإذا بنينا فعل الأمر منها جاء مكونا من مقطع صوتى واحد ، قصير مفتوح (ح) فنقول : ق ، ع ، ش ، ع ، لوجود التتابع الصوتى (! و ق ي) مما ينتج عنه حذف شبه الصائت الساكن (و) والصائت القصير الذى قبله (!) ثم حذف شبه الصائت الساكن (ي) فإذا أسندناه إلى مخاطبة حركنا الصامت بكسرة طويلة : (ق ، ع ، ش ، ع) وعند تأكيده تضاف على آخره نون مثقلة (ن) فتصبح بنيتة الصرفية (ق ، ن ، ع ، ن ، ش ، ن ، ع ، ن) مما ينتج عنه تكون حياة الفعل من مقطعين صوتيين هما (ح ج س و ح) ، وليس هذا من المواضع التى يرد فيها المقطع (ح ح س) فى العربية ، فيحول إلى المقطع (ح س) بتقصير صائته ، فتصبح صورة هذه الأفعال اللفظية : (ق ، ن ، ع ، ن ، ش ، ن ، ع ، ن) ، ونلاحظ أن الفعل الأخير (إن) يأتى مشابها فى صورته اللفظية (الصناعية) لأداة التوكيد (إن) وهى ليست مشابهة معنوية .

وكذلك إذا دل هذا الفعل على أمر الواحد ، وأكد بالنون الثقيلة (ع + ن) ، وهى مشابهة صناعية كذلك (انظر العين 442/8 ، لسان العرب (و ع ي) .

تقول بعن⁽²⁰⁾ وكذلك إذا أخبرت عن جماعة مؤنث⁽²¹⁾ ، وتقول إن يازيد ، إذا أمرته بالأنين .

ومن ذلك : إن فى المكان⁽²²⁾ ، إذا بنيت الفعل للمفعول . وأصله : أن ، إلا أنك كسرت أوله قياسا على قولهم : حلّ فى المكان ، أى : حلّ ، وذلك أنهم يشبهون المضاعف بالمعتل فيكسرون أوله ، كما يكسرون أول : قيل ، وبيع وما أشبه ذلك .
ومن مواضعها قولك : إنّ إلا قائم⁽²³⁾ فالقيت حركة الهمزة على النون ثم ادغمت النون فى النون ، وهذا كقوله تعالى (ولكننا هو الله ربى - الكهف 38) . أى : " أنا هو الله ربى " .

وقال ابن الشجرى فى (الأمالى 2 / 39) ، شارحا هذا البيت الذى وضع لرياضة المبتدئين :

20 - الأمر من مثال : باع : بيع ، وأصله (إينغ) إلا أن القوانين الصوتية الوظيفية تحوله إلى : بيع مما ينشأ عنه تكوين بنية الفعل الصرفية من مقطع صوتى واحد ، هو (ح ح س = بـ غ) الذى يجب تحويله هنا إلى : (ح س = بغ) فإذا أسند إلى جماعية الإثاث المخاطبات ، اتصلت به نون النسوة (ن -) ، فنقول : بغن ، وكذلك الحال بالنسبة للفعل : أن ، فالأمر منه بعد التغيير : (ع - ن) ، فإذا اتصلت به نون النسوة ، أصبح بناؤه الصرفى (ع ن ن) ويكتب : (إن) ، بإدغام المثليين الساكن أولهما ، وهى أيضا صورة صناعية بالنسبة لإن المؤكدة ، وعدها من أقسامها خلط شديد ، إذ لا اعتداد فى الأنواع الصرفية بالرسم الكتابى ، وإنما بالمعنى .

21 - يأتى الفعل فى هذه الصورة على مثال : (إن) ، وهى مكونة فى الأصل من الفعل الماضى : إن ، المسند إلى جماعة الإثاث الغائبات (ن -) = (ع ان + ن) ، ونون النسوة يبنى آخرها لفعل معها على السكون = (ع ان + ن) ، فيتألف أول الفعل من المقطع الصوتى (ح ح س = ع - ن) فيقصر صائنته ويحول إلى المقطع (ح س = ع - ن) ، ثم يغير صائنته الأول من فتحة إلى كسرة للدلالة على أن أصل عينه ياء أو أنها مكسورة فى المضارع ، فتصبح صورة الفعل فى خاتمة المطاف : (إن) وهى كما سماها الرماتى صورة صناعية .

22 - القياس فى الفعل الماضى الثلاثى المعتل العين (الأجوف) أن تكسر فاؤه عند بنائه للمفعول ، لاستئصال مجيء ضمة وبعدها شبه صائنت (و - ي) محرك بكسرة قصيرة ، فالأصل فى : قيل وبيع : قول ؛ بيع مما ينشأ عنه التتابع الصوتى : (' و - ي +) ، مما ينتج عنه حذف شبه الصائنت ، والصائنت القصير الذى قبلهما (' و - ي) وتحويل الكسرة إلى طويلة .

كما أن القياس فى الفعل المضعف عند بنائه للمفعول أن يضم أوله فنقول فى حل : حلّ غير أنه قد أجز فيه كسر فائه أيضا فيقال : حلّ ، وعلى ذلك بناء أن للمفعول يقال فيه : أن ، وإن ، فيأتى فى الصورة الأخيرة مشابها لأن فى تركيبه الصوتى وهذه الصورة ليست هى القياس فى بناء الفعل المضعف للمفعول ، بل القياس أن يضم أولها فنقول : أن ، وحل ، وقد وصفها المرادى (الجنى 400) بأنها لهجة رديئة ، وهى لهجة بنى ضبة ، وقد جاءت فى قراءات شاذة .

23 - أصل التركيب : إن أنا ، فحذفت همزة أنا ، وقصر صائنت النون ، فصار التركيب : إن ن ، فادغم المتتالين (إن) ، وهى مشابهة لفظية للامعنوية ، إذ إن أداة بسيطة دالة على التوكيد ، وهذه كلمة مركبة من : إن النافية ، وأنا ضمير المتكلم المنفصل ، ومعنى التوكيد لاصلة له بالنفى فى الكلمتين غير أن هذه الجملة : إن إلا قائم ، احتوت على معنى التوكيد لايجاب النفى بإلا وهو أسلوب بلاغى يعرف بـ (القصر) .

إِنَّ هَذَا الْمَلِيحَةُ الْحَسَنَاءَ وَأَيَّ مَنْ أَضْمَرَتْ لَوَايَ وَفَاءً.... (24)

إن : هاهنا فعل أمر من قولهم : وأيت أى : وعدت ، وهو موجه إلى امرأة ، وقد أكد بالنون الثقيلة ، فأصله : إلى : كما تقول إذا أمرتها من : وفيت : فى بقولك ، ومن : وعيت : عى كلامك ، ولما اتصل بالنون أوجب ذلك إسقاط الياء لالتقاء الساكنين (25) ، ففعل : إن ، كما تقول من الوفاء : فـ (26) .

لقد أسفر الصبح لذى عينين ، إذ إن ابن هشام لم يكن من النحاة المجتهدين أصحاب الآراء الحرة ، والاجتهادات المبتكرة ، وإنما هو كغيره من النحاة المتأخرين عالة على جهد النحاة المتقدمين عليهم . ينقلون آراءهم واجتهاداتهم دون عزو أو إسناد ، حتى تبدو أمام النظر المتسرع ، كأنها مما أبدعه هؤلاء النحاة وابتكروه ، فلا فضيلة لهم فى حقيقة الأمر إلا تمثل هذا التراث بحدوده المرسومة ، وأصوله الموضوعية ، والدوران ضمن إطاره ، دون أن يمنحوا أنفسهم لحظة من التفكير الجاد فى هذا الإرث الحضارى ، وعرضه على محك النقد المنهجى البناء ، لأن أذهانهم قد طبعت على تقديس هذا التراث ، فليست لديهم المقدرة على تجاوزه ، والانطلاق خارج قوانينه المقررة ، وبخاصة أن ابن هشام وابن أم قاسم قد جاءا وشمس الحضارة العربية الإسلامية قد أذنت بالأفول . فلم يكن أمامهما إلا نقل هذا التراث وتكراره ، وهو أمر حميد يحفظ للأمة كيائها إلى اللحظة التى تتبعث فيها من سباتها ، وتعود إليها حيوية الحياة ، وذلك لاينفى مراعاة الأمانة العلمية والتزام الدقة فى النقل عن المتقدمين .

ولعل من نافلة القول أن هذه الأقسام الثمانية التى يوردها ابن هشام وغيره من النحاة لـ (إن) لأصلها بأداة التوكيد (إن) إلا من ناحية الرسم الكتابى ، أما من ناحية المعنى ، فلا علاقة بين هذه الصور وإن المؤكدة ، وهذا عيب منهجى ساد النحو العربى القديم لخلطه بين الأشكال والأشياء لأدنى ملابس ، حتى إن بدت غير مقبولة فى عرف (التحليل اللغوى) .

24 - قائله : يوسف بن الدباغ ، النحوى الصقلى ، بغية الوعاة 2 / 356 ، والإفصاح 64 ، الانتخاب 597 ، شرح أبيات المغنى 1 / 57 - 59 . والوأي : ضمان العدة (العين 8 / 442) ومعنى البيت : اضمنى الوفاء بوعدك ، ياهند المليحة الحسناء ، ضمان التى تنوى الوفاء بعهدا .

25 - ليس فى هذه الصورة التقاء ساكنين ، وإنما يوجد صانت طويل هو الكسرة ، متلو بصامت ساكن = (ع ن) مما يؤلف المقطع الصوتى (ح س) ، وهو لا يوجد فى العربية إلا ضمن شروط معينة ، إذا فقدت ، قصر صائته ، وحول إلى المقطع (ح س) .

26 - وانظر : أمالى ابن الشجرى 2 / 32 - 43 ، العكبرى ، المثبع ، فى شرح اللمع 279 - 280 .

5 - جر الاسم المستثنى بعد (ما خلا)

قال ابن هشام :

"وزعم الجرمى والربعى والكسائى والفارسى ، وابن جنى أنه قد يجوز الجر - أى بما خلا - على تقدير (ما) زائدة⁽²⁷⁾ : فإن قالوا ذلك بالقياس ففساد ، لأن (ما) لاتزاد قبل الجار ، بل بعده ، نحو (عما قليل - المؤمنون 40) و (" فيما رحمة - آل عمران 159) وإن قالوه بالسماع ، فهو من الشذوذ بحيث لا يقاس عليه " وقال ابن أم قاسم :

"وقال بعضهم : الجرمى يخفض بها - أى ما خلا - ويجعل (ما) زائدة ، دخولها كخروجها ، فإن كان ذلك قياسا منه ، فهو فاسد ، لأن (ما) لاتكون زائدة فى أول الكلام ، لأنها ضد الاعتناء الذى قدمت له ، وإن كان يحكى ذلك عن العرب ، فهو من الشذوذ بحيث لا يقاس عليه ."

إن عبارة " قال بعضهم " الواردة فى نص ابن أم قاسم لا يقصد بها عند الباحث إلا ابن هشام ، ولما رأى أن بين النصين نوعا من الخلاف فى ذكر النحاة المجيزين لهذا الاستعمال بين ابن هشام وابن أم قاسم علق على ذلك بقوله : " وهذا الاختلاف كما قلت من قبل ناشئ من اختلاف نسختي (المغنى) ففى التى بين أيدينا ذكر مع الجرمى غيره ، ومثل بأيتين من القرآن الكريم ، وفى الأخرى لم يفعل ذلك " (مجلة كلية الدعوة 423) .

إن الباحث لو رجع إلى كتاب المالقي (رصف المباني فى شرح حروف المعانى) لوجد أن نص المرادى المصدر بعبارة قال بعضهم منقول بحذافيره عن كتاب المالقي (ص 186) ، ولما افترض وجود فارق بين نسختي المغنى ، كما أن عرض هذه المسألة الخلافية لم يكن جديدا فى تاريخ الدرس النحوى العربى ، وإنما هي قديمة قدّم هذا النحو ، فقد وجدت جذورها عند الكسائى (ت 182) ، وأبى عمر الجرمى تلميذ الأخفش الأوسط (ت 225 هـ) وتلقفها بعدهما الفارسى وتلميذه الربعى .

قال الرماني (معانى الحروف 106) : " وجوز الجرمى الجرّ بعد - ما خلا وما عدا - ولم يثبت⁽²⁸⁾ على أن (ما) زائدة⁽²⁹⁾ . وأجاز الكسائى الجر على زيادة (ما) وهو قبيح ، لأن (ما) لايزاد أولا " .

27- فى (الكتاب 2 / 349 - 350) " وبعض العرب يقول : ما أتانى القوم خلا عبد الله فيجعل (خلا) بمنزلة (حاشا) فإذا قلت : ما خلا ، فليس فيه إلا النصب " . وفى (العين 4 / 308) " وما فى الدار خلا زيدا ، نصب وجر ، فإذا أدخلت (ما) لم تجر ، لأنه قد بين الفعل " وأجاز الجر بعد (عدا) 2 / 213 . وعنه فى (تهذيب اللغة 576/7) " يقال : ما فى الدار أحد خلا زيدا ، نصب وجر ، فإذا قلت : ما خلا زيدا ، نصبت لاغير ، لأنه قد بين الفعل " ووضح أن نقل الأثرى عن الخليل أدق وأحكم مما جاء فى نص (العين) المحقق .

28- يعنى أن إجازة الجرمى مبنية على القياس ، لا على الاستعمال ، وهو ما أكده نص سيبويه السابق الذكر ، أو أنها مبنية إلى استعمال شاذ لا يؤصل قياسا .

29 - نقله الرضى فى (شرح الكافية 2 / 90) دون إشارة إلى الرماني ، وانظر ، الجوهري (الصحاح : خلا ، عدا) ، المبرد المقتضب 4 / 624 - 427) .

وقال ابن الناظم في شرحه على ألفية والده ابن مالك (308 — 309) : " وروى الجرمي عن بعض العرب جر ما استثنى بـ (ماعدا ، وما خلا) وإلى ذلك الإشارة بقوله : (وانجرار قد يرد) . والوجه فيه أن يجعل (ما) زائدة ، و (عدا ، وخلا) حرفي جر ، وفيه شذوذ لأن (ما) إذا زيدت مع حرف جر لا تتقدم عليه ، بل تتأخر عنه ، نحو قوله تعالى : " فبما رحمة من الله " و " عما قليل " . والنصّ عينه في شرح ابن مالك لكتابه (التسهيل 3 / 310) .

وقال أبوحيان في (ارتشاف الضرب 3 / 318) : " وذهب الكسائي والجرمي ، والفارسي في (كتاب الشعراء) له ، والربعي ، إلى إجازة الجرّ بعد (ماعدا ، وما خلا) ، فتكون (ما) زائدة وحكاة الجرمي عن العرب في باب الجرّ من كتاب (الفرخ) . " .
لقد جعل ابن هشام ابن جني من النحاة القائلين بجواز جرّ الاسم المستثنى بعد (ما خلا) ، ولم أجد من ذكر ذلك غيره ، فيما بين يدي من مصادر بل إن ابن جني في كتابه (اللمع في العربية 126) ليذهب إلى عدم إجازة الجر بعد (ما خلا) ، قال : " فإن قلت : ما خلا زيدا ، نصبت مع (ما) ، لا غير " .

من البين الآن من خلال هذه النصوص أن ابن هشام لم يكن مبتدعا لشيء ما ، وإنما كان يجرّ خطاه على أثر من سبقه ، فلا معنى لأن نقول : إن المرادي ينقل عنه ، بخاصّة أن الباحث يؤكد أن ما جاء في " الجني الداني " إنما هو من قول ابن هشام ، لا لأحد سواه ، وقد بطل ذلك .

وقد جاء نصّ أبي حيان مع اختلاف قليل في الألفاظ في (الجني الداني — 436 — 437) دون أن ينسبه إليه ، وربما يعود الفرق بينهما إلى أن المرادي ينقل من الشرح الكبير لأبي حيان على (التسهيل) .

6 — مجيء همزة الاستفهام قبل العاطف : (الواو ، الفاء ، ثم)

جاءت همزة الاستفهام في القرآن الكريم وكلام العرب مقدّمة على أدوات العطف (الواو ، الفاء ، ثم) ، وكان الأصل فيها أن تأتي بعدها ، فقال سيبويه والجمهور : إنّ الهمزة قد قدّمت على العاطف تنبيها على أصلاتها في التصدير وخالفهم الزمخشري وجماعة ، فزعموا أن همزة الاستفهام في هذه الحالة واقعة موقعها الأصلي ، وأن العطف على جملة مقدّرة بينها وبين العاطف .

ففي قوله تعالى (" أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، ولدار الآخرة خير — يوسف 109 ") — والتركيب نفسه (أفلم يسيروا) في : الحج 46 ، غافر 82 ، محمد 10 — ، قدّمت الهمزة عند سيبويه والجمهور على الفاء العاطفة ، مراعاة لأصلها في التصدير ، أما عند الزمخشري ومن تابعه ، فبعد الهمزة : جملة محذوفة ، والفاء عاطفة للجملة التي بعدها على هذه الجملة المحذوفة والتقدير في الآية : أفلم يسيروا . وبهذا التقدير تكون همزة الاستفهام قد تصدرت الجملة وهو مولها الأصلي .

وقد ضعف ابن هشام قول الزمخشري ، ومن معه ، قال : " ويضعف قولهم ما فيه من التكلف وأنه غير مطّرد في جميع المواضع ... وقد جزم الزمخشري في مواضع بما يقوله الجماعة ... وجوز الوجهين في موضع " .

وقال ابن أم قاسم : " وذهب الزمخشري إلى تقدير جملة بعد الهمزة ، لائقة بالمحل ، ليكون كل واحد من الهمزة ، وحرف العطف في موضعه ... وضعف بعدم اطراده... وبأن فيه حذف جملة معطوف عليها من غير دليل . قيل : " وقد رجع إلى مذهب الجماعة في سورة الأعراف " .

ويعقب الباحث بقوله : فهذا قول ابن هشام حكاه ابن أم قاسم بقوله : " وضعف " ، بالبناء للمجهول وبقوله : " قيل " كذلك وينبغي التنبيه إلى أن ابن هشام ذكر ما ذكر غير معزو إلى أحد أي هو من كلام ابن هشام نفسه ، لئلا يقال : إنهما نقلا من مكان واحد " (مجلة مكتبة الدعوة 421 - 422) .

إن هذا القول قد يسلم للباحث لو لم يضع ابن مالك في كتابه (شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح 64 - 65) بين أيدينا المصدر الذي استقى منه ابن هشام كلامه . قال ابن مالك : " ولكن خصت الهمزة بتقديمها على العاطف تنبيهاً على أنها أصل أدوات الاستفهام ، لأن الاستفهام له صدر الكلام ، وقد خولف هذا الأصل في غير الهمزة ، فأرادوا التنبيه عليه ، فكانت الهمزة بذلك أولى ، لأصالتها في الاستفهام .

وقد غفل الزمخشري في معظم كلامه في " الكشف " (30) عن هذا المعنى ، فادعى أن بين الهمزة ، وحرف العطف جملة محذوفة ، معطوفاً عليها بالعاطف بعده . وفي هذا من التكلف ، ومخالفة الأصول ما لا يخفى ، وقد تقدم في كلامي على (ليتنى) أن المدعى حذف شيء يصح المعنى بدونه ، لاتصح دعواه حتى يكون موضع ادعاء الحذف صالحاً للثبوت ، ويكون الثبوت مع ذلك أكثر من الحذف ، ومانحن بصده بخلاف ذلك ، فلا سبيل إلى تسليم الدعوى .

وقد رجع الزمخشري عن الحذف إلى ترجيح الهمزة على أخواتها بكمال التصدير " وانظر (ابن مالك ، شرح التسهيل 4 / 111)

وقال أبو حيان (البحر المحيط 271/1) : (" أفطمعون - البقرة 75 ") والفاء بعد الهمزة وأصلها التقديم عليها والتقدير : فأتطمعون ، فالفاء للعطف ، لكنه اعتنى بهمزة الاستفهام فقدمت عليها .

والزمخشري يزعم أن بين الهمزة والفاء فعلاً محذوفاً ، ويقر الفاء على حالها ، حتى تعطف الجملة بعدها على الجملة المحذوفة قبلها ، وهو خلاف مذهب سيبويه ، ومحجوج بمواضع لا يمكن تقدير فعل فيها نحو قوله : (" أو من ينشأ في الحلية - الزخرف 16 - 11 ") - (" أفمن يعلم أنما أنزل إليك - الرعد 19 ") - (" أفمن هو قائم - الرعد 33 ") .

وقال (المصدر نفسه 1 / 323) . " وقد رجع الزمخشري عن اختياره إلى قول الجماعة ، وقد أمعنا الكلام على ذلك في كتابنا المسمى بـ (التكميل لشرح التسهيل) " . وانظر المصدر نفسه 183/1 ، 274 - 275 - 277 ، 330 ، وغيرها . وشرح الرضى على الكافية 4 / 391 - 392 .

هذا ومذهب ابن هشام في (أوضح المسالك 3 / 397 - 398) صورة لمذهب الزمخشري ، واختياره في هذه المسألة ، قال : " ويجوز حذف المعطوف عليه بالفاء والواو ... والثاني ، نحو : (أفنضرب عنكم الذكر صفحا - الزخرف 5) أي : أنهمكم فنضرب ونحو : (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم - سبا 19) - أي : أعموا فلم يروا " والآيتان في (الكشف) بالتخريج نفسه (281/3 ، 478) .

أعتقد أن هذه المسائل كافية للتدليل على صحة ما نريد قوله من أن ابن هشام لم يكن صاحب هذه الآراء التي يريد الباحث من خلالها إثبات أن ابن أم قاسم كان في كتابه (الجنى الدانى) ناقلا عن ابن هشام ، وعالة عليه يأخذ عنه دون أن يشير إليه باللفظ الصريح وإذا أراد الباحث إثبات هذه المسألة ، فعليه أن يفتش عن أدلة وبراهين جديدة ، لا مطعن فيها ، ولا أريد أن أقول قوله المتعالي الذي ياباه كل متعلم : " وأنى بها " ولعل ما كتبه هنا يؤكد صحة قولى : إن ابن هشام والمرادى مجرد نحويين ينقلان عن قبلهما من النحاة دون إشارة واضحة في كثير من الأحيان وهي قضية يشترك فيها كثير من نحاة العربية المتأخرين ، إذ لم تكن مسألة تأصيل الآراء النحوية ، ونسبتها إلى أصحابها ، محل عنايتهم .

ويصل الباحث في خاتمة بحثه إلى نتيجة مفادها : أنه أحصى أربعة وعشرين موضعا يتلاقى فيها الكتابان لقاء بينا ، لا لبس فيه ، وهي دالة على أن المرادى قد اطلع على التأليف الأول - (المغنى) وأخذ منه وليس هناك دليل واحد يدل على أن ابن هشام اطلع على (الجنى الدانى)

ثم يقول (مجلة كلية الدعوة 426) : " وإنما أطلت هنا لدفع احتمال أن ابن أم قاسم أخذ ما أخذ من كتب أخرى لابن هشام ، إذ كيف مع اجتماع هذا كله في مكان واحد . ومهما يكن ، فالبيينة على المدعى وأنى بها !!! "

هذا جوهر بحث الكاتب ولبابه ، وربما لم يسلم له منه إلا ما كتبه عن (المغنى) لابن هشام ، معرفا به .

وأريد هنا قبل أن أختم هذه الوريقات التي يطالها القصور من كل جانب ببعض الملاحظات أن أتحدث عن ابن أم قاسم المرادى قليلا : لقد كان المرادى : الحسن بن قاسم ابن عبدالله ، معاصرا لابن هشام ، وتوفى قبله ، وهو من تلاميذ أبي حيان الأندلسي صاحب المؤلفات الموسوعية الضخمة في تفسير القرآن الكريم وإعرابه ، ونحو العربية ، وقد لازمه المرادى واستفاد من علمه .

وقد كان المرادى ذا ثقافة لغوية ، تدور في إطارين لا انفصال بينهما لغة القرآن تفسيراً وإعراباً ، وبيان قراءاته وأحكام تجويده ، ولغة العرب نحواً وصرفاً ، ومعانى أدوات فهو قد أعرب البسملة ، كما أعرب القرآن الكريم ، ووضع مؤلفاً في تفسيره ، وشرح (الشاطبية) في علم القراءات ، وشرح قصيدة للسخاوى في أحكام التجويد كما شرح بعض (المتون النحوية) الموضوعه قبله ، واهتم بمعانى الحروف ، فنظم بعضها ، وشرح هذا النظم ، ووضع رسائل خاصة لشرح معانى : كلا وبلى ، ولو ، وختم ذلك بكتابه (الجنى الدانى في حروف المعانى) ، مما يعنى أن اهتمام المرادى بحروف المعانى كان اهتماماً قديماً ، ولا شك أن هذا الاهتمام قد أثمر تأليف (الجنى الدانى) قبل أن يؤلف ابن هشام

(المغنى) إضافة إلى أن هذا النوع من التأليف لم يكن جديداً على الدراسات اللغوية العربية ، وهو مجال مهم للتأليف إذ إن المعانى النحوية المختلفة ماعدا الإثبات ، والأمر بصيغة الفعل ، والتأكيد عن طريق تقديم ماحقه التأخير - تؤدى عن طريق الأداة ، كالنفي ، والاستفهام ، والتوكيد ، والاستثناء ، والتمنى والنهى ، والدعاء ، والطلب ، والترجى ... وغيرها ، ناهيك عن أن هذه الأدوات قد تدل على أكثر من معنى نحوى وظيفى ، فاللام مثلاً وهى مبنى صرفى واحد تحمل أكثر من دلالة فى ثنائى التراكيب النحوية المختلفة ، فهى تأتى حرف جر (ومعانيها هنا متعددة) ، ودالة على الأمر والتوكيد ، والجحود ، وربط جواب الشرط بفعله ، وغير ذلك من المعانى النحوية ، فهى مجال خصب لأن تفرد بدراسات خاصة بها .

إن هذا العرض الموجز لحياة المرادى العلمية يرينا أن ثقافته اللغوية لم تكن أقل شأنًا من ثقافة ابن هشام ، بل ربما فاقتها .

أما ملاحظتنا الختامية ، فيمكن إجمالها فيما يلى :

(1) مواضع التشابه والتماثل بين الباب الأول من كتاب ابن هشام (مغنى اللبيب عن كتب الأعراب) ، وكتاب المرادى (الجنى الدانى فى حروف المعانى) لا يمكن حصرها فى المواضع التى أوردها الباحث نصاً ، أو أشار إلى مواضع ورودها فى الكتابين ، وإنما مواطن التوافق بينهما ظاهرة عامة ، تشيع فيهما شيوعاً بينا ، ولايكفى للدلالة على ذلك الإتيان بالمثل أو مائة المثل ، وهذا يدركه كل من اطلع على الكتابين اطلاع نظر متأن ، أو متعجل .

(2) لم يكن المرادى ولا ابن هشام يؤصلان منهجاً جديداً فى درس النحو العربى ، وطرائق التأليف فيه ، بل هما عالة على من قبلهما فى كل شىء ، ونظرة عجلية على المؤلفين تكفى للقول : لو جرد الكتابان مما فيهما من النقول المعزوة إلى أصحابها ، والمبهمة الإسناد ، والخالية من العزو إلى أحد ، مابقى منهما شىء يصح إسناده إلى المرادى أو ابن هشام⁽³¹⁾ ، فلا معنى للدعاء بعد أن أحدهما قد أخذ عن الآخر ، وسطاً على جهده العلمى ، وربما كان ابن هشام قد استفاد من (الجنى الدانى) فائدة كبرى ، دون إشارة إليه .

(3) قول الباحث إن الآراء غير المنسوبة فى (المغنى) هى لابن هشام ، لا لأحد سواه ، قول قد ثبت بطلانه ، وتجافيه عن الحقيقة ، وبحث مثل هذه القضية يحتاج إلى درس متأن ، ودؤوب ، فاحص لأقوال النحاة الذين سبقوا ابن هشام مما يكلف الباحث الرجوع إلى مئات المصادر المتنوعة المشارب ، وقد لايكفيه ذلك أن ينص على أن هذا ان رأى هو لابن هشام نفسه بدرجة تصل إلى اليقين الثابت والعلم الراسخ .

(4) لانعلم على وجه التحديد متى ألف المرادى كتابه (الجنى الدانى) غير أنه ربما كان من مؤلفاته الوسطى ، لأنه يحيل فيه على بعض مؤلفاته ولايحيل فيه على بعضها الآخر ، مما قد يكون دليلاً على أن هذا الكتاب يأتى ضمن مؤلفاته الوسطى ، وليس من آخر ما

31- اتهم عبد القادر البغدادى فى غير ما موضع من كتابه (شرح أبيات مغنى اللبيب) ابن هشام بالنقل عن غيره من النحاة دون أن يشير إليهم أدنى إشارة .

ألف ، كما يريد الباحث أن يثبت دونما دليل قاطع ، وكما قال محققا الكتاب⁽³²⁾ .
 إن المرادى يحيل على كتابه (شرح التسهيل) فى غير ما موضع من (الجنى الدانى)
 وإلى رسائله فى (إعراب البسملة 201) ، (كلا وبلى 578) ، (شرح معنى لو 278)
 وإلى وريقات ألفها فى (الألفات 180) . ولانراه يحيل على كتبه الأخرى مثل : شرح
 المفصل ، شرح الألفية ، شرح الحاجبية النحوية ، شرح الفصول ، شرح الجزولية ،
 إعراب القرآن ، شرح الشاطبية ، وغيرها من مؤلفاته ، كما ذكر أستاذه بكنيته (أبى
 حيان) فى ثمانية عشر موضعا فى (الجنى الدانى) وينعته فى جميعها بالشيخ . ولم
 أره وصف غيره بهذا الوصف ، مما يدل على احترامه وتوقيره لأستاذه ، وهذا الأمر
 ربما دل على أن المرادى قد ألف كتابه فى حياة أستاذه وإلا كان ذكره مقرونا بالترحم
 عليه كما هى عادة التلاميذ الذين يوقرون مشائخهم . والباحث بالطبع يعنيه أن يكون
 (الجنى الدانى) من آخر مؤلفات المرادى ليثبت أنه مبنى فى أساسه على (المغنى)
 لابن هشام ، وربما لم يكن الأمر كذلك مادام هذا الاحتمال الذى قدمناه قائما .

(5) إن قول الباحث : " فالبينة على المدعى . وأنى بها ؟! " قول خارج عن إطار العلم
 الذى يأبى الحديث بلغة الحسم والجزم ، فلقد اتضح أن الآراء التى أكد نسبتها إلى ابن
 هشام ، وقادته إلى هذا القول ليست له فى شيء ، وهى معولة فى إثبات دعواه ..
 فليبحث عن أدلة جديدة يسند بها وجهة نظره تكون أكثر إحكاما ، واتصالا بالعلم
 ومناهجه فى البحث . وربما كان من حقى بعد أن أقول بناء على بحث الباحث : لم يقف
 المرادى فى (الجنى الدانى) أثر ابن هشام فى (المغنى) فقد أصبح القول بذلك غير
 مستند إلى حجة وبرهان ، ومن يريد إثبات ذلك فليأتنا بالدليل البين ، فقد يجد شواهد
 أخرى غير ما ذكره الباحث تعينه على الوصول إلى هذا المبتغى ، ولن أقول : هيهات ،
 أدلج الناس ، ونمت ، وربما جاء من هو أكثر منا صبرا على معاناة شذائد العلم ، فأهدى
 إلينا عيوبنا ، وأزاح الستار عن قصورنا ، بلغة علمية متينة ، لا أمت فيها ، ولا عوج .
 وبعد .. فإنى لا أبرئ نفسى من السهو والغلط والنسيان ، وإنما هى كلمة أردت
 إبلاغها على لسان أولئك الذين هضم حقهم ، فجاءت أقوالهم غير منسوبة إليهم فى (المغنى)
 و (الجنى الدانى) على حد سواء .

والحمد لله ، والصلاة والسلام على من اصطفى

32- قالا : وهو فيما يبدو من أواخر كتبه التى صنف ، لأنه قد ذكر فى طياته عددا من كتبه المتقدمة
 تصريحا ، أو تلميحا " (المقدمة ص 11) " ، غير أنه لم يشر إلى مؤلفاته جميعا ، وما أهمل الإشارة إليه
 أكثر مما ذكره ، فهل ألف ما أهمله بعد (الجنى الدانى) أو قبله ؟ .

ثبت المراجع

- 1 — الأزهرى : أبو منصور محمد بن أحمد (ت 370) ، تهذيب اللغة ، ج 7 ، تحقيق الدكتور عبدالسلام سرحان ، ج 15 تحقيق إبراهيم الأبيارى . مطابع سجل العرب ، القاهرة ، 1967 م .
- 2 — الأعشى : ميمون بن قيس البكرى (ت حوالى 7 هـ) ، ديوان الأعشى ، دار بيروت للطباعة والنشر بيروت 1400 هـ — 1980 م .
- 3 — الأعلام : أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى (ت 476 هـ) ، النكت فى تفسير كتاب سيبويه ، تحقيق : زهير عبدالمحسن سلطان ، منشورات معهد المخطوطات العربية — الطبعة الأولى ، الكويت 1407 هـ — 1987 م .
- 4 — البطليوسى : أبو محمد عبدالله بن محمد (ت 521 هـ) ، الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب ، ج 1 تحقيق : مصطفى السقا ، الدكتور حامد عبدالمجيد . الهيئة المصرية العامة للكتاب 1981 م .
- 5 — البغدادى : عبدالقادر بن عمر (ت 1093 هـ) — شرح أبيات مغنى اللبيب ج 1 ، 3 ، 4 ، 6 . تحقيق : عبدالعزيز رباح ، أحمد يوسف الدقاق . دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة الأولى 1973 — 1978 م .
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ج 11 . تحقيق : محمد عبدالسلام هارون ، مطبعة المدنى ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1403 هـ — 1983 م .
- 6 — التبريزى : أبو زكريا يحيى بن على الخطيب (ت 502 هـ) ، تهذيب إصلاح المنطق ، تحقيق الدكتور : فخر الدين قباوة . دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الأولى 1403 هـ — 1983 م .
- 7 — ابن جنى : أبو الفتح عثمان (ت 392 هـ) — الخصائص ج 1 ، 2 ، تحقيق : محمد على النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة الثانية .
- اللمع فى العربية . تحقيق : حامد المؤمن ، عالم الكتب — دار النهضة العربية ، الطبعة الثانية 1405 هـ — 1985 م .
- 8 — الجوهرى : إسماعيل بن حماد (ت 393 هـ) تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق : أحمد عبدالغفور عطا . دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، يناير 1990 م .
- 9 — الحريرى : أبو محمد القاسم بن على (ت 516 هـ) — درة الغواص فى أوهام الخواص — تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . مطبعة نهضة مصر ، 1975 م .
- 10 — أبوحيان : أثير الدين محمد بن يوسف (ت 745 هـ) — ارتشاف الضرب من لسان العرب ج 2 ، 3 تحقيق : الدكتور مصطفى أحمد النماس . مطبعة المدنى ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1409 هـ — 1989 م .
- البحر المحيط ج 1 ، 8 — مطبعة السعادة ، بمصر 1328 هـ .
- 11 — ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن (ت 321) ، كتاب جمهرة اللغة ج 1 ، تحقيق : الدكتور رمزى منير بعلبكي . دار العلم للملايين ، بيروت — الطبعة الأولى ، نوفمبر 1987 .

- 12 — الرضى : محمد بن الحسن الاسترأبادى (ت 688 هـ) ، شرح الرضى على الكافية ج 2 ، 4 . تحقيق : يوسف حسن عمر . منشورات جامعة قاريونس — مطابع الشروق — بيروت .
- 13 — الرمانى : على بن عيسى (ت 384 هـ) ، معانى الحروف ، تحقيق : الدكتور عبدالفتاح إسماعيل شلبى . مطبعة دار العالم العربى ، القاهرة 1973 م .
- 14 — الزجاج : إبراهيم بن السرى (ت 311 هـ) معانى القرآن وإعرابه ج 5 ، تحقيق : الدكتور عبدالجليل عبده شلبى . عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى 1408 هـ — 1988 م .
- 15 — الزمخشرى : محمود بن عمر (ت 538 هـ) — المفصل فى صنعة الإعراب . دار الجيل — بيروت الطبعة الثانية .
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل ، حقق الرواية / محمد الصادق قمحاوى شركة مكتبة ومطبعة ، مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر — الطبعة الأخيرة . 1392 — 1972 م .
- 16 — ابن السراج : أبو بكر محمد بن سهل (ت 316 هـ) ، الأصول فى النحو ج 1 ، تحقيق : الدكتور عبدالحسين الفتلى . مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، 1408 هـ — 1988 م .
- 17 — سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان (ت حوالى 180 هـ) ، الكتاب ، تحقيق : محمد عبدالسلام هارون ، ج 1 دار القلم ، القاهرة ، 1385 هـ — 1966 م . ج 2 دار الكتاب العربى للطباعة والنشر القاهرة ، 1388 هـ — 1968 م . ج 3 ، 4 الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1973 — 1975 م .
- 18 — السيوطى : عبدالرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد (ت 911 هـ) ، بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، ج 2 . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . المكتبة العصرية ، صيدا — بيروت
- 19 — ابن الشجرى : أبو السعادات هبة الله بن على بن محمد (ت 542 هـ) أمالى ابن الشجرى ، ج 2 ، 3 تحقيق : الدكتور محمود محمد الطناحى . مطبعة المدنى ، القاهرة ، المطبعة الأولى 1413 هـ — 1992 م .
- 20 — الطنطاوى : الشيخ محمد ، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة . مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الأولى 1387 هـ — 1968 م .
- 21 — العسكري : أبو الطيب عبدالواحد بن على اللغوى (ت 351 هـ) كتاب الأضداد فى كلام العرب ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق — مطبعة الترقى دمشق 1382 هـ — 1963 م .
- 22 — عضيمة : الشيخ محمد عبدالخالق — دراسات لأسلوب القرآن الكريم ج 1 . دار الحديث ، القاهرة 1972 م .
- 23 — العكبى : أبو البقاء عبدالله بن الحسين (ت 616 هـ) كتاب المتبع فى شرح اللمع ، تحقيق الدكتور : عبدالحميد حمد الزوى . منشورات جامعة قاريونس ، بنغازى ، الطبعة الأولى 1994 م .

- 24 - الفارسي : أبو علي الحسن بن أحمد (ت 377 هـ) ، كتاب الشعر ، أو شرح الأبيات المشككة الإعراب ، تحقيق الدكتور : محمود محمد الطناحي . مطبعة المدني ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م .
- 25 - الفارقي : الحسن بن أحمد (ت 487 هـ) الإيضاح في شرح أبيات مشككة الإعراب ، تحقيق سعيد الأفغاني . منشورات جامعة بنغازي ، 1974 م .
- 26 - الفراء : يحيى بن زياد (ت 207 هـ) معاني القرآن ج 3 ، تحقيق : النجار ونجاني وشلبى . عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثانية 1980 م .
- 27 - الفراهيدى : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت حوالى 170 هـ) كتاب العين ج 2 ، 4 ، 8 تحقيق الدكتور : مهدى المخزومى ، الدكتور : إبراهيم السامرائى . مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م .
- 28 - ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت 278 هـ) ، أدب الكاتب ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة ، بمصر ، الطبعة الرابعة 1382 هـ - 1963 م .
- 29 - الملقى : أحمد بن عبد النور (ت 702 هـ) ، رصف المباني في شرح حروف المعانى ، تحقيق : أحمد محمد الخراط ، مطبعة زيد بن ثابت ، دمشق ، 1395 هـ - 1975 م .
- 30 - ابن مالك : جمال الدين محمد بن محمد بن عبدالله (ت 672 هـ) - شرح التسهيل ج 3 ، تحقيق : الدكتور : عبد الرحمن السيد ، الدكتور : محمد بدوى المختون . هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان - الجيزة - الطبعة الأولى 1410 هـ - 1990 م .
- شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي . عالم الكتب ، بيروت .
- 31 - المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد (ت 385) ، المقتضب ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة . عالم الكتب - بيروت .
- 32 - المرادى : بدر الدين الحسن بن قاسم (ت 749 هـ) ، الجنى الدانى في حروف المعانى ، تحقيق : الدكتور فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل . دار الآفاق الجديدة - بيروت ، الطبعة الثانية 1403 - 1983 م .
- 33 - ابن منظور : محمد بن مكرم (ت 711 هـ) ، لسان العرب . دار الفكر ، دار صادر - بيروت .
- 34 - الموصلى : على بن عدلان (ت 666 هـ) الانتخاب لكشف الأبيات المشككة الإعراب ، تحقيق : الدكتور حاتم صالح الضامن ، منشور ضمن كتاب : نصوص محققة في اللغة والنحو (583 - 683) . وزارة التعليم العالى والبحث العلمى ، جامعة بغداد ، مطابع دار الحكمة 1991 م .
- 35 - النابغة : زياد بن عمرو الذبياني (ت قبيل البعثة) ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثالثة 1990 م .
- 36 - ابن الناظم : بدر الدين محمد بن محمد (ت 686 هـ) ، شرح ألفية ابن مالك ،

- تحقيق : الدكتور عبد الحميد السيد محمد . دار الجبل - بيروت .
- 37 - ابن هشام : أبو محمد عبدالله بن يوسف بن أحمد (ت 761 هـ) ، مغنى اللبيب عن كتب الأعراب تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد . دار الكتاب العربي - بيروت
- وتحقيق : مازن المبارك ، محمد علي حمد الله . دار الفكر الحديث - لبنان 1964 م .
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . دار الفكر - بيروت ، الطبعة السادسة 1394 هـ - 1974 م .
- 38 - ابن يعيش : يعيش بن علي (ت 643) ، شرح المفصل ج 8 . عالم الكتب - بيروت ، مكتبة المتنبى - القاهرة .
- 39 - مجلة كلية الدعوة الإسلامية ، بين ابن هشام وابن أم قاسم ، العدد التاسع 1402 و . ر - 1992 م .

التحليل المكاني لمشكلة التلوث البيئي بمدينة البيضاء وسبل معالجتها

د . محمد على العرفي* أ - أبوبكر الصديق**

مقدمة

يعد التلوث الحضري بالنفايات المنزلية أحد المشاكل التي تواجه الإنسان في وقتنا الحاضر حيث أصبحت تشكل خطراً على الصحة العامة وسلامة البيئة وقد أخذت المشكلة تتعقد بسبب ارتفاع معدلات النمو السكاني والتوسع العمراني وشيوع العادات الاستهلاكية ذات الطابع المسرف نتيجة لتحسن المستوى الاقتصادي والاجتماعي وزيادة القدرة الشرائية ، ويترتب على هذا السلوك زيادة مطردة في كمية النفايات بمختلف مصادرها .

لقد أثبتت الدراسات أن النفايات المنزلية تمثل كما هائلا حيث تزيد نسبتها على 78% من مجموع النفايات الصلبة عدا مخلفات الإنشاء والهدم (1) ، ويزيد الأمر خطورة أن معظم مكوناتها ذوات منشأ عضوي ، وتقدر نسبتها في بعض المدن العربية ب 81 % (2) وتعد هذه النوعية من النفايات مصدراً لحدوث التلوث البيولوجي حيث إنها تصبح وسطاً ممتازاً لجذب الحشرات والجراثيم ، ويزداد الأمر سوءاً في حالة بقائها فترة طويلة في مكان تولدها خاصة في فصل الصيف حيث ترتفع الحرارة والرطوبة فتصبح موطناً لأصناف عديدة من الميكروبات والطفيليات الفتاكة .

ومما لا شك فيه أن المشكلة متفاقمة على المستويين المكاني والزمني وهو ما يعطي أهمية بالغة لدراستها وذلك ليس بسبب زيادة كمياتها فقط ولكن لاشتراك كل فرد من أفراد المجتمع في إنتاجها يومياً بصورة متكررة وتؤثر البيئة تأثيراً بالغاً على المستوى الصحي والحالة النفسية للفرد وما يترتب على ذلك من زيادة أو انخفاض في الإنتاج (3) . تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف نستعرضها فيما يلي :

1 - التعرف على حجم المشكلة من خلال معرفة كمية النفايات المنزلية ومكوناتها وخصائصها .

2 - دراسة العوامل المؤثرة في تراكمها وانتشارها والآثار الناجمة عنها .

3 - تقييم دور كل من المواطن والمجتمع والجهات المسؤولة عن التعامل مع النفايات المنزلية وكيفية التخلص منها .

عضو هيئة تدريس بقسم الجغرافيا - جامعة قارون
معلم بامانة تعليم شعبية بنغازي

4 - دراسة الطرق المستخدمة في تصريفها ومعالجتها والتخلص من ها .

مفهوم البيئة وتلوثها بالنفايات المنزلية الصلبة :

1 - البيئة :

هي الإطار أو الوسط أو المكان الذي يعيش فيه الإنسان ، وتتكون من الغلاف الصخري والمائي والهوائي والحيوي ، وفي هذا الإطار يمارس الإنسان نشاطه الاجتماعي والاقتصادي والبيئة بهذا المعنى تمثل جميع المكونات الحية وغير الحية التي تؤثر بالفعل على الكائن الحي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة (4) ، وهي تمثل نطاقاً متكاملًا من الظواهر الطبيعية والبشرية المترابطة والمتفاعلة فيما بينها ، الأمر الذي يستدعي الحفاظ عليها من التلوث بمختلف أنواعه ، والترشيد في استخدام مواردها لمساعدة قدرة نظمها على العطاء والإنتاج .

2 - التلوث :

التلوث هو عبارة عن حدوث تغيرات كمية ونوعية في الخواص الطبيعية والكيميائية والبيولوجية للبيئة ، ويكون مصحوباً بنتائج ضارة لكل ما هو موجود في الوسط البيئي ، ويوجد هناك عدة تعريفات للتلوث ، نشير لأهمها فيما يلي : -
التلوث هو (إطلاق عناصر أو مركبات أو مخاليط غازية أو سائلة أو صلبة إلى عناصر البيئة التي هي الهواء والماء والتربة مما يسبب تغيرات في جودة هذه العناصر) (5) أو هو (وجود المواد والعوامل الملوثة بكميات لمدة زمنية قد تؤدي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وحدها أو بالتفاعل مع غيرها إلى الإضرار بالصحة أو تسبب بأي طريقة من الطرق تعطيل الأجهزة البيئية وذلك بشل فاعلية هذا الجهاز ، حيث يتوقف عن أداء دوره الطبيعي على سطح الكرة الحية) (6) .

3 - النفايات المنزلية الصلبة :

النفايات المنزلية الصلبة هي المخلفات الناتجة عن المنازل والمطاعم والفنادق والمحلات التجارية والمؤسسات الاجتماعية ، وهي تحتوي على بقايا المواد العضوية والمعادن والزجاج والأوراق والبلاستيك والمنسوجات والجلود وغيرها ، أو هي : (فضلات الإنسان ومخلفاته الصلبة وتتصل بسلوكياته وأساليب حياته كما تعد أحد مظاهر إهمال النظافة العامة وإخلالها بالنواحي الجمالية للمدن ولها تأثيرها السلبي على صحة الإنسان وظروفه الاجتماعية والاقتصادية وتلعب العوامل السلوكية والتخطيطية والعوامل الثقافية دوراً في إحداثها (7) .

النفايات المنزلية مكوناتها وكمياتها وخصائصها بمدينة البيضاء .

1 - مكونات النفايات المنزلية :

تمثل النفايات المنزلية ما يقرب من ثلاثة أرباع مجموع النفايات الصلبة الأخر عدا

مخلفات المباني (8) وهوما يعطيها أهمية بالغة ليست بسبب زيادة كمياتها فقط ولكن لاشتراك كل فرد من أفراد المجتمع في إنتاجها يوميا ، الأمر الذي يستدعي معرفة مكوناتها ، وكذلك فإن تحديد نسب هذه المكونات يساعد على تصنيفها وتحديد نوعية المعدات والعمال اللازمين لتجميعها وعند تحليل الجدول رقم (1) الذي يبين مكونات النفايات المنزلية الصلبة بمدينة البيضاء يمكن أن نستنتج مايلي :

جدول (1)

مكونات النفايات المنزلية الصلبة بمدينة البيضاء

النسبة المئوية %	مكونات النفايات
74,9	النفايات العضوية
12,5	أوراق عادية
4,0	ورق مقوى
2,4	معادن
1,3	زجاج
1,2	بلاستيك
1,1	أقمشة
0,9	جلود
0,8	مخلفات أطفال
0,6	غير

المصدر : تهاى فتح الله ، مريم عمران ، النفايات المنزلية في مدينة البيضاء وتأثيرها على البيئة ، بحث تخرج / قسم الأحياء ، كلية العلوم ، جامعة عمر المختار ، 1996 ، بتصرف .

- 1 - ارتفاع نسب المواد العضوية في نفايات المدينة حيث بلغت نسبتها 74.9 % ويمكننا إرجاع أسباب ارتفاع المواد العضوية لما يلي :
 - أ - إعداد كمية من الطعام تزيد عن حاجة الأسرة وذلك تحسبا لحدوث الزوار .
 - ب - البذخ في الولائم فإن كان المدعوون عشرة فالطعام المعد يكفي عشرين .
 - ج - شراء الأطعمة بكميات كبيرة خاصة الفواكه والخضراوات بحيث تتلف قبل أن يتمكن أفراد الأسرة من استهلاكها .
- 2 - أما الورق بنوعيه العادي والمقوى فيأتي في الترتيب الثاني بنسبة 12.5 % ، 4.0 % على التوالي ، وهذا يشير إلى عمليات الاستهلاك الزائدة للمعلبات الجاهزة المغلفة أو المعبأة في صناديق ورقية .

3 — أما الترتيب الثالث فيحتله كل من المعادن 2,4 % والزجاج 1,3 % والبلاستيك 1,2 % والأقمشة 1,1 % .

4 — أما الترتيب الأخير فتحته مخلفات الجلود 0.9 % ومخلفات الأطفال 0.8 % والغير 0.6 % .

2 — كمية النفايات المنزلية المنتجة بمدينة البيضاء :

تقدر كمية النفايات المنزلية يومياً بنحو 79 طناً ، أما النفايات الشهرية فقد قدرت بنحو 2370 طناً ، في حين قدر معدل النفايات السنوية بنحو 28440 طناً ، وبناء عليه بلغ معدل نفايات الفرد اليومية 1090 جراماً .

3 — خصائص النفايات المنزلية :

تتصف النفايات المنزلية في مدينة البيضاء بالخصائص التالية :

أ — ارتفاع نسب المواد العضوية ، كبقايا الأطعمة والخضراوات والفواكه

ب — كما تتصف بصورة عامة بارتفاع الرطوبة ومن ثم كثافتها .

ج — انخفاض نسب النفايات البلاستيكية والمعدنية والزجاجية مقارنة بمكونات هذه النفايات في الدول الصناعية .

إن توفر مثل هذه البيانات عن خصائص النفايات المنزلية وصفاتها يساعد في اتخاذ القرارات المناسبة عند التخطيط والتعامل معها ، فإن أسلوب التخزين وقدراته واختيار النوعية الجيدة من سيارات التجميع والحجم الأمثل لعدد العمال وتحديد عدد مرات التجميع كل هذا يعتمد أساساً على معرفة الحجم والكثافة .

العوامل المؤثرة في مشكلة النفايات المنزلية :

1 — النمو السكاني والامتداد العمراني :

لقد تضاعف عدد سكان المدينة — منذ إجراء أول تعداد سكاني حتى عام 1995 العام الذي شهد آخر تعداد — أكثر من 19 مرة ، وكذلك ارتفع معدل الزيادة السنوي من 19 % في الفترة بين 1954 ، 1964 م ليصل إلى 25 % في الفترة من 1964 إلى 1973 ف (9)

كما تبين من الدراسة ارتفاع عدد أفراد الأسر المتوسطة وفوق المتوسطة والأسر الكبيرة الحجم مقارنة بالأسر ذوات الأحجام الصغيرة ، وبناء عليه فزيادة عدد أفراد الأسرة تزداد كمية النفايات الناتجة عن مختلف الأنشطة الحياتية ، ويوضح الجدول رقم (2) أحجام الأسر بالمدينة .

جدول رقم (2) أحجام الأسر في مدينة البيضاء

النسبة %	التكرارات	الفئات
12.2	61	3 - 1
26.2	131	6 - 4
34.0	170	9 - 7
27.6	138	- 10
100	500	المجموع

المصدر : الدراسة الميدانية 1996 ف

لقد واكبت الزيادة السكانية ظاهرة الامتداد العمراني والتوسع الحضري حيث شهدت المدينة توسعاً عمرانياً خلال العقود الثلاثة الماضية ، ويشير الجدول رقم (3) والشكل رقم (1) إلى تطور الامتداد العمراني للمدينة .

جدول (3) تطور الامتداد العمراني للمدينة

المتوقع سنة 2000	الزيادة السنوية	نسبة الزيادة بين 1980 - 1966	1980	1966
2660	63	882	982	100

المصدر : سعد خليل القزيري ، " التحضر ، في الجماهيرية " دراسة في الجغرافيا ، (تحرير الهادي بولقمة ، سعد القزيري) ، (سرت ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان) ، 1995 ، ص 440 .

وهذا مؤشر جيد لمعرفة مدى تعاظم كميات النفايات المنزلية التي ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بتطور أعداد السكان والامتداد العمراني ، إذ توجد هناك علاقة طردية بين عدد السكان وازدياد النفايات المنزلية ⁽¹⁰⁾

2 - المستوى التعليمي :

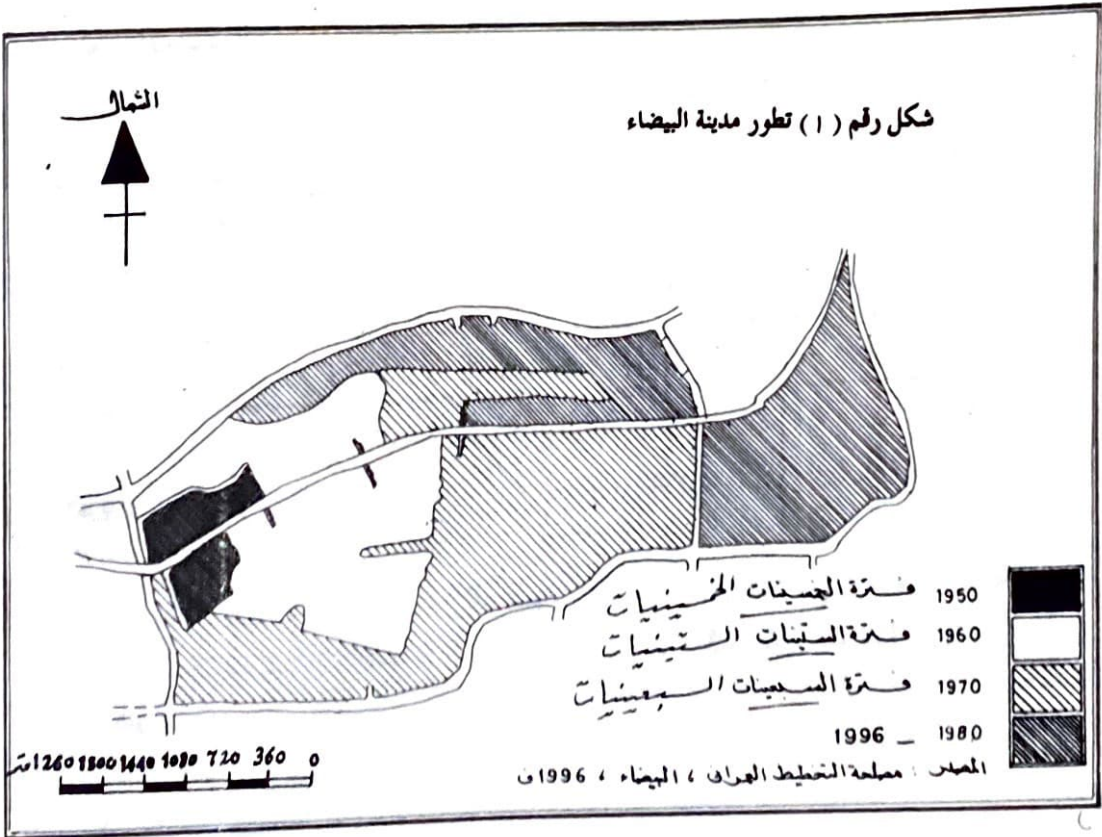
يعد التعليم من أهم العوامل المساعدة في عمليات النظافة العامة والتخلص من النفايات ، فانخفاض نسبة التعليم يؤثر سلباً في عمليات النظافة وطرق التخلص من النفايات ، فتكدر

النفايات المنزلية في الساحات العامة وأمام المنازل دليل على مدى الجهل بطرق التخلص من النفايات بصورة صحية ، ويبين الجدول رقم (4) المستوى التعليمي في مدينة البيضاء ، حيث يمكن أن تستنتج منه ما يلي :

جدول (4) المستوى التعليمي بالمدينة

النسبة %	التكرارات	المستوى التعليمي
17.6	88	أمي
22.2	111	ابتدائي
23.4	117	إعدادي
23.2	116	ثانوي
13.6	68	جامعي وفوق الجامعي

المصدر : الدراسة الميدانية ، 1996 .



- أ - انخفاض نسبة الأمية حيث بلغت 17.6 %
- ب - سجل أصحاب التعليم الإعدادي والثانوي والابتدائي النسب الآتية 23.4 % ، 23.2 % ، 22.2 % على التوالي .
- ج - بلغت نسبة التعليم الجامعي وما فوق الجامعي 13.6 % .
- ونشير في هذا الصدد إلى أن أصحاب المستويات التعليمية الأكثر حظا أكثر فهما لمخاطر النفايات المنزلية ولذلك يستخدمون وسائل أكثر حفظا وسلامة داخل منازلهم ، كاستخدام الأكياس البلاستيكية أو البراميل المغطاة ، بينما نجد الفئات الأقل حظا من التعليم تستخدم وسائل حفظ أقل أمنا وسلامة وهذا ما قد ينتج عنه الروائح الكريهة المزعجة ، وكذلك تعرضها للتناثر أكثر احتمالا خاصة عند حملها للخارج من قبل الأطفال ، ويشير الجدول رقم (5) إلى العلاقة بين المستوى التعليمي ووسائل حفظ النفايات المنزلية .

جدول (5) علاقة المستوى التعليمي بوسائل حفظ النفايات

الوسائل المستوى التعليمي	برميل بغطاء %	برميل مفتوح %	أكياس بلاستيكية %
أمي	36.4	52.3	13.6
ابتدائي	39.6	45.9	14.4
إعدادي	47.0	35.9	17.1
ثانوي	52.6	22.4	25.0
جامعي	38.2	19.1	42.6

المصدر : الدراسة الميدانية 1996 ف

3 - المستوى الاقتصادي :

يعد المستوى الاقتصادي واحداً من أهم العوامل المؤثرة في ازدياد كميات النفايات المنزلية ، فبارتفاعه تتنوع النفايات وتزداد كمياتها ، فقد أشارت نتائج إحدى الدراسات إلى أن اختلاف معدل إنتاج النفايات المنزلية من حي لآخر يرجع إلى اختلاف الحالة الاقتصادية والاجتماعية (11) ، وكقاعدة عامة يزداد معدل كمية النفايات المنزلية الناتجة عن الفرد الواحد مع ارتفاع المستوى المعيشي .

عند تحليل جدول رقم (6) الذي يبين الدخل الشهري لأفراد العينة موزعاً حسب الأحياء نلاحظ ما يلي :

جدول رقم (6) الدخل الشهري لأفراد العينة حسب الأحياء

الدخل / الأحياء	150 -	- 151 200	- 201 250	- 251 300	- 301 350	- 351
	%	%	%	%	%	%
الغريقة	11	34	31	13	11	0
البيضاء الجديدة	8	33-3	37-3	12	9-3	0
الزيتونة	2-7	30-7	2	24	13-4	1-3
الجنين	0	4	20	40	30	6
العقاري	8	30	32	18	10	2
الصناعي	12	26	34	18	10	0
الكاوة	10	28	38	16	8	0
الشعبيات	22	52	18	8	0	0
الإجمالي	45	152	151	90	57	5
%	9	30-4	30-2	18	11-4	1

المصدر : الدراسة الميدانية ، 1996 ف

- 1 - تركّز أصحاب الدخول المنخفضة في حي الشعبيات والحي الصناعي بنسبة 22 % ، 12 % على التوالي .
- 2 - أما أصحاب الدخول المرتفعة فيتركزون في حي الجنين والزيتونة بنسبة 36 % ، 7 - 14 % على التوالي .

مما تقدم نستخلص ما يلي :

إن اختلاف الأحياء ونوعية السكن يرتبط بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي وهو ما يؤثر على تنوع النفايات وتزايد كمياتها ، فساكن الأحياء الفقيرة تكثّر في نفاياتهم المواد العضوية القابلة للتحلل والتعفن بينما الأحياء الغنية يتنوع محتوى نفاياتهم وتكثر فيها الأوراق والمعادن

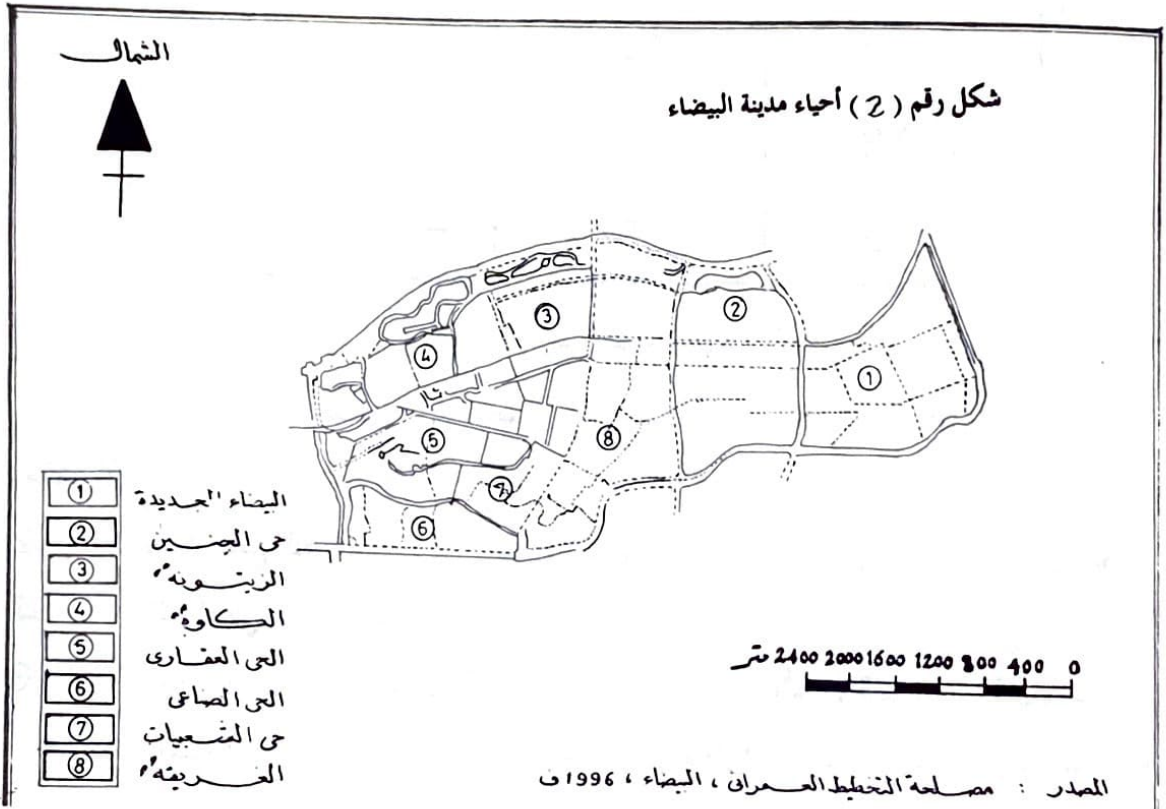
والزجاج وفي ذلك دليل عام للاستهلاك الزائد وارتفاع المستوى المعيشي ، والشكل رقم (2) يبين أحياء المدينة .

4 - دور المواطن وسلوكه :

يعد سلوك المواطن ودوره - بوصفه المنتج الرئيس للنفايات - مهما ومؤثراً في عملية النظافة العامة والمحافظة على بيئة نظيفة ، وذلك لا يتم إلا باستخدام الطريقة المثلى في حفظ النفايات وفي مدى التزام المواطن بوضع نفاياته في متناول أجهزة البلدية والتزامه بمواعيد محددة لإخراجها ومدى اتفاقها مع دورة الجمع التي يقوم بها جهاز النظافة العامة في المدينة ومدى استخدام المواطن أكياساً بلاستيكية لحفظ النفايات وإغلاقها بإحكام عند امتلائها قبل وضعها في الحاويات العامة ومدى تصنيفها قبل التخلص منها .

5 - تصنيف النفايات المنزلية :

يرتبط تصنيف النفايات المنزلية بدرجة عالية بالوعي البيئي حيث يقوم المواطن بتصنيف النفايات وفرزها في المنزل قبل إخراجها والتخلص منها ، حيث يتم من خلال جمع هذه النفايات المتشابهة الفرز المناسب لها فتوضع النفايات العضوية في أوعية خاصة بها بينما تخصص أوعية أخرى للنفايات غير العضوية مثل نفايات الأوراق والزجاج



والمعادن وغيرها ، وتعد هذه الطريقة خطوة جيدة على طريق الحد من التلوث بالنفايات المنزلية .

6 وسائل جمع النفايات وحفظها في الأحياء : -

تبدأ عملية جمع النفايات المنزلية بمرحلة جمع أولية من المنزل يقوم بها المواطنون في حفظ نفاياتهم ووضعها في الحاويات القريبة من منازلهم ، وجدول رقم (7) يبين أماكن ووسائل جمع النفايات وحفظها في الأحياء ونستنتج منه ما يلي : -

جدول رقم (7)

المعدات المستخدمة في جمع النفايات

الوسائل	ك	%
عربات	146	29.2
حاويات	107	21.2
التحميل مباشرة	96	19.2
وضعها على أرض فضاء	151	30.2

المصدر : الدراسة الميدانية ، 1996 ف

1. إن نسبة 30.2% من أفراد العينة يلقون النفايات على الأراضي الفضاء والساحات المكشوفة .
2. بلغت نسبة جمع النفايات بواسطة العربات من قبل المواطنين ونقلها إلى أماكن بعيدة حيث الحاويات والأراضي الفضاء 29.1% .
3. نسبة جمع النفايات وحفظها في الحاويات الموزعة داخل الأحياء السكنية 21.1% .
4. أما عمليات التفريغ المباشر من المنازل إلى سيارات النظافة العامة فقد شكلت نسبة 19.2% .

مما تقدم تبين لنا بوضوح نقص الحاويات الأمر الذي ينشأ عنه استخدام الأراضي الفضاء والساحات المكشوفة التي توجد بين الأحياء السكنية لرمي النفايات وجعلها مقالب مكشوفة تكون مصدر خطورة ليس فقط عن تكس النفايات ولكن لما ينتج عنها من آثار ضارة على الصحة العامة خاصة في المناطق المجاورة لها ، وهذا ما يؤكد أهمية توفير الحاويات فإنها تعد من العوامل الرئيسية المساعدة في عمليات جمع النفايات والتخلص منها

(7) دور الجهات المسؤولة في نشر الوعي البيئي : -

التوعية بأهمية حماية البيئة وحيويتها ودفع المواطنين وحثهم على التعاون للمحافظة على النظافة العامة والتخلص من النفايات ليست بالعملية اليسيرة وتحتاج إلى خبرة تعتمد على حسن توظيف الإعلام بوسائله المختلفة حول مشكلة تكس النفايات وكيفية التخلص منها ، حيث يجب إبراز أهمية النظافة العامة وطرق التخلص من النفايات بطرق صحية آمنة معتمدة تؤدي إلى التقليل من الآثار الضارة لهذه النفايات في المدينة وأن تساهم وسائل الإعلام بأنواعها المختلفة المتمثلة في الصحف والمجلات والملصقات والإذاعة والندوات والكتب والمعارض في عملية التوعية المستمرة للمواطن ، هذا إلى جانب القيام بحملات النظافة العامة واعتبار موضوع النظافة العامة قضية الجميع ومسؤولية المجتمع بكل هيئاته وأفراده ، وهذا لا يأتي إلا بتضافر عنصرين متلازمين : البلدية والمواطن ؛ إن تعاون المواطنين مع أجهزة البلدية خاصة جهاز النظافة العامة يؤدي إلى التقليل من مشكلات النفايات المنزلية التي تواجهها المدينة بالإضافة إلى الإسراع في مجال التوعية بأهمية النظافة العامة وتجنب مخاطر الملوثات .

في هذا الصدد أكدت الدراسة من خلال تحليلها للاستبيان الخاص بمدى قيام الجهات المسؤولة بتوعية المواطنين بأهمية النظافة العامة ، ضعف مساهمة الجهات المسؤولة في مجال التوعية الأمر الذي كان له أثر سيئ دفع كثيراً من المواطنين إلى التخلص من نفاياتهم في الأماكن غير المخصصة وفي الساحات والطرق وأمام المساكن ، وكذلك عدم تعاونهم مع البلدية في تسيير عملية النظافة العامة في المدينة .

نؤكد في هذا الصدد أهمية استثمار الجهود الإعلامية في حث المواطنين على أهمية المشاركة في عمليات النظافة والتخلص من النفايات وتزويدهم بمعلومات عن مخاطر تكس النفايات المنزلية وما قد ينتج عنها من أضرار وتقديم إرشادات بخصوص أهمية المحافظة على النظافة العامة ، وذلك بتوضيح الطرق الصحية لعمليات حفظ النفايات وتصنيفها داخل

المنزل ، وكذلك الطرق الصحية في تصريفها ومعالجتها .

(8) الإجراءات التنظيمية والإدارية : -

إن عمليات منظومة النظافة العامة متعددة ومتتالية وتتم بصورة مستمرة للحيلولة دون تراكم النفايات ... تبدأ مراحل المنظومة عملياتها من مصدر النفايات ، فنجاح عمليات النظافة العامة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنجاح إدارة جهاز النظافة العامة التي تعتمد في نظام عملها على أسس علمية ودراسات ميدانية في اختيار أنسب الطرق في عمليات المنظومة من خلال معرفة كمية النفايات المنتجة يومياً بهدف الوصول إلى سلوك نمطي لتقدير أداء إنتاجية الأفراد والوسائل التي تحتاجها العملية والحكم على الأنسب منها وتطويرها ووضع مؤشرات واضحة لتكلفة أعمال النظافة العامة وتقييمها ، لقد أوضحت الدراسة التي أجريناها وجود عوائق تعترض الجهات المسؤولة وتحد من عملها تتمثل فيما يلي : -

1. قصور الاعتمادات المالية لعمليات النظافة العامة .
2. نقص العمال وآليات النظافة العامة .
3. ضالة المرتبات وقلة الحوافز لمستخدمي هذا القطاع .
4. عدم المشاركة الشعبية في عمليات النظافة العامة ، وعدم التزام المواطنين بوضع النفايات في الحاويات والأماكن المخصصة لها .

(9) طرق التخلص من النفايات المنزلية : -

تعد معالجة النفايات والحد من نموها مشكلة كبيرة تواجه أجهزة حماية البيئة وإدارات المدن بسبب كمياتها الكبيرة المنتجة يومياً وبما تتطلبه من إجراءات وتقنيات تبدأ من مراحل جمعها ونقلها ومعالجتها والتخلص الآمن منها .

وتوجد هناك عدة طرق للتخلص من النفايات المنزلية وتصريفها ، نستعرضها فيما يلي : -

أ. الطرق القديمة : -

تتمثل هذه الطرق في إلقاء النفايات في أراضٍ ومقالب مكشوفة أو حرقها في الهواء دون معالجة أو ردم الأماكن المنخفضة ، أو إلقائها في الأودية أو دفنها في مدافن غير صحية أو قذفها في البحار أو الأنهار، وتعتمد مدينة البيضاء في تصريف نفاياتها بدرجة كبيرة على هذه

الطريقة ، حيث يتم إلقاء النفايات في مقلب مكشوف يقع بالقرب من المنطقة الصناعية والسوق البلدية ولا يبعد عن المنطقة السكنية بالمسافة الكافية إذ يجب أن يبعد على الأقل كيلو متراً واحداً عن منطقة العمران ، وهذه الطريقة تسبب الكثير من المشكلات الصحية والبيئية .

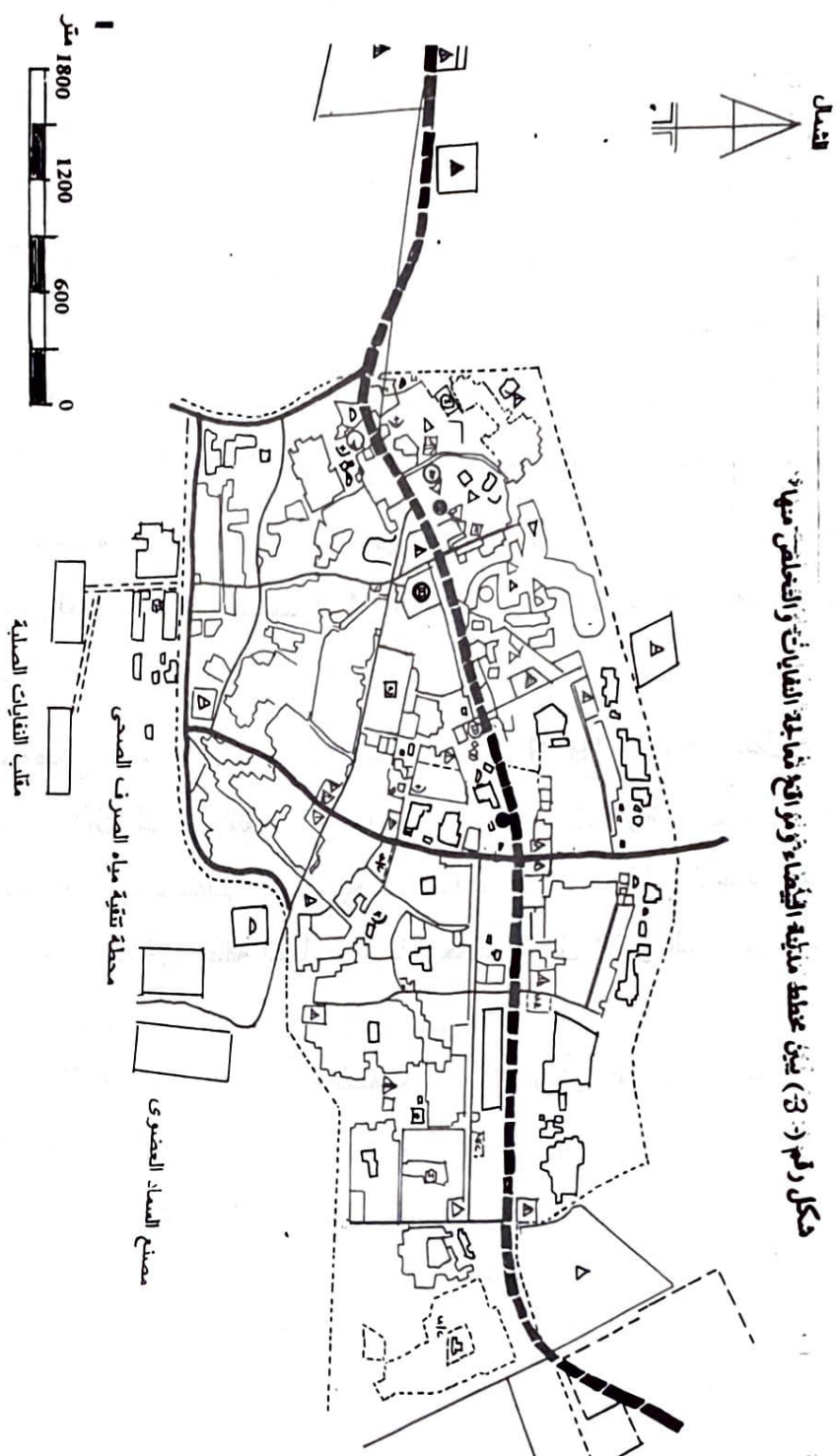
ب. الطرق الحديثة : -

لتفادي تلك المشكلات عكفت مراكز الأبحاث العلمية على دراسة مشكلات التخلص من النفايات وقد أسفر عن تلك الدراسات إيجاد طرق وتكنولوجيا جديدة في هذا المجال حيث لم تعد تلك الدراسات قاصرة على مجرد معالجة مشاكل التخلص من النفايات بطرق صحية ولكنها اتجهت إلى كيفية الاستفادة منها باسترداد بعض محتوياتها أو إعادة تصنيفها مرة أخرى أو تحويل بعض محتوياتها القابلة للتخمر إلى أسمدة عضوية ذات قيمة عالية للتربة تعتمد المدينة في مجال معالجة النفايات على هذه الطريقة ، حيث إن نسبة المواد العضوية مرتفعة في نفاياتها إذ تبلغ نسبتها 74.9% من مجموع النفايات وهذا ما يجعل اعتماد هذا الأسلوب مفيداً .

لقد تم إنشاء مصنع السماد العضوي بمدينة البيضاء عام 1979 ف وبدأ العمل فيه بطاقة إنتاجية كافية لمعالجة 60 طناً من النفايات يومياً في المرحلة خلال فترة عمل مدتها 8 ساعات مع إمكانية زيادة الطاقة ومضاعفتها في المرحلة الثانية ، لقد توالى على المصنع عدة شركات فرنسية وبولندية تسببت في إعاقة العمل وإرباك خطته العمل الذي أدى إلى توقف قطع الغيار والصيانة .

مع بداية عام 1997 ف بدأت اللجنة الشعبية العامة للمرافق عن طريق مصلحة المشروعات بإعادة تشغيل المصنع وصيانته ، حيث تعاقدت مع مجموعة شركات فرنسية مسجلة بالجمهورية متخصصة في أعمال الصيانة وينبغي التأكيد في هذا الصدد العامة ب أن الهدف من إنشاء مثل هذه المصانع يجب أن يكون أبعد مدى وأوسع نطاقاً وهو المردود البيئي ، حماية البيئة من أخطار التلوث بالملوثات خاصة النفايات المنزلية الصلبة عن طريق معالجتها وتصنيعها وإعادة استخدامها ، فالتشغيل رقم (3) يبين مخطط مدينة البيضاء ومواقع معالجة النفايات والتخلص منها ، كما أن الصور الفوتوغرافية تبين الوضع الحالي للمقلب .

شكل رقم (3) بين مخطط مدينة البيضاء ومواقع معالجة النفايات والتخلص منها



المصدر : مؤسسة دوكيلوس ، إقليم بنغازي ، بلدية الجبل الأخضر ، البيضاء - شحات ، التقرير النهائي عن المخطط العام ، 1984 ، ص 22 .

شكل رقم (3) مخطط مدينة البيضاء ومواقع معالجة النفايات والتخلص منها



صورة رقم (1) توضح تصاعد الدخان في المقلب نتيجة حرق النفايات



صورة رقم (2) توضح تكس النفايات في المقلب



صورة رقم (3) توضح بعض الحيوانات وهي ترتع في المقلب



صورة رقم (4) توضح تراكم النفايات على جانبى الطريق المؤدية إلى المقلب



صورة رقم (5) توضح سيارة النظافة العامة وهي تفرغ حمولتها في المقلب

الآثار الناجمة عن تكس النفايات المنزلية وانتشارها :

أ- آثار صحية :

تأكد علمياً أن النفايات المنزلية تحتوى على الجراثيم المسببة للأمراض بمختلف أنواعها و لقد أثبتت فحوص (Hilgermon) أن فعالية الجراثيم الممرضة ونشاط بكتيريا التيفوئيد تبقى فى القمامة لمدة تزيد عن 80 يوماً ، وكما أثبت الباحثان (Preus K Gross) أن ميكروب التيفوئيد يوجد على السطح الخارجى للذباب مدة عشرة أيام وذلك بعد عملية التلويث بالنفايات المنزلية ، وكما أثبتت دراسات أخر فإن للذباب الفرصة المناسبة فى نقل ونشر مرض التيفوئيد خاصة فى المناطق الحارة (12) بالإضافة إلى هذا يتولد من النفايات المنزلية أعداد كبيرة من الحشرات فى مقدماتها الصراصير التى تنقل للإنسان 26 مرضاً والذباب الذى ينقل 42 مرضاً ومن أخطرها الأمراض البائية كالعمى الصفراء والملاريا والتهاب الكبد ، وكذلك نقد النفايات المنزلية وسطاً ممتازاً لتكاثر الفئران التى تنقل للإنسان 16 مرضاً منها مرض الطاعون (13) .

ب- آثار بيئية :

تتعرض كثير من مدن العالم خاصة فى الدول النامية لمشكلات يومية نتيجة تزايد أحجام

النفايات وكمياتها ، فإن عدم الاهتمام بجمعها وبقائها لفترات طويلة بين المساكن يضر بالبيئة حيث تتحول كثير من تلك الأماكن إلى مقالب مكشوفة ، ذلك أن رمى النفايات وطرحها على الأرض دون عناية ومعالجة يؤدي إلى تغيير في تركيب التربة والوسط الأيكولوجي الطبيعي لسطح الأرض⁽¹⁴⁾ .

إن عدم العناية و الاهتمام بالنظافة العامة والتخلص من النفايات يقلل من القيمة الجمالية لأي مكان تتراكم فيه يؤدي إلى تشويه المدينة ويصبح مصدراً منفراً لكل من يقع بصره عليها ، ومن المشاكل أيضاً قيام بعض السكان نتيجة نقص الوعي البيئي بأشعال الحرائق في النفايات المتكدسة في الأحياء من أجل التخلص من الروائح الكريهة وهذا ما يسبب تلوث هواء المدينة بالغازات الضارة كثنائي أكسيد الكربون والكبريت وغاز كبريتيد الهيدروجين حيث تتصاعد هذه الغازات في الجو على هيئة دخان محمل بالرماد والشوائب وغالباً ما تحمل الرياح هذه الغازات إلى المناطق المحيطة والغذائية .

ج - آثار اجتماعية ونفسية :

تراكم النفايات المنزلية وانتشارها داخل المدينة يؤدي إلى إثارة مشاعر السخط والملل لدى السكان وفتور حماسهم بعدم المشاركة في أعمال النظافة العامة ، لقد أثبتت كثير من الدراسات التي أجريت على النفايات المنزلية وجود العديد من الأمراض الاجتماعية مثل الاكتئاب وسوء المعاملة نتيجة سوء حالة البيئة وفي مقدمتها تدنى خدمات النظافة العامة والتخلص من النفايات خاصة في الأحياء الفقيرة والعشوائية ، بالإضافة إلى هذا فإن انتشارها يسبب تشويه المدينة من الناحية الجمالية ويثير الضيق والاشمئزاز وبالتالي يؤثر على حالة السكان النفسية⁽¹⁵⁾ .

د - آثار اقتصادية وسياحية :

لقد أثبتت معظم البحوث عن أثر تراكم النفايات المنزلية والبيئة غير النظيفة التي يعيش فيها الإنسان على إنتاجه ونشاطه ، يفوق معدل إنتاج الإنسان الذي يعيش في بيئة نظيفة نحو 20 ، 38 % من إنتاج الشخص الذي يعيش في بيئة غير نظيفة ، وكما أوضحت نتائج البحوث في السياحة والبيئة أن السياح يفضلون الأماكن النظيفة المتطورة ، لذلك تهتم غرف السياحة في كل دول العالم بنشر الوعي البيئي من أجل تحسين البيئة في مناطق الجذب السياحي⁽¹⁶⁾ ، وكذلك يؤدي عدم التخلص من النفايات المنزلية إلى حدوث العديد من مظاهر الانتكاس الاقتصادي الناتج عن عدم القدرة على استخدام الامكانيات الاقتصادية المتاحة بالطرق المثلى وإحجام المستثمرين وأصحاب الأموال عن القدوم إلى الدولة لارتفاع المخاطر بسبب زيادة الآثار الضارة من النفايات المنزلية الصلبة .

أما الجانب الآخر من أثارها فيتمثل في ارتفاع تكاليفها وأنها تستنفد ما يقارب 1 % من مجموع الناتج الإجمالي وبالتالي فإنها تعد واحدة من أكثر الخدمات الحضرية تكلفة⁽¹⁷⁾.

نتائج الدراسة :

فيما يلي نقدم عرضاً موجزاً لأهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال الدراسة :

1. أثبتت الدراسة ارتفاع معدل نصيب الفرد من النفايات المنزلية بمدينة البيضاء مقارنة ببعض مدن الوطن العربي والدول النامية .
2. أظهرت الدراسة مدى الارتباط بين ارتفاع المستوى المعيشي وازدياد النفايات المنزلية وتنوعها ، حيث ينتج عن الارتفاع المستمر في مستوى المعيشة ارتفاع في إنتاج النفايات ، وإن اختلف معدل إنتاج النفايات المنزلية من حي إلى آخر في المدينة يرجع إلى اختلاف الحالة الاقتصادية والاجتماعية للسكان .
3. بينت الدراسة أثر التعليم في تعديل السلوك في تداول النفايات المنزلية وذلك من خلال معرفة مدى الأضرار والمخاطر الصحية والبيئية التي قد تسببها إذا لم يحسن التصرف معها وتركها دون عناية ، لقد أثبتت الدراسة من تحليل البيانات الخاصة بالمستوى التعليمي وجود علاقة بين التعليم والوسائل المستخدمة في حفظ النفايات وكيفية جمعها وامكانية تصنيفها في المنزل قبل اخراجها والتخلص منها .
4. أكدت الدراسة وجود صعوبات وعوائق تواجه الجهات المسؤولة وتعترض عمليات النظافة العامة والتخلص من النفايات نتيجة قصور الاعتمادات المالية المخصصة لها وانخفاض معدل الأداء للمعدات الميكانيكية نتيجة انخفاض مقدرتها بسبب عدم توفر الصيانة وقطع الغيار بالإضافة إلى نقص العمالة المدربة والإدارة الحازمة وضالة الرواتب والحوافز لمستخدمي هذا القطاع .
5. ثبت من الدراسة و تحليل مكونات النفايات المنزلية أن نفايات المدينة يرتفع فيها المحتوى العضوي بنسبة 74.9 % من جملة النفايات المنزلية ، الأمر الذي يساعد على الاستفادة منها عن طريق معالجتها وتحويلها إلى سماد عضوي مخصب للتربة الزراعية .
6. أكدت الدراسة أن عمليات منظومة النظافة العامة والتخلص من النفايات مرهونة بعدد من العوامل ، منها حجم العمالة وعدد حاويات جمع النفايات وسعتها وأسلوب توزيعها وكذلك عدد الآليات المناسبة ونوعها ، وعدد ساعات العمل لجمع النفايات والتخلص منها .

هوامش الدراسة ومراجعها

1. " التلوث آفة العصر ومرض عضال " مجلة المدينة العربية ، المعهد العربى لإتماء المدن ، (الرياض) ، العدد 58 ، يناير . فبراير ، 1994 ، ص 55 .
2. عيد العلى النعيم ، " خيارات التقنية للتخلص من النفايات - تجربة مدينة الرياض " مجلة المدينة العربية ، المعهد العربى لإتماء المدن ، (الرياض) ، العدد 36 ، السنة الثامنة ، 1989 ، ص 74 .
3. جامعة الدول العربية ، مجلس وزراء الإسكان والتعمير العرب ، ندوة تلوث البيئة ومشاكلها فى الوطن العربى ، عمان ، 1984 ، ص 127 .
4. طارق أحمد محمود ، علم وتكنولوجيا البيئة ، الموصل : دار الكتب والنشر ، 1988 ، ص 12 .
5. أبوبكر صديق سالم ، نبيل محمود عبد المنعم ، التلوث المعضلة والمل ، بيروت : مركز الكتب الثقافية ، 1989 ، ص 15 .
6. فتحى أحمد الهرام ، محمد عبد الله لاه ، التلوث البيئى وتأثيراته المختلفة على المدن ، مجلة الآداب والتربية ، منشورات كلية الآداب والتربية ، جامعة قاريونس ، بنغازى ، العددان 9 ، 20 ، 1995 - 1996 ، ص 91 .
7. أحمد عبد الوهاب عبد الجواد ، قضايا النفايات فى الوطن العربى ، القاهرة : الدار العربية للنشر والتوزيع ، 1997 ، ص 34 .
8. المعهد العربى لإتماء المدن ، النظافة العامة والتخلص من النفايات فى المدن العربية ، المجلد الأول ، الرياض ، 1986 ، ص 306 .
9. سعد خليل القزيرى ، " التحضر " فى الجماهيرية دراسة فى الجغرافيا ، (تحرير الهادى ابو لقمة ، سعد القزيرى) ، (سرت ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان) ، 1995 ، ص 421 .
10. خالد الطراونة ، عدنان مبيضين ، " النفايات الصلبة وأساليب معالجتها وطرق الاستفادة منها فى لواء المترا - الجنوبي - الأردن " ، مجلة مؤتة للبحوث والدراسات - قسم العلوم الجبائية ، كلية العلوم ، جامع مؤتة (الكرك) ، العدد الرابع ، المجلد التاسع ، 1994 ، ص 12 .
11. على زين العابدين عبد السلام ، محمد بن عبد المرضى عرفات ، تلوث البيئة ثمن

- للمدينة ، القاهرة الدار العربية للنشر والتوزيع ، 1996 ، ص 191 .
12. عادل عوض ، أبحاث مختارة من علوم البيئة ، دمشق : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، 1989 ، ص 312 .
13. منظمة الصحة العالمية ، معالجة المخلفات الصلبة في البلدان النامية ، الإسكندرية : المكتب الإقليمي لشرق البحر المتوسط ، 1988 ، ص 6 .
14. مفتاح عبد السلام الشويهدى ، مدخل إلى الطلب الصناعى ، مصراته : الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، 1992 ، ، ص 110 .
15. أبوبكر صديق سالم ، نبيل محمود عبد المنعم ، المرجع السابق ، ص 163 .
16. أحمد عبد الوهاب عبد الجواد ، المرجع السابق ، ص 49 .
17. منظمة الصحة العالمية ، المرجع السابق ، ص 7 .

الاهتمام الدولي بالبيئة

د . محمد عبد الله لامي

أستاذ - مشارك - قسم الجغرافيا - كلية الآداب - جامعة قاريونس

مقدمة :-

لقد شهدت السنوات الأخيرة تفاقم المشكلات البيئية في أنحاء شتى من العالم ، وأصبحت العلاقة بين الإنسان والبيئة يعترها الكثير من التغيير منذ منتصف القرن العشرين ، ومنذ ذلك الوقت بدأ العالم يشهد تطورات كثيرة فقد أخذ عدد سكان العالم في تضاعف وخاصة في الدول النامية .

وقد صاحب ذلك حدوث اختلال في التوازن بين السكان والموارد المتاحة ، وزيادة معدلات التلوث ، واتساع حركة الهجرة من الريف إلى المدن ، فاكثرت المدن بالسكان وتفاقت مشكلة السكن ، وزاد الضغط على مساحة الأرض المحدودة في المدينة ، بالإضافة إلى مشكلة تدهور الغطاء النباتي وجرف التربة ⁽¹⁾ ، ومشكلة نقص وتدهور المياه العذبة وبخاصة في المناطق الجافة وشبه الجافة ، والزحف العمراني على الأراضي الزراعية وغيرها .

وبالرغم من ضخامة كوكب الأرض البالغ مساحته * (510 مليون كم²) ⁽²⁾ وغناه بالموارد الطبيعية إذ إنه محدود المساحة ومحدود الموارد التي تتعرض للتدهور والنضوب . إذا لم يحافظ عليها ويحسن استخدامها ، ونتج عن ذلك تدهور بيئي مخيف بالنسبة للمحيط الحيوي (الغلاف الحيوي Biosphere) ⁽³⁾ .

إن تفاقم المشكلات البيئية في العقود الأربعة الأخيرة لا يعنى عدم وجودها في الماضي بل كانت موجودة على نطاق محدود ، وقد تمثلت تلك المشاكل فيما يقوم به الإنسان من إزالة للغابات وإنعكاس ذلك على المناخ كما أشار بليزني في اليونان قديماً إلى ذلك ، كما أدى قطع الصينيين الأوائل للأشجار إلى تعرض التربة للانجراف بفعل مياه الأمطار ، كذلك أساء المستعمرون الرومان في دول حوض البحر المتوسط استخدام موارد هذه البلدان ، وقضوا

* يمثل الماء نحو 362 كم² أي 71% من مساحة سطح الأرض ويمثل اليابس نحو 148 مليون كم² أي حوالي 29% من مساحة سطح الأرض .

على كثير من أنواع الحيوانات البرية مما نتج عنه اختفاء الكثير من أنواع هذه الحيوانات في أوربا وشمال أفريقيا .

كذلك أدى قطع الإنسان للغابات في بلاد الشام وجزر شرق البحر المتوسط إلى تحويل كثير من المرتفعات في هذه البلاد إلى أراض رديئة Bad Lands ⁽⁴⁾ .

موضوع البحث :-

يتناول هذا البحث أهم الجهود الدولية المبذولة من قبل المجتمع الدولي لحماية البيئة من التدهور الذي تتعرض له الأنظمة البيئية نتيجة للنمو السكاني السريع الذي يشهده العالم من ناحية وزيادة الأنشطة البشرية من ناحية أخرى ، حيث أدى ذلك كله إلى تفاقم المشكلات البيئية التي باتت تهدد الأنظمة البيئية بمزيد من التدهور ، وتتمثل تلك المشكلات البيئية في التلوث البيئي ، ومشكلة الغذاء والنمو السكاني ، ومشكلة الجفاف والتصحر ، وتآكل طبقة الأوزون ، والاحتباس الحراري ومشكلة استنزاف الموارد الطبيعية ، والزحف العمراني على الأراضي الزراعية وغيرها .

وقد تمثلت جهود المجتمع الدولي في انعقاد العديد من المؤتمرات والندوات وإبرام الاتفاقيات بين الدول للحد من تلك المشكلات ، كما تتمثل تلك الجهود في التحرك الشعبي الجماهيري من خلال التنظيمات المختلفة في أنحاء العالم التي برزت على هيئة حركات بيئية مناهضة لأعداء الطبيعة وتنادي أن تبقى البيئة Environment متوازنة خالية من الملوثات تحفظ التوازن للأنظمة البيئية .

الأمم المتحدة والبيئة United Nation and Environment :-

إن استمرار العبث بالبيئة والسرعة المتزايدة في استغلال الموارد الطبيعية مع زيادة النمو السكاني وسوء الإدارة البيئية كان لابد أن يتركنا في كارثة بيئية لا يمكن تجاهلها ، ونتيجة لهذا التدهور البيئي المخيف كان لابد من اتخاذ التدابير والاحتياطات اللازمة وإعلان التحذيرات قبل أن نصل إلى الآثار المدمرة في تعامل الإنسان مع البيئة ، وحتى لا نصل إلى نقطة اللا عودة نتيجة للافراط في تدخل الإنسان في البيئة .

ومن هنا جاء دور منظمة الأمم المتحدة للاهتمام بالبيئة ، وذلك بالقيام بخطوات جدية يشترك فيها العالم كله للحد من هذه المشكلات ، وقد تمثلت جهود دول العالم في الآتي :-

1. الإعلان العالمي للاهتمام بالبيئة 1968 :-

لم تكتسب البيئة الاهتمام العالمي بها إلا في أواخر الستينيات ، وبالتحديد في شهر الكانون (ديسمبر) من عام 1968 حيث أعلن عن مرحلة هامة في تاريخ الاهتمام الدولي بالبيئة ، وذلك بعد أن دعت الجمعية العامة للأمم المتحدة إلى عقد مؤتمر عالمي حول البيئة ، للبحث عن حلول لمشكلات التلوث البيئي وغيرها من المشكلات التي تهدد المحيط الحيوي Biosphere ، ويجيء هذا الاهتمام بعد تزايد الأنشطة البشرية التي استهدفت المساس بالموارد الطبيعية وعناصر البيئة (الهواء والماء والتربة) .

2. مؤتمر الأمم المتحدة الأول للبيئة (مؤتمر استكهولم 1972) :-

عقد هذا المؤتمر في مدينة استكهولم عاصمة السويد في 5 الصيف " يونيو " 1972 وقد جاء هذا المؤتمر بعد أربع سنوات من الاجتماعات واللقاءات التحضيرية ، وقد حضر أعمال هذا المؤتمر 113 دولة إضافة إلى حضور عدد كبير من المنظمات الإقليمية غير الحكومية بهدف وضع أسس للتعاون المستقبلي في مجال حماية البيئة وتحسينها . وقد اعتبر هذا المؤتمر حجر الزاوية في دراسة مشكلة التلوث ونقطة الانطلاق للمعنيين وقد صدر عن هذا المؤتمر إعلان حول " البيئة الإنسانية Environment Human " متضمناً أول وثيقة دولية عن مبادئ العلاقات بين الدول في شؤون البيئة وكيفية التعامل معها والمسؤولية عما يصيبها من أضرار ⁽⁵⁾ ، كما تضمن بيان المؤتمر (109) توصية تدعو الحكومات ووكالات الأمم المتحدة والمنظمات الدولية إلى التعاون في اتخاذ التدابير من أجل حماية البيئة .

3. برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP)

United Nation Environmental Programme

بناء على توصية مؤتمر استكهولم قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها رقم (2997) الدورة (27) إنشاء برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP) في شهر ديسمبر 1972 لتشجيع الدول ومساعدتها على تطوير برامجها البيئية وإدخال الاعتبارات البيئية في نشاطاتها . ومن أهم مهامه الأساسية ما يلي ⁽⁶⁾ :-

- أ- زيادة التعاون الدولي في مجال البيئة وتقديم التوصيات المناسبة لهذا الغرض .
- ب- وضع الأنظمة الإرشادية العامة لتوجيه البرامج البيئية وتنسيقها في إطار نظام الأمم المتحدة .

ج- متابعة تنفيذ البرامج البيئية وجعل الوضع البيئي الدولي تحت البحث والمراجعة المستمرة .

د- زيادة إسهام الهيئات العلمية والمهنية ذات العلاقة لاكتساب المعارف البيئية وتقويمها وتبادلها .

هـ- جعل الأنظمة والتدابير البيئية والوطنية والدولية في الدول النامية تحت المراجعة المستمرة .

و- تمويل برامج البيئة وتقديم المساعدة والتشجيع لأية دولة في الأمم المتحدة وخارجها .
ومن أهم برامج العمل التي اهتم بها البرنامج ، تلك المتعلقة بالمستوطنات البشرية ، والصحة الإنسانية والبيئة ومتابعة الأنظمة البيئية ، والمحيطات ، والبيئة والتنمية ، والكوارث الطبيعية ، والطاقة ، والرقابة الأرضية ، والإدارة للبيئة ، والتدريب والتعليم البيئي ، وقد اتخذت مدينة نيروبي في كينيا مقره .

4. مؤتمر الأغذية الدولي للأمم المتحدة 1974 :-

عقد هذا المؤتمر في مدينة روما عام 1974 لتقديم الوضع العالمي للغذاء وتقييمه في الحاضر والمستقبل . وقد ناقش المؤتمر مشكلة عدم إدراك الإنسان لأسرار التوازنات المادية الدقيقة بين الطاقات الإنتاجية لمعظم الموارد الطبيعية المستخدمة في الإنتاج الزراعي . وانتهى هذا المؤتمر إلى أن المشكلات البيئية الكبرى التي تواجه الزراعة والغابات ومصائد الأسماك لا تنحصر في مجرد تلوث البيئة ، بل تمتد أيضا إلى ضمان المحافظة - خلال عملية التنمية - على القدرة الإنتاجية للموارد الطبيعية الأساسية التي يقوم عليها الإنتاج الغذائي . وذلك بفضل الإدارة الرشيدة وإجراءات صيانة الموارد . واعترف المؤتمر بأن التنمية الزراعية وتوفير الأمن الغذائي العالمي يعتمدان على الرعاية الدقيقة للموارد الحية وعلى القوانين البيئية وعناصر التوازن البيئي التي تحكمها ، كما يعتمدان على ملاءمة الطلب مع الإنتاج والاحتياطي (7) .

وقد اهتمت منظمة اليونسكو بالوعي البيئي ، وأسست برنامجها الشهير عن الإنسان والغلاف الحيوي Man and Biosphere (MAB) الذي يركز على البحث والتدريب في الجوانب الطبيعية والاجتماعية للبيئة والذي وضع موضع التنفيذ عام 1975 ، ومن أهم المؤسسات الأخرى التابعة لهيئة الأمم المتحدة التي اهتمت بمشكلات البيئة وصيانة الموارد الطبيعية هي (8) :-

أ- الاتحاد الدولي لصيانة الطبيعة والموارد الطبيعية .

International Union for Conservation of Nature and Natural Resources (IUCN) .

ب- الصندوق العالمي للحياة البرية (WWF)

World Wild Life Fund

الذي عدل اسمه فيما بعد إلى World Wild Fund

وقد أسست الهيأتان الأولى والثانية " مؤسسة الصيانة البيئية " Foundation of

Environmental Conservation " عام 1975 بجنيف بسويسرا . ومن أهداف هذه المؤسسة التعاون بين مختلف الجمعيات والمنظمات المهتمة بصيانة الموارد الطبيعية ورعاية الدراسات البيئية وعقد المؤتمرات وورش العمل المتخصصة وإنشاء مجلة الصيانة البيئية Journal of Environmental Conservation (9) .

5. الندوة العالمية للتربية البيئية 1975 :-

عقدت هذه الندوة في مدينة بلغراد من 13 - 22 التمور (أكتوبر) 1975 ، وقد حددت هذه الندوة إطارا عالميا للتربية البيئية ، يهدف إلى تمكين الإنسان من فهم ما تتميز به البيئة به من طبيعة معقدة نتيجة للتفاعل بين جوانبها الحيوية والطبيعية والاجتماعية والثقافية (10) .

6. المؤتمر الدولي الحكومي للتربية البيئية 1977 :-

عقد في مدينة تبليسي بجمهورية جورجيا بالاتحاد السوفيتي السابق من 13 - 26 التمور (أكتوبر) 1977 وقد جاء في توصيات هذا المؤتمر " أن الهدف من التربية البيئية هو إيجاد وعي وسلوك وقيم نحو حماية الغلاف الحيوي " المحيط الحيوي " وتحسين نوعية الحياة للإنسان في كل مكان ، والحفاظ على القيم والأخلاق والتراث الثقافي والطبيعي ويشمل ذلك الأماكن المقدسة والمعالم التاريخية والأعمال الفنية والآثار والمواقع والحياة الطبيعية للإنسان وفصائل النبات والحيوان والمستوطنات البشرية " (11) .

7. مؤتمر الأمم المتحدة الأول عن ظاهرة التصحر 1977 :-

عقد هذا المؤتمر بمدينة نيروبي بكينيا خلال الفترة من 29 هانيال (أغسطس) إلى 9 الفاتح (سبتمبر) 1977، وقد أسفر هذا المؤتمر عن وضع خطة عمل لمكافحة التصحر ، وقد احتوت الخطة على وثيقة فنية محكمة تشمل 28 توصية تحتوي كل منها على تفاصيل للأعمال التي يجب تنفيذها على المستويات الإقليمية والدولية (12) .

8. اتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار 1982 :-

9. الميثاق العالمي للطبيعة 1982 :-

صدر هذا الميثاق عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 28 الثمور (أكتوبر) 1982 وذلك تنويجا لجهود دولية بدأها رئيس جمهورية زائير سابقا "مبوتو سيسيكو" (الكونغو الديمقراطية حاليا) أمام الجمعية الثانية عشرة للاتحاد العالمي لحفظ الطبيعة والموارد الطبيعية التي عقدت بمدينة كينشاسا (الفاتح " سبتمبر " 1975) ، حيث اقترح وضع ميثاق عالمي للطبيعة هدفه توجيه وتقويم أي مسلك بشري من شأنه التأثير على الطبيعة ، ويتضمن قواعد للسلوك في إدارة الطبيعة واستغلال مواردها (13) .

كما أكد أن خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية ينبغي أن تبنى على دراسة علمية كاملة لمتطلبات البيئة والحفاظ على الطبيعة .

10. اتفاقية فينا لحماية طبقة الأوزون 1985 .

11. اتفاقية مونتريال لحماية البيئة 1987 .

12. قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة 1987 (المنظور البيئي سنة 2000 وما بعدها) .

صدر هذا القرار في عام 1987 لتوجيه العمل الوطني الدولي في السياسات والبرامج الرامية إلى تحقيق التنمية السليمة بينيا (14) . فالإدارة الواعية بينيا تمثل صمام الأمان لضمان تنفيذ مشروعات الخطة تنفيذاً بينيا سليما .

13. هيئة التسهيلات البيئية العالمية " مرفق البيئة العالمي " 1991 :-

Global Environment Facility (GEF)

تأسست هذه الهيئة في عام 1991 وهي ذات فاعلية كبيرة في الحماية والصيانة البيئية (15) وتقوم هذه الهيئة بمد الدول النامية بالمنح والمزايا التمويلية للمشروعات والأنشطة التي تحقق إنجازات عالمية في المجالات الأربعة الآتية :-

التهديد الذي يتعرض له التنوع الحيوي ، التغيرات المناخية ، تلوث المياه الدولية ، وتآكل طبقة الأوزون ، بالإضافة إلى دعمها المالي لبرامج مكافحة التصحر وإزالة الغابات على المستوى القومي .

وتشارك في هذه الهيئة (GEF) جيف 164 دولة ، يتولى تنفيذ برامجها برنامج الأمم المتحدة للتنمية وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة ، والمصرف الدولي ، وفيما يختص بمبادرات

الصيانة على المستوى الدولي فقد صدرت عدة اتفاقيات ومواثيق نذكر منها (16) :-

- أ- ميثاق رامسار Ramsar Convention وهو يختص بالأراضي الرطبة (Wetlands) ذات الأهمية العالمية بوصفها موطنًا للطيور المائية خاصة .
- ب- ميثاق التجارة الدولية في الأنواع البرية النباتية والحيوانية المعرضة للخطر .

Convention on International Trade in Endangered Species (CITES).

- ج- ميثاق بون لحماية الحيوانات البرية المهاجرة Bonn Convention
- د- الاتفاقيات الدولية للأخشاب المدارية .

International Tropical Timber

- هـ- ميثاق باريس لمنع التلوث الحراري .
 - و- الميثاق الدولي لمنع التلوث البحري من السفن .
 - ز- برنامج الأمم المتحدة البيئي عن البحار الإقليمية .
 - ح- اتفاقية مونتريال لحماية طبقة الأوزون Montreal Protocol .
 - ط- ميثاق نادي الثلاثين بالمائة 30 Club % لخفض الانبعاثات الكبرى .
14. مؤتمر الأمم المتحدة الثاني للبيئة والتنمية (UNCED) قمة الأرض الأولى 1992 :-

عقد هذا المؤتمر خلال شهر الصيف (يونيو) 1992 في ريودي جانيرو (من 3 - 14 الصيف (يونيو)) (17) ، وشاركت فيه 178 دولة وحضره 140 رئيس دولة وحكومة ، وقد أسفر هذا المؤتمر عن وثيقة إجرائية موجهة ، وهي المفكرة (21) ، حيث إنها وثيقة شاملة تحتوي على أربعين فصلاً متضمنة المحاور الاجتماعية والاقتصادية (18) ، وقد تم في هذا المؤتمر مناقشة العديد من المشكلات البيئية مثل تلوث البحار والمحيطات والأنهار والهواء ، وتمزيق طبقة الأوزون ، بالإضافة إلى مشكلة الجفاف والتصحر (19) .

15. مؤتمر المناخ العالمي برلين 1995 :-

عقد هذا المؤتمر في مدينة برلين خلال الفترة من 3/28 إلى 7 / 4 / 1995 ، وهو تكملة لمؤتمر قمة الأرض الأولى ومن أهدافه الحد من انبعاث غاز ثاني أكسيد الكربون بحلول عام (2000) وتنشيطه إلى مستواه عام 1990 وذلك من جانب الدول الصناعية ، حيث يعد هذا الغاز السبب في ارتفاع درجة الحرارة المعروفة باسم " الاحتباس الحراري (20)

(Global Warming) .

16. مؤتمر لشبونة 1996 :-

عقد في لشبونة في البرتغال وذلك في شهر الصيف (يونيو) 1996 وذلك حول شؤون البيئة ودراسة مشكلة التصحر .

17. مؤتمر الأمم المتحدة الثالث للبيئة والتنمية (UNCED) قمة الأرض الثانية 1997 :-

عقد خلال الأسبوع الأخير من شهر الصيف (يونيو) 1997 في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية . وقد فشلت أعمال هذه القمة في اتخاذ إجراءات جديدة للحد من ارتفاع درجة حرارة العالم ، ويعود ذلك إلى الخلافات بين الدول الصناعية والدول النامية حيث يلقي منهما على الآخر ثيعة المأزق الحالي لتدهور البيئة وبخاصة الاحتباس الحراري . وأشارت القمة إلى وجود توافق واسع ولكنه ليس شاملاً حول الحد من انبعاث الغازات وفق جداول زمنية محددة ، وأعربت الوثيقة عن القلق العميق بسبب التدهور المتزايد للوضع البيئي .

18. مؤتمر المناخ العالمي الثاني (كيوتو اليابان 1997) :-

عقد في كيوتو باليابان خلال شهر الكانون (ديسمبر) 1997 وذلك حول تغيرات المناخ بسبب الاحتباس الحراري وزيادة انبعاث الغازات في الغلاف الجوي . وبخاصة ثاني أكسيد الكربون والغازات الأخرى .

19. مؤتمر المناخ العالمي الثالث (بوينس أيرس 1998) :-

عقد في مدينة بوينس أيرس في الأرجنتين خلال الأسبوع الأول من شهر الحرت (نوفمبر) وذلك حول الاحتباس الحراري .

20. مؤتمر المناخ العالمي الرابع . لاهاي (2000 ف) :-

عقد هذا المؤتمر في لاهاي في هولندا في الفترة من 13 إلى 25 من شهر الحرت ((نوفمبر)) من عام 2000 ف تحت إشراف الأمم المتحدة ، وقد تابع المؤتمر ما تم الاتفاق عليه في كيوتو باليابان بشأن انبعاث الغازات التي تسبب الاحتباس الحراري والحد من انبعاثها بنسبة أكثر من 5% ما بين الفترة الواقعة بين (2002 - 2012 ف) ، وقد شارك في هذا المؤتمر 180 دولة أبدت خيبتها من التوصل إلى نتائج ملحوظة . وأشار المؤتمر بأن درجة حرارة العالم ستزيد من 1.5 - 6 درجات مئوية خلال مائة سنة القادمة ، وأن الأمر يحتاج

إلى قرارات صعبة للحد من انبعاث الغازات .

21. مؤتمر البرازيل للمياه :-

عقد هذا المؤتمر في البرازيل يوم 24 / 11 / 2000 ف وحضره 500 خبير في مجال المياه والبيئة من مختلف دول العالم ، وناقش المؤتمر مشكلة نقص المياه العذبة في العالم ومشكلة تلوث المياه بصفة عامة . وأشار المؤتمر إلى أن $\frac{1}{6}$ سكان العالم يعانون من نقص المياه العذبة النقية ، وأن 10 آلاف شخص يموتون يومياً نتيجة لتلوث المياه .

22. مؤتمر المناخ العالمي الخامس . بون (2001 ف) :-

عقد في مدينة بون في ألمانيا خلال الفترة من 21 إلى 23 / 7 / 2001 ف ، وحضره عدد كبير من وزراء البيئة ومندوبي الدول وقاطعته الولايات المتحدة الأمريكية . وقد صب الحاضرون جم غضبهم على الولايات المتحدة الأمريكية لانسحابها من اتفاقية كيوتو . وقد شهد المؤتمر خلافات على تطبيق اتفاقية كيوتو وخاصة من جانب الدول الصناعية ، وفي نهاية المؤتمر اتفق المؤتمر على الحد من انبعاث الغازات المسببة للاحتباس الحراري وخاصة من جانب الدول الصناعية الأوروبية وتم الاتفاق على تحويل اتفاقية كيوتو إلى معاهدة قابلة للتطبيق في مطلع عام (2002) .

23. مؤتمر المناخ السادس . (مراكش 2001) :-

عقد هذا المؤتمر في الأسبوع الأخير من شهر التمور ((أكتوبر)) من عام (2001) وحضرته 182 دولة ، وشاركت فيه الولايات المتحدة الأمريكية مع إصرارها على عدم الموافقة على اتفاقية كيوتو . وقد هدف هذا المؤتمر إلى تحويل اتفاقية كيوتو إلى اتفاق ومعاهدة قانونية من قبل الدول والحد من انبعاث الغازات المسببة للاحتباس الحراري .

ومن خلال ما تقدم كان من المفروض أن تكون مؤتمرات قمة الأرض التي عقدت تعبيراً عن المصير المشترك والمصالح المتكاملة على المدى الطويل لدول العالم ، إلا أن سيطرة الأنانية والاهتمام بالمصالح الذاتية القصيرة المدى أدت إلى اختلاف وجهات النظر بين الدول الصناعية والدول النامية ، وهو ما أدى إلى تعارض الاتجاهات وتناقض المصالح على حساب البيئة .

إن مشكلات البيئة في العالم ليست جديدة كما سبق أن ذكرنا ولكن الجديد هو زيادة معدلات التلوث الناتج عن الأنشطة البشرية ، ودليل ذلك هو انبعاث الغازات الناتجة عن احتراق مصادر الطاقة الكربونية التي تؤدي إلى الاحتباس الحراري وبخاصة من جانب الدول

الصناعية ، مما يترتب عليها على المدى البعيد تغيرات مناخية تنعكس آثارها على سقوط الأمطار الحامضية وذوبان الثلوج وارتفاع منسوب البحار والمحيطات وغرق السواحل والدلتاوات ، وتدهور الحياة النباتية والحيوانية ، فضلا عن تآكل طبقة الأوزون وغيرها من مظاهر التدهور البيئي .

لذلك فإن مسؤولية الحد من مشكلات البيئة دوليا لا يمكن أن تسند إلى مجموعة واحدة من بلدان العالم ، فالدول النامية تواجه مشكلات التلوث والتصحر وتدهور الغطاء النباتي ، بالإضافة إلى مشكلة الغذاء والنمو السكاني ، وانتشار الفقر وانقراض الحيوانات البرية بسبب إزالة الغابات وبخاصة في المناطق الاستوائية ، وتواجه الدول الصناعية مشكلة تلوث البيئة نتيجة لزيادة كثافة النشاط الصناعي الذي أدى إلى إنتاج العديد من المواد الكيماوية والنفايات السامة وغيرها من الملوثات التي تعمل على تلويث الهواء والماء والتربة .

وتعاني جميع دول العالم من تلوث نتيجة لما تطلقه الدول الصناعية من الغازات المسببة للاحتباس الحراري ، ولذلك نلاحظ أن قضايا البيئة هي خيوط متشابكة وبعضها مترابط مع بعض ، فالملوثات البيئية تتعدى الحدود السياسية المعروفة ، ولذلك لا يمكن لأي دولة أن تحمي نفسها دون تنسيق وتعاون دولي لتفادي الآثار البيئية الخطيرة .

ورغبة من المجتمع الدولي في المحافظة على البيئة وحمايتها من مزيد من التدهور ، وتوعية المواطنين بخطورة التدهور البيئي الذي تعاني منه الأنظمة البيئية ، فقد قرر برنامج الأمم المتحدة للبيئة (UNEP) اعتبار يوم 5 الصيف (يونيو) من كل عام يوما عالميا للبيئة .

كما اختارت جامعة الدول العربية يوم 14 الثمور ((أكتوبر)) من كل عام يوما عربيا للبيئة . كما حددت الهيئة العامة للبيئة في الجماهيرية العربية الليبية يوم العاشر من الطير ((أبريل)) من كل عام يوما وطنيا للبيئة في ليبيا .

الحركات البيئية :-

إحساسا بخطورة الوضع البيئي ، بدأ العالم يشهد ظهور حركات بيئية على هيئة جماعات منها من اتخذ المعارضة الثورية للنظم السائدة شعارا وحركة للمحافظة على البيئة ، ومنها من تبني شعارات الترابط الاجتماعي والوحدة الوطنية والأممية ، انطلاقا من أن مشكلات البيئة ذات صفة عالمية ، ومن تلك الحركات ما يضم حركات اجتماعية وسياسية وقانونية .

1 - حركة الفوضويين الثوريين :-

ظهرت الفوضوية الثورية تياراً فكرياً وسلوكياً نتيجة لما أفرزه المجتمع الغربي من آثار سلبية وصراعات داخل المجتمع من ناحية ، وبين المجتمع وبينه الطبيعية من ناحية أخرى . كانت هذه الجماعة تشاهد احتواء العديد من البينيين بواسطة النظم السياسية السائدة ، بينما تستمر عملية التدهور البيني دون توقف ، ولذلك كان عليهم أن يختاروا : إما أن تسير حركتهم في طريق التكيف مع النظم المعاصرة ، أو أن تتبع طريق المعارضة للحد من استمرار تعاظم المشكلات البينية التي تهدد الحياة على كوكب الأرض ، ويرون أنه لا يمكن تجنب هذا المصير الحالك إلا بقيام مجتمع متحرر بينيا ، لأنه لا يمكن حل المشكلة البينية بالحقاقتها بالتحليل الاقتصادي والطبيعي لأن هذه الأزمة ومشكلة المجتمع المعاصر مع الطبيعة أكبر من مشكلة الرأسمالية (21) .

ينفق الفوضويون الثوريون مع الموقف الراديكالي في علاقة المشكلة البينية بالسكان والتوزيع الجغرافي للموارد ، كما تنطلق مواقف هذه الحركة البينية من قناعتها الراسخة بأن حل المشكلة البينية يكمن أساساً في المحافظة على التنوع الطبيعي . وترى هذه الحركة أن النمو الحضري يتطلب تجهيزات هائلة للغذاء ، والنقل ، والتعليم ، والصحة والترفيه وغيرها ، مما يؤدي إلى التدني الحاد في مستويات الحياة المدنية والاجتماعية ، وذلك في المجتمعات الغربية المعاصرة وبخاصة في المراكز الحضرية الكبيرة . ويرى أنصار هذه الحركة أن مشكلة النمو الحضري والكثافات السكانية العالية يستوجب التوسع في الزراعة الحديثة ورفع درجة الميكنة الزراعية لغرض زيادة الإنتاج ، واستغلال المحيط الحيوي لأبعد مدى (22) .

2 - حركة البيئة الجماهيرية (الأيكولوجيا بالجماهيرية) :-

هي عبارة عن نوع من البيئة يقوم أساساً على مفاهيم ونتائج علم البيئة ودراساته ، وتستمد عضويتها من جميع علماء البيئة ، ويستند مبدأ فكر هذه الحركة البينية الجماهيرية على التوازن والتناغم ، ورفض الصراع ، وبخاصة الصراع السياسي الذي يخل بالنظم الطبيعية والاجتماعية حسب اعتقادهم . إن الاختلافات السياسية والفكرية غير واردة في حساباتهم البينية لأن الدول ذات السياسات والأفكار المختلفة أخذ بعضها يقترب من بعض بسبب التطور التقني القائم على منجزات العلم الحديث .

وتبنت الحركة شعارات الترابط الاجتماعي ، والوحدة الوطنية والأممية ، ولعل ذلك

يعود إلى حقيقة أن بعض المشكلات البيئية مثل التلوث واستنزاف الموارد الطبيعية ذات صفة عالمية ، وإلى اعتقاد الحركة بأن كل النظم السياسية تضر بالبيئة. كما ترى هذه الحركة أن الخلافات السياسية تشكل عقبة في حل المشكلات البيئية التي يمكن حلها عن طريق تحويل الاهتمام الجماعي من الجوانب السياسية إلى الجوانب الحيوية الأساسية للمجتمع البشري (23) .

وعلى الرغم من ذلك فإن هناك فئة من أنصار هذه الحركة لا تلغي السياسة إلغاء كاملا ، ولكن ترى أن المشكلات البيئية ذات طبيعة غير سياسية ، بمعنى أن حلولها تكون بوسائل إدارية وفنية . يشير هذا الموقف إلى أن السياسة عند هذه الفئة لا تعني القوة وتوزيعها واستخدامها ، وإنما تعني ما تتخذه الدوائر الحكومية من إجراءات إدارية وفنية تجاه المشكلات البيئية الملحة (24) .

3 - حركة جماعة الخضر :-

يتميز الخضر بكونهم حركة شعبية عميقة ، ذات قاعدة عريضة ومتنوعة ، تضم حركات اجتماعية وسياسية وثقافية . إنها حركة مظلية للعديد من الحركات والمنظمات التي تغطي العمل في مختلف المقومات الاقتصادية والبنوية والحربية وغيرها للمجتمع المعاصر ، لإيمانهم بأنه لا يمكن حل المشكلة العامة بالتركيز على عنصر واحد ، مما جعلهم يمسكون بالمنهج الشمولي في سعيهم لإقامة مجتمع بديل (25) .

وتعد حركة السلام الأخضر أوسع الحركات انتشارا ، في إطار الحركة العامة ، وأكثر فعلا وحركة . وتختلف حركة السلام الأخضر عن الحركات السابقة التي تقوم على قضية واحدة مثل حركة منع إنتاج القنابل الذرية في الخمسينيات ، وحركة منع التجارب النووية في الستينيات ، إذ استطاعت أن تربط بنجاح بين سباق التسلح والحروب من جانب ، ومختلف القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من جانب آخر ، وقد ازدادت الأهمية والتأثير لفاعلية حركة السلام الأخضر ونموه لعدة أسباب مثل (26) :-

أ- أنها أصبحت جزءا من حركة الاجتماع والتمرد العامة - وبخاصة وسط الشباب - ضد القيم والبنية الاجتماعية السائدة والتقنية المدمرة .

ب- طرح عضويتها إلى كل الناس بغض النظر عن الأصل الاجتماعي والقومية والمهنية والعرق والنوع والعمر .

ج- إن إنتاج الأسلحة يتم بواسطة مؤسسات وشركات عالمية ومتعددة الجنسيات .

- د- تشكل الحروب تهديداً مباشراً لكل البشر وكل أشكال الحياة .
- هـ- عدم جدوى الجهد الفردي في التصدي لسباق التسلح والحروب .
- و- الجمع بين النشاط الفكري والتحريض وأشكال المقاومة المباشرة مثل المسيرات والاعتصامات والمظاهرات .

يزداد اتجاه جماعة الخضر في العالم الصناعي والعالم الثالث نحو الجمع بين العمل الشعبي والعمل النيابي (البرلماني) بتأسيس العديد من الأحزاب السياسية ، وبخاصة بعد اتساع نفوذ حزبهم الألماني الذي استطاع في انتخابات الربيع (مارس) عام 1983 أن يجذب 5.6 % من أصوات الناخبين ، وأن يرتفع بهذه النسبة إلى 7.8 % ثم إلى 9 % من الانتخابات اللاحقة (27) ... وتجدر الإشارة هنا إلى أن الخضر وأحزابهم السياسية لا يتبنون أيًا من الأيديولوجيات السائدة ، بل يقفون خارج المعسكر الرأسمالي والمعسكر الاشتراكي الماركسي السابق ، ولكن هذا لا ينفي تأثيرهم ببعض جوانب الفكر الماركسي وبعض أطروحات الفوضويين الثوريين ، ويظهر هذا التأثير بجلاء في المقومات الأساسية للمجتمع البديل الذي يسعون لإقامته . وتشمل أهم هذه المقومات (28) .

(أ) الاقتراب من الطبيعة ، (ب) التوازن البيئي بين الإنسان والبيئة ، (ج) بناء التنوع البيئي ، (د) تقنية بديلة غير مضرّة بالبيئة والإنسان ، (هـ) البعد عن المواد الكيماوية في الزراعة والأكل ، (و) اقتصاد أخضر قائم على الإنتاج من أجل الاستهلاك الشخصي ، (ز) الإنتاج من أجل تبادل غير نقدي ، (ح) الإنتاج من أجل الدورات المحلية والإنتاج الجماعي والاستهلاك الجماعي ، (ط) الاكتفاء الذاتي ، (ي) منع الحروب ، (ك) الحد من الأسلحة الهجومية وبخاصة النووية ، (ل) ثقافة جديدة نابعة من مقومات المجتمع البديل وداعمة لها (م) المساواة العرقية والاثنية ، (و) دعم الحركة النسائية ، (ق) الحد من التحضر (29) ... الخ .

الخلاصة : —

نخلص مما تنقذ إلى أن مشكلات البيئة ذات جوانب متعددة منها البيئي (الحيوي) والاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، وقد أصبح البعد السياسي للمشكلات البيئية أمراً يتطلب التعاون البيئي بين الدول لمواجهة هذه المشكلات (30) بل بدأت بعض الدول تعلن معارضتها العلنية لبعض الممارسات التي تمارسها بعض الدول الأخرى التي من شأنها أن تقصد وتضر بالبيئة العالمية .

إن انتقال الملوثات من دولة إلى أخرى استوجب ضرورة عقد اتفاقيات بين الدول لاتخاذ الإجراءات الصارمة للحد منها وتقليل انبعاثها وبخاصة الهوائية منها كما أثار تزايد نسبة ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي ووجود ثقب الأوزون في القطبين الجنوبي والشمالي ، وقضية التخلص من النفايات الخطرة مخاوف وذعراً ونزاعات بين الدول ومن هذا المنطلق فإن العالم في حاجة ماسة إلى من ينقذ البيئة من هذا التدهور المخيف قبل أن تقع الكارثة .

الهوامش والمراجع

- 1 - آمال إسماعيل شاو ، جغرافية البيئة ، القاهرة ، 1996 ، ص 4 .
- 2 - السيد السيد الحسيني ، أسس الجغرافيا العامة ، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، 1995 - 1996 ، ص 34 .
- 3 - آمال شاو ، مرجع سبق ذكره ، (1996) ، ص 5 .
- 4 - المرجع نفسه ، ص 7 .
- 5 - ممدوح حامد عطية ، إنهم يقتلون البيئة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1997 ، ص 44 .
- 6 - المرجع نفسه ص 45 .
- 7 - منظمة الأغذية والزراعة (الفاو) بالأمم المتحدة ، تقرير حالة الأغذية والزراعة عام 1977 ، ص 142 .
- 8 - على على البنا ، المشكلات البيئية وصيانة الموارد الطبيعية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2000 ، ص 194 - 195 .
- 9- Environmental Conservation, Vol. 16, No. I, Spring 1989, pp 75- 77.
- 10 - التربية البيئية في مواجهة البيئة - الوثيقة رقم (4) من الوثائق التي قدمتها اليونسكو بالتعاون مع برنامج الأمم المتحدة للبيئة لمؤتمر تبليسي للتربية البيئية .
- 11 - رشيد الحمد ، محمد سعيد صباريني ، البيئة ومشكلاتها ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الطبعة الثانية ، الكويت 1984 ، ص 318 .
- 12 - محمد عبد الله لاه ، التصحر في سهل بنغازي دراسة جغرافية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة القاهرة ، 1996 ، ص 1 .
- 13 - ممدوح حامد عطية ، مرجع سبق ذكره ، ص 46 .
- 14 - المكان نفسه .
- 15 - The World Bank. World Development Report, 1998 / 99, pp. 132 - 133 .
- 16 - على على البنا ، مرجع سبق ذكره (2000) ، ص 198 .

17- UNED, United Nation Conference Environment and Development, (Earth Summit Convention on Desertification) Riod Janeiore, Barzil, 3-14 June, 1992 .

18 - محمد عبد الفتاح القصاص ، " التصحر نظرة عامة " ترجمة آمال إسماعيل شاوو ، في التصحر وهجرة السكان في الوطن العربي ، تحرير محمد عاطف كشك ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، 1995 ، ص 33 .

19 - عبد الله الصعيدي ، التممية والبيئة دراسة لعوامل التصحر ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1992 ، ص 5 .

20 - محمد عبد الله لاه ، مرجع سبق ذكره ، (1996) ، ص أ - ب .

21- Murray Boockchin (1970), Ecology and Revolutionary, Vol. 10, No. 3, p. 22 .

22 - جلال الدين الطيب ، الجغرافيا والبيئة والتنمية ، دار الحكمة اليمانية ، صنعاء ، 1995 ، ص 99 - 100 .

23 - A. Huxley, (1970). " The Politics of Population in G. A. Love and R. M. Love (eds) Ecological Crisis, Harcourt Brace Jovanovich.

24 - F. F. Darling (1971) Wilderness and Plenty, Ballantine, pp.30- 31.

25 - جلال الدين الطيب ، مرجع سبق ذكره ، ص 105 .

26 - المرجع نفسه ، ص 106 .

27- Johon Caltung (1990), "The Movement: A Socio historical Explanation " in Martin Albrow and Elizabeth King (eds.) Globlization, Knowledge and Society, London: SAGE Ploblization, p. 235.

28 - جلال الدين الطيب ، مرجع سبق ذكره ، (1995) ، ص 107 .

29 - Johon Galtung, op. cit., pp. 237- 239

30 - زين الدين عبد المقصود ، البيئة والإنسان دراسة في مشكلات الإنسان مع البيئة ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، الطبعة الثانية 1997 ، ص 333 .

تأثير برنامجي تمرينات بنائية زوجية وفردية لتنمية بعض مكونات اللياقة البدنية للطالبات المكفوفات

د . هانم حسن أحمد كساب*
أستاذ مساعد بقسم علم التربية البدنية
كلية الآداب - جامعة قاريونس - بنغازى

مشكلة البحث وأهميته :

تتطوى حياة الإنسان منذ بدايتها على سلسلة من التفاعلات بين شخصيته والبيئة التى يعيش فيها ، ويستهدف هذا التفاعل دائماً إيجاد التوافق والتوازن بين حالته البدنية والنفسية والاجتماعية وما تنسم به ظروف البيئة من صفات تؤثر فى صحته ونفسيته ، وتعامله مع الآخرين ، ويؤدى هذا التفاعل فى أغلب الأحيان إلى اقصى ما يرتضيه الإنسان لنفسه من الرفاهية الممكنة ، وكلما اختلف هذا التوافق لسبب من الأسباب بذل الإنسان جهده لمواصلة توافقه مع البيئة من خلال خبراته فى الحياة وما تعلمه من الآخرين ، فأحياناً يكون التوافق مع البيئة مختلاً بدرجة كبيرة بسبب إعاقة ما .

هنا يصعب على الإنسان أن يواجه الحياة بمفرده ، وعندئذ يحتاج إلى خدمات من غيره تساعده على إعادة التوافق والاندماج مع بيئته .

فالإعاقة فى أبسط معانيها هى حالة من النقصان تمنع الإنسان المصاب من استخدام جانب أو أكثر من إمكاناته الجسمية أو الحسية أو العقلية ، وإنها أيضاً لا تمكن الإنسان من الحصول على عمل مناسب والاستقرار فيه ، كما أنها تجعله فى حاجة دائمة إلى إعانة الآخرين ، وبالتالي إلى تربية خاصة تغلبه على إعاقته من هنا تعتبر قضية المعوقين من قضايا الإنسان والإنسانية ، فالتعوق لم يكن أمراً مرغوباً لدى الإنسان ، ولذا اعتبرت حالة العوق اختصاراً من الله سبحانه وتعالى كما جاء فى كتابه العزيز (ونبلوكم بالخير والشر فتنة) صدق الله العظيم ، وعليه فإن أسعد الناس من استطاع أن يعيش مع علقته .

وجاء أيضاً فى الحديث الشريف عن الرسول صلى الله عليه وسلم " إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه فإذا صبر اجتبه وإن رضى عنه اصطفاه ، وإن يسئ نفاه و أقصاه " ، فالمفكرون والمخلصون لخدمة الإنسانية جادون فى توفير سبل الراحة للمعوق ، وهذا يجعله كفيلاً فى نمو شخصيته وبنائها وتأهيله بالشكل الصحيح والسليم كى يصبح قادراً على العمل والإبداع ، فالإعاقة فى مجمل معناها مسؤولية وطنية تحتاج إلى تضافر كل الجهود الرسمية والأهلية لمعالجتها ، فإن الرؤية العلمية لمسألة الإعاقة هى ليست مجرد رعاية المعوقين ، وإعادة

* أستاذ مساعد بقسم علم التربية البدنية ، كلية الآداب / جامعة قاريونس ، بنغازى ، الجماهيرية .

تأهيلهم فحسب بل ينبغي النظر إليهم باعتبارهم طاقة بشرية ، واجتماعية واقتصادية أهدرها المجتمع فينبغي علينا كتر بوبين أن نؤسس وننظم الوسائل والأساليب التي تمهد الطريق للاستفادة من هذه الطاقات المتعددة ، ويؤكد مروان عبد المجيد إبراهيم (21 : 49) أن العمل مع المعوقين يعد قضية إنسانية وخدمة تحتاج إلى وعى وفهم دقيقين حيث يتم من خلالهما توجيههم وتقديم العون والمساعدة إليهم من أجل الانتفاع من مواهبهم المختلفة .

وتعد الإعاقة بفقدان البصر إحدى الإعاقات الحسية الشديدة ، التي كان لها رعاية خاصة ومميزة في المجتمعات الإنسانية والعالمية ، ففي صدر العصور الإسلامية المزدهرة بلغ اهتمام الخليفة عمر بن عبدالعزيز بالحث على إجراء إحصاء للمعوقين ومكفوفي البصر وخصص مرافقا لكل كفيف وخادما لكل معوق (13 : 130) .

يقول الله في كتابه العزيز (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) صدق الله العظيم ، فالمكفوفون هم مواطنون لهم شخصياتهم الممتدة الجوانب المتنوعة الحاجات والرغبات ، فقد اتجهت كثير من الدول إلى وضع مناهج وبرامج تدعو كل الوسائل والمؤسسات المسخرة لخدمة المواطنين لتنسيق الجهود والتوثيق والتعاون فيما بينهم من أجل إشباع وتلبية الحاجات النفسية والاجتماعية والثقافية والتربوية والرياضية للمكفوفين (11 : 5) وأكبر دليل على هذا التعاون ما نقوم به حاليا من اجراء البحوث التجريبية التربوية لخدمة تلك الفئة المهمة التي هي جزء لا يتجزأ من المجتمع ، فالتربية البدنية بوصفها إحدى الوسائل المهمة التي تعمل لتحقيق الأهداف التربوية المعنية ، فهي ترمي إلى تطوير شخصية المواطن عن طريق تنمية قدراته والارتقاء بفاعلياته وتوسيع مجالاته والعمل على إخضاع هذه القدرات لإرادة الفرد ، بحيث يمكنه التحكم فيها والسيطرة عليها ، وتوجيهها نحو ما يبتغيه فممارسة التربية البدنية والرياضة حق أساسي للمجتمع لأنها تشكل عنصرا أساسيا من عناصر التربية المستديمة في إطار النظام التعليمي الشامل ، كما ينبغي أن تلبي برامجها احتياجات الفرد والمجتمع (7 : 9) والمكفوفون هم أفراد بالمجتمع لهم رغباتهم المتعددة ، هنا يجب الاهتمام بهم ودراسة ميولهم ومعرفة رغباتهم حتى نستطيع تلبية حاجاتهم النفسية ، ومن خلال الاطلاع على بعض المراجع الخاصة بتلك الفئات (2 : 52) اتضح أن المعوق بكف البصر يجد صعوبة في إدراك بعض المفاهيم والمصطلحات الخاصة بالاتجاهات أو المواقع ، هنا تذكر الباحثة أمثلة لذلك فإذا طلب من مكفوف أن ينحني أو يتلفت ناحية اليمين أو اليسار أو أنك استخدمت بعض المصطلحات كمثال الوقوف – ثبات الوسط ، أو ميل الجذع أماما ، أو أخذ وضع الجنو الافقى ، أو ... فإنه لا يفهم عما نتكلم ما دام لا يعرف معاني الكلمات ، وربما كان عدم الفهم ناتجا عن ضعف تطور المفاهيم والمصطلحات لديه ، من هنا نوضح رؤية مهمة عن ماهو المفهوم ؟ ومم يتكون ؟ فالمفهوم تصور ذهني أو صورة أو فكرة عما ينبغي لشيء أو لوضع ، ويتكون المفهوم بجمع أشياء أو أحداث أو خبرات أو تجارب استنادا إلى ما هو مشترك بينها من صفات ، فجميع الأفراد يكونون مفاهيم عن طريق مرحلتين : الأولى استخلاص معلومات مما حولنا ، فنحن ننقل

كل أنواع المعلومات فنحاول أن نضم ونجمع بعضها إلى البعض ونتعلم أن شيئاً بعينه موجود وأنه مختلف عما سواه كمثال اختلاف الأوضاع الأصلية في التمرينات عن الأوضاع المشتقة .. من هنا نطلق على تلك الأوضاع اسماً وتصبح لدينا فكرة عنها في مجموعة ، ثم بزيادة المعلومات عن هذه الأشياء أو الأوضاع نتعلم شيئاً عن أجزائه ، ثم ننقل إلى المرحلة الثانية : وهى التصميم فعن طريقه تأخذ الملامح المميزة للوضع الذى عرفناه وعيناه ، وعلى أى شىء ينطبق ... حينئذ تكون قد كونا مفهوماً ، هذا يبدو أمراً سهلاً فمعظم المعلومات التى تستخدم فيما حولنا نحصل عليها باستخدام حاسة البصر فعن طريقها يتكون لدينا التصور والتخيل لأي وضع أو أى حركة ، ونستطيع رؤية الأشياء والأوضاع والحركات فى مجملها وتتكون الصورة الواضحة عن طريق قدرة الإبصار .

أما مكفوفو البصر فيفتقرون إلى هذه القدرة على رؤية الأشياء والأوضاع والحركات فى أجزائها ومجملها فهو حين يلمس شيئاً يحس أجزائه ثم يضم الأجزاء فى ذهنه ليكون فكرة أو مضمونا عن الشىء أو الوضع وهذا أمر ليس بالسهل ، حيث إن هناك أشياء لا يمكن الإمساك بها أو استكشافها باللمس إما لعظم حجمها أو لفرط صغرها أو لتكرار حركتها هذا من ناحية ، ومن جهة أخرى بين لنا مروان عبدالمجيد إبراهيم (12 : 157) أن المعوق بكف البصر يتسم بالانعزالية ، ويرفض المقترحات الخاصة بإعادة تفاعله مع المجتمع ومن هنا تظهر بعض التغيرات الخاصة فى طبيعة الأداء الحركى ، وقد يصيب أدائه الحركى الانخفاض فى الحركة النسبية الناتجة عن الخوف من الاصطدام أو السقوط على الأرض هذا مما يودى إلى ما يسمى بتيبس الحركة لدى المكفوفين ، وتحجب وضعف فى فقرات العمود الفقري ، بروز البطن للأمام نسبياً ، مع احتكاك القدمين بالأرض أثناء السير ، كما يضيف كل من أمين أنور الخولي ، أسامة كامل راتب (1 : 368 : 369) أن الطفل المعوق بصرياً تمنعه أسرته من ممارسة الأنشطة الحركية التى تستخدم فيها العضلات الكبيرة كما هو فى الجري أو الوثب هذا من منطلق خوفهم عليه ، بينما هذه الأنواع من الأنشطة الحركية هامة جداً لنمو الطفل ، وتنمية التوافق والتكيف لديه ، غالباً ما يصاب طفل هذه الفئة بالتشوهات والعيوب القوامية — إما نتيجة ضعف اللياقة البدنية أو النعمة العضلية ، أو لعدم تمكنه من رؤية وإدراكه القوام الجيد وتقليده — فمن هنا يتغلب المكفوف على إعاقته بإعادة اعتماده بصورة أكبر على الجهاز السمعى دون العضلى ، وذلك لتنمية نظام التوازن بالجسم على أسس جديدة بعد الإعاقة بزيادة الاعتماد على المستقبلات الحسية فى الجلد (حاسة اللمس) والعضلات والمفاصل تعويضاً عن المستقبلات الحسية البصرية المفقودة التى تلعب دوراً مهماً فى نظام توازن الجسم مع الجهاز العصبى والسمعى (12 : 158) .

من خلال المعلومات الهامة السابقة الذكر يجب علينا بوصفنا مسؤولين ومتخصصين فى المجال الرياضى أن نقوم بتعليم المكفوفين الحركات الحرة والتوافقية مثل المشي والجري والحجل بطريقة متدرجة ، وذلك لإزالة الضغط والتوتر النفسى المصاحب للإعاقة ، وواجبنا أيضاً تعريف مكفوفى البصر بالمصطلحات والمفاهيم الخاصة بالأنشطة الرياضية المتنوعة

حتى يستطيعوا تكوين الأفكار والمعلومات حول ما يدرس لهم، كل هذا يفيد في كسر حاجز العزلة النفسية للمكفوف الذى قد يضع فيها نفسه ، كما أنها تساعد على زيادة ثقته واعتماده على نفسه نتيجة اندماجه مع أقرانه كعمل جماعي ، وكلنا نعلم أن التمرينات البنائية الزوجية والفردية تعمل على إكساب الجسم اللياقة البدنية التى تمثل فى مفهومها الفلسفى قدرة البدن على مواجهة متطلبات الحياة ، خاصة أو عامة ، منها انعكاس مباشر لحالة صحية جيدة ، وقدرة حركية ومهارات توافقية ، وقدرة على أداء مناسط الحياة اليومية ، وباللياقة البدنية نتحاشى الإصابات والتوترات المعاصرة - وأيضاً المحافظة على القوام الجيد الخالى من التشوهات ، وبناء جسمى مناسب (10 : 234) .

انطلاقاً مما سبق رأت الباحثة أن تقوم بإجراء بحث تجريبي على مجموعة من الطالبات المكفوفات المقيمات فى القسم الداخلى فى جمعية الكفيف ، ويتضمن البحث مجموعة من التمرينات البنائية الزوجية ، والفردية المتخصصة بهدف تنمية مرونة المنيكين والعمود الفقري ، وقوة عضلات الذراعين والبطن حتى تحد من إحداث التشوه الناتج عن الاعاقة .

تأكيداً لمدى الاهتمام بتلك الفئة المهمة من المجتمع ، قامت الباحثة بإجراء مقابلات شخصية مع المسؤولين عن جمعية الكفيف فى بنغازى بتاريخ 1999/11/25 ، وتم التحدث معهم عن إمكانية إجراء البحث قبل القيام به ، وأجريت المقابلة الشخصية لتحقيق الأهداف التالية : -

أولاً : أخذ الموافقة والاستعداد من قبل الجمعية لإجراء البحوث العلمية .
ثانياً : التعرف على الطالبات المقيمات فى القسم الداخلى حتى يسهل التعامل معهن أثناء إجراء البحث .

ثالثاً : حصر عدد الطالبات المقيمات فى القسم الداخلى .

رابعاً : التعرف على نوعية النشاط الرياضى الممارس .

وكانت نتيجة المقابلة الشخصية ما يلى : -

1. الترحاب الكامل من قبل المسؤولين لإجراء مثل هذه البحوث التربوية داخل جمعية

الكفيف من منطلق إيمانهم الكبير بالاهتمام بتلك الفئة الخاصة .

2. السماح للباحثة عن طريق المسؤول عن القسم الداخلى أن تتعرف على الطالبات ، وتتحدث معهن .

3. تم حصر عدد الطالبات اللاتي تتراوح أعمارهن من 14 - 20 سنة عن طريق القوائم الخاصة بأسمائهن .

4. أما عن النشاط الرياضى الممارس فكان مقتصرأ على لعبة كرة الجرس فقط .

مصطلحات البحث :

• التمرينات البنائية الفردية : مجموعة تمرينات تعمل على إكساب الجسم الصفات البدنية

للمساعدة على ترقية النمو الطبيعي بصورة شاملة ، كما يدخل في نطاقها التمرينات التعويضية التي تهدف إلى إصلاح القوام الناتج عن العادات الخاطئة .

(5 : 74)

- الكفيف : الشخص الذي لا يستطيع أن يجد طريقه دون قيادة من بيئة غير معروفة لديه أو من كانت قدرته على الإبصار عديمة القيمة اقتصادياً أو من كانت قدرة بصره من الضعف بحيث يعجز عن مراجعة عمله العادي .

(12 – 125)

- التمرينات البنائية الزوجية : هذا النوع من التمرينات يتركز العمل فيه على المجموعات العضلية الكبيرة (الذراعين – الجذع – الرجلين) مع الزميلة حيث تؤدي إلى نمو الجسم نمواً متزاناً ، كما تعمل على تشكيل أجزاء الجسم تشكياً يؤدي إلى اتخاذ أوضاع سليمة تكسب القوام الجيد والقامة المعتدلة .

(6 : 157)

أهداف البحث :

1. وضع مجموعتي التمرينات البنائية الزوجية والفردية .
2. دراسة تأثير التمرينات البنائية الزوجية على تقوية الذراعين ومنطقة الكتف والجذع ومرونتها للطلبات المكفوفات في جمعية الكفيف – بينغازي .
3. دراسة تأثير التمرينات الفردية على تقوية الذراعين ومنطقة الكتف والجذع ومرونتها للطلبات المكفوفات في جمعية الكفيف – بينغازي .
4. أيهما أكثر تأثيراً التمرينات البنائية الزوجية أم الفردية على تقوية الذراعين ومنطقة الكتف والجذع ومرونتها للطلبات المكفوفات في جمعية الكفيف – بينغازي .

فروض البحث :

1. تؤدي التمرينات البنائية " الزوجية " إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسات القلبية والبعدية لمجموعة الطالبات المنفذ عليهن التمرينات البنائية الزوجية في قياسات القوة والمرونة لمنطقة الكتفين والجذع لصالح القياسات البعدية .
2. تؤدي التمرينات البنائية " الفردية " إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسات القلبية والبعدية لمجموعة الطالبات المنفذ عليهن التمرينات البنائية الفردية في قياسات القوة والمرونة لمنطقة الكتفين والجذع لصالح القياسات البعدية .
3. تؤدي مجموعتا التمرينات البنائية الزوجية والفردية إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في القياسات البعدية بين مجموعتي الطالبات في قياسات القوة والمرونة لمنطقة الكتفين والجذع لصالح مجموعة التمرينات البنائية الزوجية .

إجراءات البحث :

أولاً : الدراسة الاستطلاعية :

أجريت الدراسة الاستطلاعية في الفترة من 25 – 11 إلى 27 – 11 – 1999 م

حيث تمت الإنجازات التالية : -

1. قدمت الباحثة للمسؤولين فى جمعية الكفيف رسالة رسمية من كلية الآداب والتربية وهى مقر عمل الباحثة حيث إنها عضو هيئة تدريس فى قسم علوم التربية البدنية ، وذلك لأخذ الموافقة على تنفيذ تجربة البحث رسمياً داخل جمعية الكفيف فى بنغازى .
2. تم حصر عدد الطالبات اللاتي تتراوح أعمارهن من 14 - 20 سنة كان عددهن ست عشرة طالبة (16) فى القسم الداخلى داخل الجمعية .
3. تم تحديد مجموعة التمرينات البنائية الزوجية ، والفردية التى سوف تنفذ على الطالبات بعد الاطلاع على المراجع العلمية المتخصصة .
4. تم عرض مجموعة التمرينات المختارة على الخبراء فى مجال التمرينات ، وبعض الخبراء الذين تعاملوا مع تلك الفئات الخاصة ، وذلك بهدف التحقق من مدى ملاءمتها للغرض الموضوع من أجله " صدق التمرينات " .
5. تحديد المكان الذى سيجرى فيه تنفيذ إجراءات البحث من قياس الاختبارات وتنفيذ التمرينات المختارة .

نتائج الدراسة الاستطلاعية :

- أ- أسفرت نتائج الدراسة الاستطلاعية على موافقة جمعية الكفيف لإجراء البحث التجريبي على الطالبات فى القسم الداخلى بهدف الاستفادة العلمية لهن .
- ب- حذفت الباحثة بعض التمرينات البنائية الزوجية ، والفردية وأضافت تمرينات أخرى بناءً على رأى الخبراء فى مجال التمرينات بما يتلاءم مع تلك الفئة الخاصة ومعلوم انه كان ضمن الخبراء المتخصصين لرياضة المعوقين .

مرفق (2)

جـ - قامت الباحثة بتحديد مكان إجراء الاختبارات وتنفيذ التمرينات البنائية بصالة النشاط المتنوع داخل جمعية الكفيف بما يضمن سلامة الطالبات .

ثانيا : الدراسة الأساسية :

1. المنهج المستخدم : استخدمت الباحثة المنهج التجريبي لتتاسبه وطبيعة تلك الدراسة .
2. عينة البحث : تم اختيار العينة بالطريقة العمدية من الطالبات المكفوفات فى القسم الداخلى فى جمعية الكفيف وعددهن ست عشرة طالبة (16) ، وكان متوسط أعمارهن (17.19) وأطوالهن (154.75) ، وأوزانهن (56.88) فى العام الدراسى 1999 / 2000 ، وقسمت مجموعة عشوائيا إلى مجموعتين تجريبيتين .
3. التصميم التجريبي للبحث : يتمثل فى التجربة القليلة البعدية ، باستخدام مجموعتين تجريبيتين " الأولى ينفذ عليهن مجموعة تمرينات بنائية زوجية ، والثانية ينفذ عليهن مجموعة من التمرينات البنائية الفردية .
4. الأدوات والأجهزة المستخدمة : ساعة إيقاف - قائم مدرج بالسنتيمتر عموديا على الأرض بحيث يكون صفر التدرج موازيا للأرض ، وملحق بالقائم عارضة صغيرة

موازية للأرضية وقابله للحركة على الحامل لأعلى ولأسفل – مسطرة – شريط قياس بالسنتيمتر – ميزان طبي معايير – مسجل لأداء التمرينات على الموسيقى .
5. إجراء القياسات القبلية : تم إجراء القياسات القبلية في الفترة من 17 / 1 / 2000 إلى 22 / 1 / 2000 وقد تضمنت الآتي : –

- السن .
- الوزن .
- الطول .
- اختبار مرونة الكتفين .
- اختبار ثني الجذع إلى الخلف من الوقوف .
- اختبار ثني الذراعين من الانبطاح المائل (بنات) .
- اختبار الجلوس من الرقود قرفصاء .
- اختبار ثني الجذع من الوقوف (8 : 343) (9 : 350 : 351) (10 : 270)
(وصف أداء كل اختبار ، وتوجيهاته ، وطريقة التسجيل بمرفات البحث .

مرفق (3)

وبعد تنفيذ الاختبارات السابقة على الطالبات تم التكافؤ بين المجموعتين التجريبتين في متغيرات البحث المقاسة والجدول التالي يوضح تلك التكافؤات .

جدول (1)
التكافؤ بين المجموعتين التجريبتين
في القياسات القبلية لتغيرات البحث

مستوى الدلالة	قيمة (ت)		الفرق بين القياسين	المجموعة التجريبية الثانية ن : (8)		المجموعة التجريبية الأولى ن (8)		المعالجات الإحصائية المتغيرات
	المحسوبة	الجدولية (0.05)		س	±ع	س	±ع	
غير دال	1.04		1.12	2.00	16.63	2.05	17.75	السن
غير دال	0.44-		2.50-	9.71	58.13	11.39	55.63	الوزن
غير دال	0.71		2.00	4.38	153.75	6.02	155.75	الطول
غير دال	1.14-		2.63-	3.55	16.88	4.94	14.25	اختبار مرونة المنكبذين
غير دال	1.23		03.0-	3.90	39.25	5.15	36.25	اختبار ثني الجذع إلى الخلف من الوقوف
غير دال	0.82	2.14	4.62	9.29	22.63	10.30	27.250	اختبار ثني الذراعين من الانبطاح المائل (بنات)
غير دال	0.91		1.5-	3.16	11.38	3.02	9.875	اختبار الجلوس من الرقود قرقصاء
غير دال	0.20		0.75-	7.01	2.25	6.76	1.5	اختبار ثني الجذع من الوقوف

يبين الجدول السابق عدم ظهور أى دلالة إحصائية لجميع متغيرات البحث ، هذا مما يدل على تكافؤ المجموعتين التجريبتين حيث أظهرت النتائج الإحصائية أن قيمة (ت) المحسوبة أقل من قيمة " ت " الجدولية عند مستوى دلالة " 0.05 " .

6 - إعداد البرنامجين :

لإعداد البرنامجين المقترحين الخاصين بمجموعة التمرينات البنائية الزوجية والفردية تم اتباع الخطوات التالية :

أ- اطلعت الباحثة على المراجع المتخصصه فى التمرينات بهدف تحديد التمرينات المناسبة مع المرحلة السنية المختارة بالبحث ، إضافة إلى تناسبها مع ذوى الفئات الخاصة .

ب - تحديد أهداف البرنامجين المقترحين ومعاييرهما ومحتواهما الزوجية والفردية التى تتضمن الآتى :-

أولاً : أهداف البرنامجين :

1. يسهم البرنامجان المقترحان للتمرينات البنائية الزوجية ، والفردية فى مرونة المنكبين والعمود الفقرى .
2. يسهم البرنامجان المقترحان للتمرينات البنائية الزوجية والفردية فى تقوية عضلات الذراعين والجذع .
3. يسهم البرنامجان المقترحان فى الحد من تحذب فقرات العمود الفقرى وضعفه الناتج عن الخوف من الاصطدام أو السقوط على الأرض نتيجة الإعاقة .

ثانياً : معايير البرنامجين المقترحين :

1. يعمل البرنامجان بقدر الإمكان على تحقيق الأهداف الموضوعه من أجلها .
2. تناسب البرنامجين المقترحين للتمرينات البنائية الزوجية ، والفردية مع استعدادات الفئة الخاصة وقدراتها " مكفوفى البصر " .
3. يمكن أن يؤدى التمرينات فى القاعات المغلقة أو فى الهواء الطلق .
4. يتسم البرنامجان المقترحان بالمرونة بمعنى أنه ممكن إدخال بعض التعديلات إذا لزم الأمر وهذا هام جداً بالنسبة للمجموعة ذات الفئات الخاصة .

ثالثاً : محتوى البرنامجين :

طبقاً للأهداف والمعايير السابقة تضمن البرنامجان مجموعة من التمرينات البنائية الزوجية والفردية المناسبة لتحقيق الغرض ، مع تمرينات للتحمية والاتقاء مع رسم لبعض التمرينات المنفذة .

المرفقان (4) ، (5)

7 - تنفيذ التجربة :

تم تنفيذ برنامجي التمرينات البنائية الزوجية ، والفردية على الطالبات المكفوفات فى جمعية الكفيف فى بنغازى فى الفترة من 24 / 1 / 2000 ، بواقع ثلاث مرات أسبوعياً ، ولمدة شهرين كاملين ، وزمن الوحدة التدريبية " 60 دقيقة ، وقد احتوت الوحدة التدريبية

فى كل مرة على الأساسيات التالية : تمرينات تحمية وارتقاء وهما متماثلان للمجوعتين ، أما تمرينات الجزء الأساسى فتميزت كل مجموعة فى أسلوب الأداء عن الأخرى فقد تميزت المجموعة التجريبية الأولى بالأداء للتمرينات البنائية الزوجية ، بينما نفذت المجموعة التجريبية الثانية أداء التمرينات البنائية الفردية .

8 – إجراء القياسات البعدية :

أجريت القياسات البعدية فى المكان نفسه الذى أجريت فيه القياسات القبلية وبنفس شروط تطبيق كل اختبار فى الأيام التى احتوت على التواريخ الآتية : 27 / 3 ، 29 / 3 ، 1 / 4 / 2000 م .

9 – المعالجات الإحصائية :

- تم تفرغ البيانات ومعالجتها إحصائياً باستخدام :
- أ – المتوسط الحسابى .
- ب – الانحراف المعيارى .
- ج – اختبار (ت) الفروق (4 : 294 ، 327) .

10 – عرض النتائج ومناقشتها :

جدول (2)

الفروق بين متوسطات القياسيه

القبلي والبعدي لاختبارات البحث المقاسة للمجموعة التجريبية الأولى

مستوى الدالة	قيمة (ت)		مجموع ف ²	الفرق بين متوسطي القياسين (م ف)	القياس البعدي		القياس القبلي		المعاملات الإحصائية
	الجدولية (0.05)	المحسوبة			±ع	س	±ع	س	الاختبارات المقاسة
دال		11.58	148.8752	18.88-	6.57	33.13	4.94	14.25	اختبار مرونة المنكبين
دال	2.36	5.19	608.87501	17.125-	9.62	53.375	5.15	36.25	اختبار ثني الجذع إلى الخلف من الوقوف
دال		2.43	24546.875	50.875-	57.52	78.125	10.30	27.250	اختبار ثني الزراعين من الانبطاح
دال		6.85	21.5	4.25-	3.30	14.125	3.02	9.875	المائل (بنات) اختبار الجلوس من الوقوف
دال		4.04	386.39063	10.625-	4.91	12.125	6.76	1.5	فرق صاه اختبار ثني الجذع من الوقوف

يوضح الجدول رقم (2) ظهور فروق دالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين جميع القياسات القبلي والبعدي للمجموعة التجريبية الأولى (المجموعة التي نفذت عليها التمرينات البنائية الزوجية) لصالح القياسات البعدي .

جدول (3)
الفروق بين متوسطات القياس
القبلي والبعدي لاختبارات البحث المقاسة للمجموعة التجريبية الثانية

مستوى الدالة	قيمة (ت)		م ج ح ف ²	الفرق بين متوسطي القياسين (م ف)	القياس البعدي		القياس القبلي		المعالجات الإحصائية الاختبارات المقاسة
	الجدولية (0.05)	المحسوبة			±ع	س	±ع	س	
دال		5.61	1101.8752	2487-	10.26	41.75	3.55	16.88	اختبار مرونة المنكبين
دال	2.36	6.79	372	17.5-	9.90	56.75	3.90	39.25	اختبار شى الجذع إلى الخلف من الوقوف
دال		3.55	4862.8752	33.12-	22.94	55.75	9.29	22.63	اختبار ثنى الذراعين من الإسقاط المائل (بنات)
دال		3.47	20.8752	2.12-	3.81	13.5	3.16	11.38	اختبار الجلوس من الرقود فرفصاه
دال		5.29	364	13.5-	5.95	15.75	7.01	2.25	اختبار الحركية (الجذع+العضلات الخلفية للذراع)

يشير الجدول رقم (3) إلى وجود فرق ذو إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين القياسات القبلي والبعدي للاختبارات المقاسة في البحث للمجموعة التجريبية الثانية (المجموعة التي نفذت عليها التمرينات البنائية الفردية) لصالح القياسات البعدية .

جدول (4)
الفروق بين المجموعتين التجريبيتين
في القياسات البعدية

مستوى الدلالة	قيمة (ت)		الفرق بين متوسطي القياسين	المجموعة التجريبية الثانية ن : (8)		المجموعة التجريبية الأولى ن (8)		المعالجات الإحصائية الاختبارات المقيدة
	الجدولية (0.05)	المحصوبة		±ع	س2	±ع	س1	
غير دال		1.88-	8.62-	10.26	41.75	6.57	33.13	اختبار مرونة المتنكبين
غير دال		0.647-	3.375-	9.90	56.75	9.62	53.375	اختبار ثني الشدع إلى الخلف من الوقوف
غير دال		0.739	22.375	22.94	55.75	57.52	78.125	اختبار ثني الذراعين من الاستطاح المائل (بنات)
غير دال		0.327	0.625	3.81	13.50	3.30	14.125	اختبار الجلوس من الرقود فرصاه
غير دال		1.241	3.625-	5.95	15.75	4.91	12.125	اختبار لقياس المرونة الحركية (الشدع + العضلات الخلفية للخذ)

يبين جدول (4) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (0.05) بين القياسات البعدية للمجموعة التجريبية الأولى والقياسات البعدية للمجموعة التجريبية الثانية الخاصة باختبارات الموضحة بالجدول السابق .

ثانيا : - مناقشة النتائج :

أ - تأثير برنامجي التمرينات البنائية الزوجية والفردية على المجموعتين التجريبيتين " الطالبات المكفوفات " .

من خلال المعالجات الإحصائية التي عرضت بالجدولين (2 ، 3) أشارت النتائج إلى أنه قد طرأ تحسن في جميع المتوسطات ، وباختبار دلالتها الإحصائية وجدت فروق معنوية عند مستوى دلالة (0.05) بين القياسات القبليّة والبعدية لجميع الاختبارات المقيسة والمنفذة على عينة البحث ، حيث بلغت قيمة (ت) المحسوبة لاختبار مرونة المنكبين ، وقوة الذراعين للمجموعة التجريبية الأولى " أي المجموعة التي نفذ عليها برنامج التمرينات البنائية الزوجية ، هي (11.58) ، (2.43) على التوالي ، بينما كانت قيمة (ت) المحسوبة لنفس الاختبارين السابقين للمجموعة التجريبية الثانية أي المجموعة التي نفذ عليها برنامج التمرينات البنائية الفردية ، (5.61) ، (3.55) .

هذا مما يدل على فاعلية تأثير مجموعة التمرينات البنائية الزوجية والفردية معا الخاصة بمرونة المنكبين وقوة الذراعين على مجموعتي البحث التجريبيتين ، فالتمرينات المختارة كانت تهدف وتعمل على قوة الذراعين ومرونة المنكبين وزيادة مطايطتها .

كما أظهرت النتائج أيضا وجود دلالة إحصائية بين القياسات القبليّة ، والبعدية لاختبارات ثني الجذع إلى الخلف من الوقوف ، واختبار الجلوس من الرقود ، وثني الجذع من الوقوف حيث كانت قيمة (ت) المحسوبة للمجموعتين التجريبيتين أكبر من قيمة (ت) الجدولية ، فهذه النتيجة الايجابية تدل على تأثير التمرينات البنائية " الزوجية " الزوجية ، الفردية " المختارة على عينة البحث ، وتتفق هذه النتيجة مع ما ذكرته " عطيات خطاب " و ليلي زهران " فإن التمرينات البنائية الزوجية ، والفردية تعمل على إكساب عضلات الجسم القوة والمرونة والتحمل والرشاقة كما أنها تهدف أيضا إلى تحسين القوام وإصلاح العيوب الجسمانية (5 : 87) ، (6 : 157) وبهذا التأيد قد كان كل من العرض الأول والثاني بالبحث .

ب - مقارنة تأثير التمرينات البنائية الزوجية والتمرينات البنائية الفردية :

اتضح من الجدول (4) أنه لا توجد أي دلالة إحصائية بين متوسطات القياسات البعدية للمجموعتين التجريبيتين لجميع الاختبارات المدونة بالجدول ، ولكن أشارت النتائج أنه قد ظهر تحسن في متوسطات الاختبارات (ثني الذراعين من الانبطاح المائل ، واختبار الجلوس من الرقود قرقصاء) بالنسبة للمجموعة التجريبية الأولى التي نفذ عليها برنامج التمرينات البنائية الزوجية ، وباختبار دلالتها الإحصائية لم توجد أي فروق معنوية ، وترجى الباحثة هذه النتيجة لتعادل التأثير لكل من التمرينات البنائية الزوجية والفردية " على أفراد العينة على الرغم أنه بالنسبة للتمرينات الزوجية تستخدم الزميلة تقلا لزيادة شدة التمرين بدلا من استخدام الأدوات اليدوية ، كما أنها تتميز بعامل التشويق والمنافسة الأمر الذي يساعد على إبعاد الملل والقدرة على تحمل المزيد من عبء العمل (5 : 105) وبناء على قراءات الباحثة في المراجع العلمية المتخصصة في مجال التمرينات ومدى أهمية

التمرينات الزوجية ، افترضت الباحثة أن التمرينات البنائية الزوجية أكثر تأثيراً وفاعلية على عضلات الجسم ومفاصله من التمرينات البنائية الفردية ، ولكن لم تظهر فروق بينهما وبالتالي لم يتحقق الفرض الثالث ، إضافة إلى ذلك قد تعرضت الباحثة أثناء تنفيذها للبرنامج لعدد من الأسئلة من أفراد العينة التي نفذت عليها التمرينات التمرينات البنائية الفردية منها : لماذا نحن ندرس هذه التمرينات الفردية والمجموعة الأخرى تدرس تمرينات أفضل من التمرينات التي نمارسها ؟ هذا دليل على عامل المنافسة والتشويق بالنسبة للتمرينات البنائية الزوجية ، وعلى الرغم من تميزها على التمرينات البنائية الفردية في بعض الأشياء كعامل التشويق والمنافسة وعدم الملل ، وشدة التمرين إلا أنها يعتبران وسيلتين من الوسائل المهمة التي تحقق الكثير من الأغراض ... فهما يستخدمان بغرض بناء الجسم وتشكيله (14 : 7) .

10 - الاستنتاجات والتوصيات :

- من منطلق عرض النتائج ومناقشتها تم استخلاص الاستنتاجات التالية : -
 أ - برنامجا التمرينات البنائية الزوجية والفردية أثرا تأثيرا فعالا على مرونة المنكبين والعمود الفقري وقوة عضلات الذراعين والجذع .
 ب - تعادل تأثير برنامجي التمرينات البنائية الزوجية ، والفردية لكننا المجموعتين التجريبيتين على مرونة المنكبين والعمود الفقري وقوة عضلات الذراعين والجذع .
 التوصيات :

- في حدود عينة البحث وفي ضوء نتائجه يمكن مراعاة التوصيات التالية :
 أ - يوضع برنامجا تمرينات بنائية زوجية ، وفردية محل التنفيذ للمقيمين في القسم الداخلي في جمعية الكفيف .
 ب - تشجيع الطالبات في القسم الداخلي في جمعية الكفيف على ممارسة التمرينات البنائية ، سواء اكانت زوجية أم فردية لما لهما من أثر فعال على قوامهن .
 ج - توصي الباحثة المسؤولين في جمعية الكفيف بضرورة تعيين اختصاصية رياضية للإشراف على تنفيذ برامج رياضية للمقيمين في القسم الداخلي بخاصة التمرينات مع توفير الامكانيات اللازمة لذلك .
 د - القيام بأبحاث متنوعة للتمرينات للمراحل السنية المختلفة لمعرفة اثرها على النواحي الاجتماعية والنفسية للفئات الخاصة في المجتمع .

المراجع

1. أمين أنور الخولى ، أسامة كامل راتب ، مراجعة وتقديم محمد حسن علاوى :
التربية الحركية للطفل ، ط 2 ، دار الفكر العربى - القاهرة - 1982 م .
2. ج ، كيرك هورتون : إرشادات فى التربية الخاصة - تعليم التلاميذ المعوقين
بصريا فى مدارس عادية - تايلاند - مؤسسة هيلين كيلر الدولية - اليونسكو - 1988 م .
3. حياة عياد روفائيل ، صفاء صفاء الدين الخربوطلى : اللياقة القوامية والتدليك
الرياضى - منشأة المعارف - الإسكندرية (بدون) .
4. رمزية الغربى : التقويم والقياس النفسى و0التربوى ، مكتبة الانجلو المصرية -
القاهرة - 1988 م .
5. عطيات محمد خطاب : التمرينات للبنات - دار المعارف القاهرة - 1987 م .
6. ليلى زهران : التمرينات الفنية والإيقاعية " الأسس العلمية والتطبيقية " - دار الفكر
العربى - القاهرة - 1997 م .
7. محمد حسن أبو عبيدة : المؤتمر العلمى الخامس لدراسات وبحوث التربية الرياضية
- كلية التربية الرياضية للبنين - ابريل - الإسكندرية - 1987 م .
8. محمد حسن علاوى ، محمد نصر الدين رضوان : اختبارات الأداء الحركى - ط3
- دار الفكر العربى - القاهرة - 1994 م .
9. محمد صبحى حسنين : القياس والتقويم فى التربية البدنية والرياضة . ط 4 . دار
الفكر العربى . القاهرة 1999 م .
10. _____ : القياس والتقويم فى التربية البدنية والرياضة . ط 3 - دار الفكر
العربى - القاهرة - 1996 م .
11. محمد على سعود : جمعية الكفيف - جذور وأفاق - دار الكتب الوطنية - بنغازى
- ليبيا - 1998 م .
12. مروان عبد المجيد إبراهيم : الألعاب الرياضية للمعوقين . ط 1 . دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع - عمان - الأردن - 1997 م .
13. _____ : الألعاب الرياضية للمعوقين - كتاب منهجى لطلبة كليات التربية
الرياضية - مطبعة دار الحكمة - جامعة البصرة - العراق - 1992 م .
14. Fran . Ryan : Gymnastics for girls, Penguin Handbooks Published by the
Viking press New York (in series,) 1997.
15. JANE . FONDA'S : Workout Book Reprinted in great , Britain by allen
lane 1983 (Twice) .

الرضا الوظيفى - مفهومه وطرق قياسه

رمضان سعد كريم

• محاضر مساعد: بقسم التخطيط التربوى والإدارة التعليمية،

كلية الآداب / جامعة قاريونس.

بدأ الاهتمام بدراسة الرضا الوظيفى، منذ وقت مبكر ربما يعود إلى ظهور حركة العلاقات الإنسانية، فى نهاية العشرينيات من القرن الماضى.

فالرضا الوظيفى يعد من المتغيرات التنظيمية المهمة، التى تناولتها دراسات متعددة، بالبحث والتحليل. وقد هدفت هذه الدراسات جميعها، إلى تحديد العوامل التى تجعل من الفرد راضياً فى وظيفته، حيث اتضح جلياً أن الاستياء يودى إلى انتشار المشاعر السلبية فى المنظمة، التى تسبب فى انهيارها، وعدم قدرتها على البقاء، ومن أمثلة هذه المشاعر، تأخر العاملين، وغيابهم عن العمل، وكثرة مشكلاتهم، وعرقلة جهود غيرهم، وانخفاض أدائهم، وإعلانهم عن رغبتهم فى ترك المنظمة.

وقد شاع الحديث بين الأفراد فى المنظمات المعاصرة، عن الوظائف التى يزاولونها، فكثيراً ما يتحدث هؤلاء عن خصائص العمل المناسب، وإمكانياته، والطرق المثلى لأدائه، هذا فضلاً عن حديثهم عن العلاقات السائدة فى محيط العمل ومناخه، ودرجة ارتباط بعضهم ببعض من ناحية، وبرؤسائهم المباشرين وغير المباشرين من ناحية أخرى.

فإذا كانت إمكانيات أداء العمل متوافرة بدرجة كافية، بحيث توفر للعاملين المعلومات اللازمة لشروط وطرق الأداء الجيد، وإذا كانت لوائح ونظم العمل تجزئ العاملين المتميزين، على نحو يمكن المسؤولين من تحسين علاقات العمل، وإشباع حاجات العاملين عبر هؤلاء عن مشاعرهم نحو وظائفهم بقولهم نحن.. راضون عن وظائفنا، وإذا كانت المتغيرات التنظيمية، ومتغيرات خصائص العمل تسير فى اتجاه لا يخدم مصالح العاملين، عبروا عن مشاعرهم بالاستياء. وعدم الرضا عن وظائفهم.

مفهوم الرضا الوظيفى :

عند التعرض لموضوع الرضا الوظيفى يجب التنويه إلى صعوبة تحديد هذا المفهوم. ويعد اختلاف وجهات نظر الباحثين حوله، دليلاً واضحاً على ذلك.

لقد أشار (عبد الخالق 1982) إلى صعوبة توضيح معنى مصطلح رضا أو عدم رضا الفرد عن مظاهر وظيفته، فى الوقت الذى ركز فيه البعض على ضرورة إشباع حاجات العاملين، لتحقيق الرضا الوظيفى، اهتم البعض الآخر من الباحثين بالنواحي الاجتماعية

والعلاقات الإنسانية السائدة فى المنظمة بوصفها من الجوانب الأساسية المحققة للرضا عن الوظيفة.

وهناك من يرى أن الرضا الوظيفى ما هو إلا محصلة لتوافق الفرد فى محيط العمل، الذى يكون فى الغالب راجعاً لجملة من المتغيرات والعوامل والسمات الشخصية المتكاملة. (1) وبناء على ماتقدم ساد كثير من الخلط فى الكتب والمقالات الإدارية، بين هذا المفهوم ومفاهيم سلوكية أخرى، وذلك منذ أن أجرى هوبك 193 Hoppck دراسته المتعلقة بهذا الموضوع. وقد بذلت محاولات بحثية ناجحة، هدفت إلى تحديد مفهوم الرضا الوظيفى تحديداً، علمياً بالاستناد إلى النظريات التى حاولت تفسير دوافع السلوك البشرى فى المنظمات. حيث يرى (العدوان والفاعورى 1995) أن هذا المفهوم يمكن تحديده من خلال الأبعاد الثلاثة التالية: (2)

البعد الأول: مفهوم الرضا الوظيفى بوصفه استجابة شعورية لظروف العمل. لقد نما هذا المفهوم فى ظل النظرية التقليدية التى من أهم روادها ماكس ووبر (Max weber 1947) و ميرتن (Merton) واتباع المدرسة البيروقراطية من أمثال بن بوارث (Ben Boart) و ثومبسون (Thompson 1967)، وبيرو (Perrow 1978) حيث تم تأكيد علاقة الفرد بالمنظمة، التى يتم تدعيمها فى ضوء ظروف العمل، فالفرد الذى يعمل على تحقيق أهداف المنظمة، يحقق فى الوقت ذاته منافع شخصية، من شأنها أن تعمل على تحقيق رضاه عن وظيفته.

ويعد العامل الاقتصادى، وفقاً لهذا البعد المسؤول الأول عن الرضا الوظيفى، لذلك فإن درجة الاستفادة من المزايا التنظيمية المادية وغير المادية، يجب أن تكون مشروطة باستعداد الأفراد ورغبتهم فى تعديل سلوكهم ونواحي تصرفاتهم، وطرق تفكيرهم بما يخدم مصالح المنظمة ويحقق أهدافها.

البعد الثانى: مفهوم الرضا الوظيفى بوصفه استجابة شعورية تتحدد بتوقعات الأداء، واستجاباتها لحاجات الأفراد.

ويرتبط هذا البعد بنظرية العاملين (Tow-Factor Theory) التى وضعها عالم

(1) عبد الخالق ، ناصف: الرضا الوظيفى وأثره على إنتاجية العمل . مجلة العلوم الاجتماعية، السنة العاشرة، العدد الثالث، 1982.

(2) العدوان، ياسر . الناعورى، رفعت " الرضا عن العمل لدى المشرفين الإداريين فى جامعة اليرموك". مجلة أبحاث اليرموك سلسلة " العلوم الإنسانية والاجتماعية"، المجلد الحادى عشر، العدد الرابع ، 1995.

السلوك هيرزبرج (Herzberg) حيث أكدت هذه النظرية ارتباط الرضا الوظيفي، بالعوامل المتعلقة بطبيعة العمل ومضمونه، أما الاستياء ، فيرتبط بالعوامل المتعلقة ببيئة العمل.

وتجدر الإشارة إلى وجود اختلافات بين الباحثين في تحديد العوامل المسببة والباعثة على الرضا الوظيفي، وقد أشار (عاشور 1983) إلى هذا الاختلاف، ففي الوقت الذي أكد فيه لولر وبورثر (Louler and Porter 1962) أهمية العلاقة الإيجابية بين الإنجاز والمكافأة لتحقيق الرضا الوظيفي، أعطى (الدرفير (Alderfer 1967) أهمية خاصة للنمو الشخصي والحاجة للانتماء باعتبارها خصائص وحاجات ضرورية تسهم في تحقيق رضا الأفراد عن وظائفهم.

فضلاً عن ذلك توصل فروم (Vroom 1968) إلى استنتاج مؤداه، أن العلاقة بين الرضا والدافعية للأداء توجد في الحالات التي يحصل الأفراد من خلالها على مزايا ومنافع ملموسة نظير مستوى الأداء الذي يحققونه، أي أن هذه العلاقة إن وجدت فهي شرطية، فالارتباط بين الدافعية للأداء والرضا عن الوظيفة مشروطة بوجود نظام يربط بين الأداء والحصول على العوائد والمزايا الشخصية والتنظيمية (3) .

البعد الثالث: مفهوم الرضا بوصفه استجابة لعوامل متعددة ومركبة.

لقد تطور هذا المفهوم وفقاً لهذا البعد، من شعور يحمله الفرد نحو وظيفته، إلى نظرة شاملة متعددة لعوامل الشعور نحو الوظيفة، وحدد سميث وكندال وهولن (Smith, Kendal and Hulin 1969) هذه العوامل في طبيعة العمل والراتب والإشراف، والتقدم الوظيفي والعلاقة مع الزملاء.

ويتضح مما تقدم أن مفهوم الرضا الوظيفي، يعد مفهوماً معقداً للغاية، وقد يرجع سبب ذلك لتعدد المتغيرات الشخصية والتنظيمية والبيئية وتداخلها، التي تسهم في تشكيل مستوى رضا الأفراد عن الوظائف التي يزاولونها وتحديده، ويمكن تأكيد مصطلح الرضا الوظيفي يطلق على الحالة التي يتكامل فيها الفرد مع وظيفته فيصبح متفاعلاً مع الوظيفة التي يشغلها، من خلال طموحه، ورغبته في التقدم، وتحقيق شخصيته المتميزة، وهو بذلك يحقق منفعه الشخصية، ويشبع حاجاته المختلفة، من ناحية، ويعمل بجدية على تحقيق أهداف المنظمة التي يعمل بها من ناحية أخرى .

(3) عاشور، أحمد صقر. إدارة القوى العاملة. الأسس السلوكية وأدوات البحث التطبيقي. بيروت: دار النهضة العربية ، 1983.

طرق قياس الرضا الوظيفي :

نظراً لأهمية شعور العاملين بالرضا عن وظائفهم، كان من الضروري أن تتخذ المنظمة جملة من الإجراءات والسياسات اللازمة للكشف عن مستوى الرضا الوظيفي للعاملين لديها، والمنظمة بذلك تحتاج إلى وسائل خاصة لجمع البيانات التي تكشف عن المستويات الحالية لمشاعر الرضا عن الوظيفة.

وتوجد عدة مؤشرات تدل على مستوى الرضا الوظيفي، يستطيع الباحث ملاحظتها بشكل مباشر أو غير مباشر غير أن هذه الملاحظات قد لا تكون موضوعية نظراً لإحجام العاملين عن توضيح الجوانب السلبية في أعمالهم.

وقد تم بناء العديد من المقاييس التي استهدفت قياس رضا الفرد أو عدم رضاه عن وظيفته، ويحدد (العديلي 1995) هذه المقاييس على النحو التالي: (4)

1. دليل الرضا الوظيفي الذي وضعه بريفيك وروث 1980، واستبيان جامعة مينسوتا (Minnesota satisfaction questionnaire) الذي وضعه ويز وداوز و انجلاند ولوفكوست.

(Wiss, Dawis, England and Iofquist 1969)

2. الدليل الوصفي للوظائف الذي وضعه سميث وكندال وهولن (Smith, Kendal and Hulin 1969)

3. فضلاً عن هذه المقاييس قدم كل من بورثر ولولير (Porter and Lqueler) مقياساً للرضا الوظيفي يتعلق بقياس مستوى الدخل والمكافآت، وتتدرج الإجابة على هذا المقياس وفق خمس درجات هي:

4. أوافق بشدة ، أوافق ، غير مقرر ، غير موافق ، غير موافق إطلاقاً .

لقد أصبح من الضروري الاعتماد على مقاييس أكثر دقة وموضوعية، ذلك لأن الاكتفاء بالملاحظات العابرة، لتحديد ووصف مستوى الرضا الوظيفي للعاملين بالمنظمات، قد يقود الباحث إلى طرح نتائج مضللة وغير واقعية.

ويلحظ أن المقاييس مهما كانت دقتها لا يمكن عدّها، أدوات محايدة تماماً لجمع البيانات، فقد ثبت عملياً، أن مشاعر العاملين تكون إيجابية نحو المنظمة، وأن مستوى الرضا الوظيفي لهؤلاء العاملين يزداد بمجرد أن يطلب منهم المشاركة بإبداء آرائهم من خلال هذه المقاييس، غير أن عدم قيام المنظمة باتخاذ الإجراءات اللازمة لتحسين وتدعيم مستوى

(4) العديلي، ناصر محمد. السلوك الإنساني والتنظيمي منظور كلي مقارنة. الرياض: معهد الإدارة العامة" ، 1995 .

الرضا الوظيفي للعاملين لديها، بعد إجراء هذه الدراسات والقياسات، ينجم عنه انخفاض مستوى الرضا الوظيفي، بدرجة أكبر مما كان عليه، قبل إجراء هذه القياسات.

وقد حدد (عبدالخالق 1982) أهم الطرق المستخدمة في قياس مستوى الرضا الوظيفي للعاملين في الطرق التالية: (5)

1 - طريقة تحليل ظواهر الرضا:

تعد هذه الطريقة من أكثر الطرق شيوعاً في قياس مستوى الرضا الوظيفي، وتتعلق بتحديد جملة من الظواهر ذات الصلة بمشاعر العامل نحو وظيفته، ومن ثم يتسنى للباحث تحليل هذه الظواهر تحليلًا علميًا، ومن أمثلة هذه الظواهر: معدل دوران العمل، والتمارض، والتغيب عن العمل. فقد ثبت أن العامل الذي يظهر درجة عالية من الرضا عن وظيفته يكون غيابه ضئيلاً، كما يظهر استعداداً كبيراً للقيام بواجبات العمل والتفاني في أدائها.

ويرى (فروم Vroom) أن هذا المؤشر يمكن الاعتماد عليه للتنبؤ بدرجة استمرارية العامل في وظيفته أو تركه لها.

2- طريقة هيرزبرج (طريقة القصة) :

تعتمد هذه الطريقة التي وضعها هيرزبرج وآخرون (Herzberg et al) على إجراء مقابلات شخصية مع أفراد العينة، ويطلب منهم ذكر الأوقات التي شعروا فيها بالاستياء، وتلك التي شعروا فيها بالرضا، وأثر ذلك على أدائهم لأعمالهم. ويرى هيرزبرج أن العوامل المسببة للرضا الوظيفي هي عوامل ذاتية تتعلق بقدرة العاملين ومهاراتهم، أما العوامل المسببة للاستياء، فترجع إلى البيئة الداخلية ومحيط العمل، وقد توصل هيرزبرج إلى هذه الاستنتاجات من خلال تطبيق هذه الطريقة على عينة من المحاسبين والمهندسين.

3 - طريقة الاستقصاءات:

وتعتمد هذه الطريقة على استقصاء الأفراد الذين ينوي الباحث معرفة مستوى رضاهم، من خلال نماذج دقيقة شاع استخدامها مع تطور الأساليب الرياضية ومن أمثلة هذه النماذج (نموذج التوقع لفروم ونموذج بورتر) الذي صمم لقياس مستوى الرضا الوظيفي وفقاً لدرجة إشباع الحاجات الفسيولوجية، والأمنية والحاجة للحب والانتماء، والحاجة إلى الاحترام والتقدير، والحاجة إلى تحقيق الذات.

وخلاصة القول إن جميع مقاييس الرضا الوظيفي، تسعى لقياس الفرق بين ما يحصل

عليه الفرد فعلا من خلال مزاولته لوظيفة ما، وبين ما يجب أن يحصل عليه من مزايا وعوائد مادية ووظيفية، فكلما كان الفرق بينهما قليلا، دل ذلك على مستوى مرتفع من مشاعر الرضا عن الوظيفة. وبما أن هذه المشاعر تتأثر بمتغيرات شخصية وتنظيمية، لذلك كان من الضروري على المنظمة أن تعمل على قياس مستوى الرضا الوظيفي للعاملين لديها بشكل دوري، من أجل تدعيم المشاعر الإيجابية نحو الوظيفة والمنظمة على حد سواء.

عرض الكتب

د. ميلاد أ. المقرحي

1 - محاضرات فى تاريخ أوروبا الحديث : عصر النهضة ، تأليف عبدالعزيز عبدالغنى ابراهيم ، (فاليتا - مالطا : منشورات ELGA ، 1999)

تناول المؤلف فى الفصول الثلاثة الأولى من هذا الكتاب عوامل قيام النهضة ، وفى الفصل الأول ناقش عدداً من القضايا المهمة فى التاريخ الأوروبى الحديث مثل الكنيسة والإقطاع ، والاستغلال الدينى وفساد إدارة الكنيسة ، ثم معارضة الكنيسة والإرهاصات الأولى للنهضة . فقد سيطرت الكنيسة على كل مناحى الحياة الانسانية فى أوروبا فى العصور الوسطى ، واستطاعت أن تحافظ على الوضع الاجتماعى القائم أيامئذ ، وبات كل مصلح فى نظرها زنديقا ، ولكن مظالم الكنيسة التى جرّها الإقطاع بعيداً عن خدمة الله والمسيح قد أدت إلى قيام حركات رفض وبدرجات متفاوتة . ومن هنا بدأت حركة الإصلاح الدينى فى أوروبا . وفى الفصل الثانى يناقش المؤلف عوامل ظهور النهضة سيما الاتصال بالحضارة العربية والإسلامية من طريق الأندلس وصقلية ، والحروب الصليبية ، والعلاقات التجارية . وفى الفصل الثالث يركز المؤلف على قيام المدن خاصة فى إيطاليا ودورها فى انبعاث النهضة الأوروبية ، مثل البندقية ، وفلورنسا ، وميلانو ، ونابولى ، وروما ..

أما فى الفصلين الرابع والخامس فقد تناول المؤلف بعض مظاهر النهضة فى إيطاليا ثم فى بعض بلدان أوروبا الغربية : فرنسا ، وألمانيا ، وهولندا ، وبريطانيا .. وركز المؤلف بطبيعة الحال على النهضة الفكرية والفنية فى إيطاليا ، وهنا نجد أن عصر النهضة يبدو بمثابة العتبة التى تفصل الظلمات عن النور وفترة البربرية عن فترة الحضارة ، وفى هذا العصر غدت الحياة قيمة فى حد ذاتها ، فى حين أنها كانت تافهة ولا تساوى شيئاً فى نظر أناس العصور الوسطى ، فقد كانت الحياة الوحيدة التى لها معنى هى الحياة الآخرة ، لا ريب فى أنه هنا يكمن الانقلاب المعنوى الأساسى الذى طرأ بالفعل فى زمن النهضة ، ثم ترسخ أكثر من ذي قبل فى الفترات اللاحقة ، ثم ينتقل المؤلف فى الفصل الأخير إلى مناقشة حركة

الكشوف الجغرافية مركزاً على دوافعها ونتائجها ، ويقول : إن هذه الحركة جاءت نتيجة منطقية للنهضة العلمية والفكرية التي أخذت تسود البلدان الأوروبية المختلفة .. وأخيراً من الواضح أن المؤلف تناول مواضيع كثيرة ومتشعبة ، ومع ذلك فإنه نجح فى التركيز على قضايا تاريخية محددة فى تاريخ أوروبا الحديث وتعمق فى طرحها ومناقشتها ، إن هذا الكتاب جدير بالقراءة والاهتمام والنقد ، ويُعد مساهمة علمية ممتازة قدمها المؤلف إلى المكتبة التاريخية العربية ، فشكراً للمؤلف وللناشر أيضاً ، وصفوة القول إذا قلت إن هذا الكتاب رائع لم أنصفه ، فهو ، فى حقيقة الأمر أكثر من ذلك ..

2 - محاضرات فى تاريخ أوروبا : بين النهضة والثورة الفرنسية ، تأليف عبدالعزيز عبدالغنى إبراهيم ، (فاليثا : منشورات ELGA ، 1997)

تمثل الفترة التى يتناولها هذا الكتاب صلب التاريخ الأوروبى الحديث . فقد شهدت هذه الفترة ظهور حركة الإصلاح الدينى فى أوروبا وما ترتب عليها من أفكار وفلسفات مسيحية مستحدثة أدت إلى نتائج بعيدة الأثر ، وقادت إلى تصدع وحدة الكنيسة الكاثوليكية ، وفى هذا الإطار يكتب المؤلف فى الفصول الثلاثة الأولى عن أصول الفكر البروتستانتي ثم عن محاولات الكنيسة الكاثوليكية لمواجهة البروتستانتية ، كما يتتبع المؤلف نتائج ذلك الصراع وآثاره على المجتمع الأوروبى ، ويلاحظ المؤلف أن رد فعل الكنيسة الكاثوليكية لم يكن فى مستوى التحديات التى كانت تواجهها ، فالإصلاحات الكنيسية أخذت المبادئ القروسطية وسارت عليها ودافعت عنها ومع ذلك فإن تلك الإصلاحات ساعدت الكنيسة على استرداد مكانتها فى إيطاليا وحافظت عليها فى أسبانيا وفرنسا ..

وفى الفصول : الرابع والخامس والسادس يتتبع المؤلف بإيجاز انتشار البروتستانتية فى أوروبا وأثر ذلك فى الملكية المطلقة فى فرنسا ، وفى الإمبراطورية الرومانية المقدسة الآخذة فى التدهار ، ثم فى قيام الدولة القومية الناشئة فى هولندا ، كما تطرق المؤلف إلى الأثر البروتستانتي فى بريطانيا ومن ناحية أخرى لم يهمل المؤلف فى هذا الكتاب المفيد والنافع التطور السياسى لبعض الدول الأوربية ذات الأهمية والتأثير بعد أن تناول فى بعضها أسس التطور الفكرى والتحول الدينى المرتبط به . وفى الفصول الأربعة الأخيرة ناقش المؤلف ظهور دولة روسيا القوية ، وتطور التاريخ الدستورى فى بريطانيا ، وعصر التفوق الفرنسى (أو فرنسا فى عهد لويس الرابع عشر 1661 - 1715) وأخيراً قيام دولة بروسيا القوية فى وسط أوروبا ..

ويحتوى هذا الكتاب على 304 صفحة ولا يشتمل على خاتمة ولا هوامش ، كما أنه لم يحتو على ثبت بأسماء المصادر والمراجع التى استعان بها المؤلف فى إعداد الكتاب وتأليفه . وغنى عن البيان أنه من حق القارئ أن يعرف من أين استقى المؤلف مادة الكتاب التاريخية . ومع ذلك فإن منهجية الكتاب وأسلوبه بلغت درجة لا بأس بها من الاتقان وبشكل عام يعد هذا الكتاب على مستوى جيد من العرض والتحليل وتناول بالدراسة ، كما يقول المؤلف نفسه مساحة جغرافية كبيرة ، ومساحة زمنية أكبر ، ولهذا السبب عمد إلى تحديد المعالم البارزة ، وفى الوقت ذاته التزم بالسياق التاريخي ، وبالرغم من أن الكتاب فى الأصل محاضرات جامعية فهو جدير بالقراءة وفى جملته ممتع وكُتب بأسلوب شيق ، ويعد دراسة تاريخية لتاريخ أوروبا الحديث فى الفترة ما بين النهضة والثورة الفرنسية تستحق التقدير والنقد والاهتمام . وهذا الكتاب من الأفضل أن يقرأ جنباً إلى جنب مع الكتاب الذى صدر للمؤلف فى سنة 1999 عن دار النشر نفسها تحت عنوان : محاضرات فى تاريخ أوروبا الحديث : عصر النهضة ..

3 - تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ، تأليف عبد الفتاح أبو عليّة واسماعيل أحمد ياغى (الرياض : دار المريخ للنشر ، 1993)

يشتمل هذا الكتاب على قسمين كل واحد منهما يحتوى على ثمانية فصول وبالتالي فإن الكتاب يتضمن ستة عشر فصلاً ، يتناول المؤلفان فى الفصول الثمانية الأولى (القسم الأولى) العديد من المواضيع والتطورات التاريخية ذات الأثر الكبير فى تاريخ أوروبا ، ويبدأ بالنهضة الأوروبية بوصفها فترة انتقالية بين العصور الوسطى والعصور الحديثة ، وكانت النهضة مشهداً مدهشاً إذ أخذ الإنسان يفكر خلالها بالأمور الدنيوية أكثر من تفكيره بالحياة بعد الموت أو بالآخرة ، ويبدو أنه من الصعب تحديد عصر النهضة إلا من طريق اتهام العصور الوسطى والخط من قدرها ، والواقع أن مفهوم النهضة فى حد ذاته مفهوم جدالى لأن النهضة لا تأتى إلا بعد فترة انحطاط وعليه ما سبقها كان انحطاطاً . ولكن هذا لا يروق لمحبي العصور الوسطى الذين لا يقبلون بهذه الصورة عن الليل الطويل والمظلم لتلك العصور ولذا فإنهم يشددون على عناصر الاستمرارية والتواصل ، وفى الفصلين الثانى والثالث يتناول المؤلفان حركة الكشف الجغرافية وحركة الإصلاح الدينى ونتائجها على التوالى . وفى الفصلين الرابع والخامس يتناول المؤلفان تاريخ كل من بريطانيا وفرنسا فى القرنين السادس عشر والسابع عشر ثم ينتقل فى الفصلين السادس والسابع فتتاولا مسألة ظهور دولة بروسيا

دولة قوية فى وسط أوروبا وظهور روسيا دولة قوية أخرى فى شرقها ، أما الفصل الثامن فقد خصصه المؤلفان لحرب الاستقلال الأمريكية ومراحلها وبالتالى نشأت الولايات المتحدة الأمريكية دولة قوية مستقلة فى العالم الجديد ، وهو فصل خارج عن نطاق الكتاب .. وفى القسم الثانى من هذا الكتاب يتناول المؤلفان بالدراسة الثورة الفرنسية فى سنة 1789 ف وتطوراتها وامتداداتها فى الفصلين الأول والثانى ، ثم الوحدة الإيطالية والاتحاد الألمانى فى الفصلين الثالث والرابع ، وفى الفصلين الخامس والسادس يناقش المؤلفان تصاعد الأزمات الأوروبية فى الفترة من سنة 1870 إلى سنة 1914 ، ثم الحرب العالمية الأولى 1914 - 1918 مع التركيز على الأسباب غير المباشرة للحرب مثل التنافس الاستعماري ، ونظام المحالفات السرية ونمو الروح العسكرية وغيرها . أما فى الفصلين السابع والثامن فقد تناول المؤلفان التطورات التى طرأت على تاريخ أوروبا المعاصر فى فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم الحرب العالمية الثانية وما ترتب عليها من تطورات أخرى مهمة ..

يحتوى الكتاب أيضا على مقدمة فى صفحة واحدة وتمهيد فى صفحة ونصف ، وعلى قائمة بالمصادر والمراجع الأجنبية والعربية والمعرّبة وهى قائمة متواضعة لم تشتمل على الكثير من المراجع التى نشرت حديثا ، ومن ناحية أخرى لم يتضمن الكتاب خاتمة تلخص ما ورد فى الكتاب من معلومات أو توضح للقارئ النتائج التى توصل إليها المؤلفان ، وهذا يعنى أنه على القارئ قراءة كل الكتاب حتى يستطيع متابعة ما ورد فيه .. ومع ذلك يعتبر هذا الكتاب بشكل عام إسهاماً علمياً قدمه المؤلفان إلى المكتبة التاريخية العربية ، وهو عمل مفيد للطلاب وغيرهم من المهتمين بالتاريخ ودراسته وفهمه لاسيما أن تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر يعد محوراً من المحاور الرئيسية فى دراسة تاريخ العالم فى العصر الحديث كما يلاحظ المؤلفان فى مقدمة الكتاب ..

4 - دراسة فى التاريخ الأوروبي والأمريكى الحديث ، تأليف : عمر عبد العزيز عمر ، (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1992)

يحتوى هذا الكتاب على 423 صفحة وخمسة عشر فصلاً وملحقين فقط ، ولا توجد به خاتمة ولا مقدمة ، كما تنقصه الهوامش وثبت بأسماء المصادر والمراجع التى استعان بها المؤلف فى إعداد الكتاب . ويبدو أن الكتاب مجرد مذكرات جامعية غير مصقولة قدمها المؤلف لدار المعرفة الجامعية بالإسكندرية فظهرت فى شكل كتاب . قُسم الكتاب إلى قسمين : معالم التاريخ الأوروبي الحديث ومعالم التاريخ الأمريكى الحديث ، تناول المؤلف فى الفصل

الأول من القسم الأول من الكتاب عصر النهضة الأوروبية فى إيطاليا ، وفرنسا ، وبريطانيا وأسبانيا وهو هنا لم يأت بجديد بل كرر معلومات تاريخية معروفة جيداً تلقى عادة محاضرات على طلاب أقسام التاريخ فى المعاهد العليا والجامعات ، ولكن فى الفصل الثانى يتناول المؤلف التكوين السياسى لأوروبا ونشأة الدول القومية الحديثة فى بداية القرن السادس عشر ولاسيما فى بريطانيا ، وفرنسا وأسبانيا ، وهذا موضوع مهم فى تاريخ أوروبا الحديث . ثم يناقش فى الفصل الثالث حركة الكشف الجغرافية الأوروبية وما ترتب على ذلك من آثار ونتائج . وفى الفصل الرابع يتناول الحروب الإيطالية أو التنافس الدولى بين أسبانيا وفرنسا فى شبه الجزيرة الإيطالية فى الفترة من سنة 1494 إلى سنة 1559 وهو موضوع رتيب وممل ..

أما الفصول الخامس والسادس والسابع والثامن والتاسع فموضوعها الأساسى هو حركة الإصلاح الدينى وانتشارها فى أوروبا وما ترتب على ذلك من نتائج وآثار بما فى ذلك حرب الثلاثين عاما ، وهنا أيضا لم يأت المؤلف بجديد حتى فى مجال الشرح والتحليل . وفى الفصل العاشر يستعرض المؤلف تاريخ فرنسا فى عهد لويس الرابع عشر 1661 - 1715 ، ويناقش الملكية الفرنسية المطلقة التى بالرغم من أنها ظهرت بمظهر القوة فإنها - من ناحية أخرى فقدت هيبتها فى أواخر القرن الثامن عشر بسبب مساوئ الملوك الأشرار واستبدادهم ، وكثرة الحروب التى استنزفت الأرواح والأموال ، والضرائب ، والإسراف وسوء الإدارة ، وتفاقم الاستياء الشعبى بسبب الاضطهاد الدينى والسياسى ، وفى الفصل الحادى عشر يتتبع المؤلف التطورات المهمة فى تاريخ فرنسا حتى قيام الثورة الفرنسية فى سنة 1789 .

وفى القسم الثانى من الكتاب أى فى الفصول 12 ، 13 ، 14 يتتبع المؤلف بإيجاز معالم تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية منذ اكتشاف العالم الجديد فى سنة 1492 حتى بداية القرن العشرين ، وقد برزت أمريكا ، كما هو معروف ، من غمرة الخفاء على مسرح التاريخ ، منذ حوالى أربعة قرون فحسب ، وهى أحدث الأمم الكبيرة وأكثرها إثارة للاهتمام وخلاصة القول إن هذا الكتاب كما سبق أن ذكرنا عبارة عن مذكرات أو محاضرات جامعية نشرت فى كتاب تنقصه الهوامش والمصادر والمراجع وهو كتاب ربما يفيد الطلاب فى مراحل التعليم المختلفة ، ولكن حتى فى هذه الحالة لا يصلح أن يكون كتاباً منهجياً جامعياً شاملاً ، لعيوب كثيرة فيه لا تخفى على من يحاول قراءة الكتاب إذا توفر له الوقت .

5- أوروبا 1815 - 1919 ، تأليف عمر عبد العزيز عمر ، (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1992)

تناول المؤلف فى هذا الكتاب الأحداث التاريخية المهمة فى التاريخ الأوروبى الحديث والمعاصر فى الفترة من سنة 1815 إلى سنة 1919 وذلك فى تسعة فصول . وبالإضافة إلى هذه الفصول التسعة يوجد فى الكتاب ملحق واحد حول بعض نصوص ميثاق عصبة الأمم (1919) وعدد من الخرائط والكتاب مماثل تماماً للكتاب الذى تم عرضه فى الصفحة السابقة وذلك من حيث عدم اشتماله على مقدمة وخاتمة ، كما تنقصه الهوامش وثبت بالمصادر والمراجع ، وهذا الأمر يُعد من عيوب هذا الكتاب الذى يبدو أنه مجرد مذكرات (محاضرات) جامعية قُدمت للنشر من دون صقل وتنقيح فظهرت فى شكل كتاب . وعلى الرغم من أن الكتاب قد يكون مفيداً لطلاب المرحلة الجامعية فإنه من المهم أن نشير إلى أن المؤلف لم يسلك ما تم التعارف عليه فى البحث التاريخى من توثيق للمعلومات من خلال الهوامش ، كما أهمل إعداد ثبوت بالمصادر والمراجع التى استخدمها أو اطلع عليها .

خصص المؤلف الفصول الثلاثة الأولى لمناقشة فكرة التنظيم الدولى فى أوروبا قبل القرن التاسع عشر ، والتفاهم الأوروبى فى القرن التاسع عشر ، ونظام المؤتمرات على التوالى ، ثم يتبع فى الفصل الرابع التاريخ الفرنسى فى الفترة من سنة 1815 إلى سنة 1852 ، وغنى عن البيان أن فرنسا من الدول الأوروبية العريقة ، وتاريخها الحديث والمعاصر يمكن فهمه من خلال دراسة ماضيها ، أما فى الفصل الخامس فقد تناول المؤلف المسألة الشرقية وحرب القرم 1853 - 1856 والوحدة الإيطالية والاتحاد الألمانى فى الفصلين السادس والسابع ، ثم يناقش التحالفات الدولية فى أوروبا فى الفترة 1871 - 1914 فى الفصل الثامن ولا سيما دور بسمارك فى هذه التحالفات وأخيراً يناقش المؤلف فى الفصل التاسع وهو الأخير الحرب العالمية الأولى مركزاً على أسبابها ، ومراحلها ، ونتائجها . فقد شهدت أوروبا استقراراً كبيراً منذ مؤتمر فيينا فى سنة 1815 ، باستثناء بعض النزاعات المحلية ، والحرب الألمانية الفرنسية فى سنتى 1870 - 1871 ولكن بدءاً من سنة 1914 انتهى عهد السلام الطويل . وبعد نهاية الحرب فى سنة 1918 أصبحت أوروبا مقسمة وظهر ما يزيد عن عشرين دولة متمسكة بحدودها وقلقة على أمنها .. وفى الوقت ذاته أنشئت عصبة الأمم التى لم تستطع القيام بالدور المنوط بها من أجل تعزيز السلام بين الدول فى العالم ..

وخلص القول يعد هذا الكتاب أو يمكن اعتباره إسهاماً لا بأس به قدمه المؤلف إلى المكتبة التاريخية العربية ومن الواضح أن المؤلف قد تطرق إلى مواضيع تاريخية كثر يمكن أن يكون كل موضوع منها نواة لدراسة مستقلة ، كما أنه اهتم بطرح معلومات تبدو في أغلب الأحوال معروفة بل أحياناً سطحية ، وبدلاً من التركيز على التاريخ السياسى لأوروبا كان الأحرى بالمؤلف أن يناقش أيضاً التطورات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، وأن يبتعد عن السرد التاريخى الذى يتخذ أسلوباً إنشائياً مملاً وجافاً ..

ترحال فى الصحراء

عرض ومراجعة :
عبد الله على الرحيبى *

أولاً : تعريف بالكتاب :

تولت جامعة قاريونس مشكورة نشر ترجمة عربية قام بها الأستاذ الدكتور الهادى مصطفى أبو لقمة لرحلة مهمة قام بها الرحالة الإنجليزى جيمس ريتشاد دسن بعنوان (ترحال فى الصحراء) أمضى خلالها أكثر من ثمانية أشهر ونصف من 1845/8/2 إلى 1846/4/18 متنقلاً مع القوافل التجارية من طرابلس إلى غدامس ، وغات ، ومرزق ، وسوكنة ، ومصراة ، مروراً بعدد من القرى مثل جنزور ، والزاوية ، ويفرن ، والرجبان ، وسيناون ، وسبها ، وسمنو ، وتمنهننت ، وأبو نجيم ، وزليطن ، وتاجوراء . وتمثل الهدف من هذه الرحلة فى اطلاع الرحالة عن كئيب على كل ماله صلة بتجارة الرقيق ، فهو من أشد المناهضين لها ، وأحب أن يتحقق بأم عينيه من الأسباب الكامنة وراء ممارستها واستمرارها ، فاكشف وأعلن فى كتابه مراراً وتكراراً " بأن التجار الأوربيين بنقودهم وبضائعهم يحتكرون فى كل من طرابلس ، وتونس ، والجزائر ، ومصر ثلاثة أرباع حركة تجارة الرقيق فى الصحراء الكبرى وإفريقيا الوسطى " ص 508 . وتحقق الرحالة من أن الجزء البسيط من السكان الذى يمارس تجارة الرقيق يقوم بدور الوسيط فقط ، فهم الذين يتولون عملية النقل من أسواق الرقيق إلى المدن الكبيرة على الساحل الجنوبى للبحر المتوسط مقابل مبالغ زهيدة لا تتناسب مع مشاق السفر عبر طرق صحراوية وجبلية طويلة ووعرة ، فضلاً عن الحرارة الشديدة نهاراً والبرد القارس ليلاً ، ناهيك عن قلة مصادر المياه العذبة ، ومحدودية الطعام والمخاطر الأخرى مثل قطاع الطرق ، وتلك التى تتسبب فيها الحشرات والزواحف والحيوانات المفترسة .

" إن جل بضائع القافلة ملك للمسيحيين ، واليهود من تجار طرابلس ، إن تجار غدامس ليسوا سوى حلقة اتصال ، وممثلين تجاريين ، وإن البضائع سيتم نقلها وتبادلها بأخرى بما فى ذلك العبيد الذين تذهب أرباحهم بمجرد بيعهم فى طرابلس إلى أولئك التجار الذين تضللهم راية الحماية (الصواب حسب النص الأصل : الأوروربية) وفى هذا تأكيد للرأى الذى تحدثت عنه فى تقاريرى التى تفيد بأن تجارة الرقيق عبر سوق طرابلس إنما تمول بأموال وبضائع أوروبية " ، ص 295 .

وينطبق الحديث نفسه على سكان واحة سوكنة ذات الموقع المهم على طريق القوافل المتجهة من أواسط إفريقيا عبر غات أو مرزق إلى أسواق المدن الساحلية " إن تجارها

• أستاذ مساعد بقسم الآثار - كلية الآداب - جامعة قاريونس - بنغازى .

(سوكنة) يعانون من مصاعب تجار غدامس نفسها ، ذلك أن جلهم لا يملكون رأس المال اللازم ، وأنهم بلا استثناء عبارة عن وسطاء مع التجار اليهود والمسيحيين في طرابلس " ص 554 : 555 .

بين الرحالة بأن التجار الليبيين سيتوقفون حتماً عن ممارسة تجارة الرقيق في حالة توفر بدائل اقتصادية تعينهم على مواجهة أعباء الحياة الصعبة ، ولكنهم حالياً مجبرون على مزاولتها ليس حباً فيها ولكن بفعل الظروف الاقتصادية السيئة التي يعيشونها ، فالحكم التركي للبلاد مستمر في تجريد السكان من ممتلكاتهم في شكل ضرائب جائرة ، غير مكترث بالفقر المدقع الذي يعيشونه ، ليتمكن بذلك من تحقيق سيطرته المطلقة عليهم ، ويمنع أية فرصة تسمح بالثورة وتحقيق الاستقلال ، يقول حاكم غدامس التركي مثلاً " ولذا فلا نوفر لهم إلا قوتاً قليلاً في منطقة الجبل (الغربى) فما لديهم قليل وسيبقى قليلاً حسب تعليمات السلطان للسيطرة عليهم وتحطيم معنوياتهم وإجبارهم على الخضوع والاستسلام " ص 159 : 160 . ويشيد الرحالة بحسن معاملة العبيد في المناطق التي زارها مقارنة بالمعاملة السيئة التي يتعرضون لها في أمريكا " وهنا لن يكون من الإنصاف مطلقاً إغفال معاملة سكان غدامس

الجيدة لعبيدهم الذين يملكون الوقت الكافي للترفيه عن أنفسهم ، خلافاً لعبيد ابعاديات (مزارع) السكر والقطن التي يملكها مسيحيو الولايات المتحدة " ص 203 . ويقول الرحالة في مكان آخر " أعلمني خادمي (سيد) عند عودتي من منزل الرئيس بأن أصدقاءه من عبيد الطوارق أكدوا له بأن سادتهم أقلعوا نهائياً عن جلد عبيدهم وضربهم وأنهم يعاملونهم معاملة السند للنند خلافاً لما كان يحدث في السابق ... نعم مازال أمام أمريكا المتحضرة شوط طويل لتتعلم دروساً في الحرية والإنسانية ممن تصفهم بالمخلفين من سكان الصحراء " ص 158 .

وأشاد الرحالة بسلوك إنساني آخر تتميز به أخلاق أهل الصحراء عن نظرائهم في أمريكا يتمثل في حق العبيد المحررين في العودة إلى أوطانهم دون أن يمسوا بأذى خلافاً لما يحدث في أمريكا من إعادة اعتقال للعبيد المحررين " كم هي مختلفة أخلاق أهل الصحراء عن أخلاق الأمريكيين الوضيعة ، الذين يفاخرون بإعادة اعتقال العبيد المحررين ، أو بشنقهم تماشياً مع قانون لانش ، رغم ما بذلوه من جهد ليتمكنوا من شراء حريتهم " ص 308 .

وأبدى الرحالة إعجابه بأسلوب التعليم في غدامس الذي يشتمل أيضاً على التعليم الليلي بحيث أصبح كل سكان غدامس يقرأون ويكتبون ، عكس انجلترا التي لا يستطيع نصف شعبها كتابة أسمائهم " ص 353 بتصرف .

وقد عبر الرحالة بصفة عامة عن إعجابه بأخلاق السكان في المناطق التي زارها بالمقارنة مع ما يدور في بعض المدن الأوروبية ، فهي أخلاق حضارية إنسانية راقية تعتمد على الثقة المتبادلة والصدق والإيثار والتعاون ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى تعاليم الدين الإسلامي الحنيف التي جعلتهم على هذا المستوى الرفيع من الأخلاق .

" ومجمل القول فإن مستوى الأخلاق لا يمكن مقارنته بحال بما يحدث في أكثر المدن الأوروبية المتحضرة ، فأخلاق أهل الصحراء مازالت نقية وبعيدة عن الدنس الذي ترعاه مدن كبيرة كلندن وباريس مثلاً " ص 170 .

ثانياً : المراجعة :

لم يكن في الحسبان مراجعة الترجمة ، ولا حتى تصفح النسخة الانجليزية ، لولا عدم ورود المعلومات الأولية التي تعرف بالكتاب الأصلي ، وكثرة الأخطاء المطبعية التي تمنع معرفة بنائها السليم من خلال النص فكان لا مفر من العودة إلى المصدر الأصلي لتوضيح الغموض الذي يحيط بها ، بالإضافة إلى الخلل البين في تركيب بعض الجمل نتيجة لسقوط بعض الكلمات أثناء الطباعة أو الترجمة ، الأمر الذي حتم مراجعة المصدر الأصلي من أجل إعادة الصياغة بشكل مفهوم ، ولعل الأمر الذي كان أكثر إلحاحاً في العودة إلى النسخة الانجليزية ورود معلومات في الصفحة 117 مفادها أن " الرحالة علم في تاريخ لاحق أن يهوديين ذهبوا عام 1884 إلى إقليم البرنو : " فإذا كان هذا التاريخ صحيحاً ، متى كان نشر الرحلة ؟ وهل بقيت الرحلة بدون نشر لمدة أربعين سنة تقريباً ؟

كل هذه الأمور مجتمعة أدت إلى ضرورة البحث عن المصدر الأصلي لاستجلاء الأمر وتوضيح الجمل المبهمة في الوقت ذاته والأخطاء المطبعية المستعصية ونشرها ليستفيد منها القارئ ، والمترجم ، والناشر في حالة صدور طبعة ثانية للكتاب المترجم .

صدرت الطبعة الأولى للكتاب سنة 1848 ف ثم أصدرت شركة فرانك كاس المحدودة في لندن طبعة ثانية له سنة 1970 ف ، ويتكون الكتاب من جزئين يصل عدد صفحاتهما إلى تسعمائة واثنين وعشرين صفحة ، فضلاً عن عشرين صفحة للمقدمة مرتبة بالأرقام اللاتينية ، مع خريطة تبين طرق القوافل الممتدة بين موانئ البحر المتوسط الجنوبية وأسواق أواسط إفريقيا ، مروراً بالقرى والواحات الواقعة على امتداد هذه الطرق .

إن عدم نشر هذه الخريطة في الترجمة العربية ، وعدم ترجمة صفحات وهوامش كثيرة اتضح من خلال الرجوع إلى بعضها أنها لا تقل أهمية عن تلك التي يتضمنها الكتاب ، وتجاهل التعريف بالكتاب الأصلي ، بالإضافة إلى عدم ذكر المترجم للأسباب التي جعلت الكتاب يصدر بهذا الشكل أنقصت كثيراً من قيمة الكتاب وحرمت القارئ الذي لا يمكنه الرجوع إلى الكتاب الأصلي من الاستفادة من كل المعلومات الواردة فيه .

أصدرت جامعة قاريونس كتاب ترحال في الصحراء سنة 1993 ف مما يعنى مضى أكثر من عدة عقود إن لم تكن قرونا على صدور أول كتاب يتضمن فهرس متعددة لمحتوياته حسب الحروف الأبجدية لكل موضوع على حدة ، إذ يحتوى هذا الكتاب على صفحات كثيرة وجب على الناشر أو المترجم فهرسة مواضيعه بحيث يتمكن القارئ من الوصول إلى المعلومة المطلوبة بكل سهولة ويسر ، وتغمر السعادة قلبه لأنه لاقى الاحترام الذي يليق به . إن أسلوب إخراج الكتاب لا يختلف كثيراً عن منشورات القرون الماضية ، بل إن بعضاً من هذه المنشورات يتميز بتجزئة المحتويات إلى وحدات صغيرة تتكون من صفحات قليلة العدد تمكن القارئ من الرجوع إلى الفقرة المطلوبة في وقت قصير وجهد قليل .

من الواضح أن الكتاب لم يخضع للمراجعة لا قبل الطباعة ولا بعدها وترك أمره لمشرفي الطباعة يرتبون صفحاته كيفما يشاؤون فصارت الصفحتان 452 ، 453 لا صلة لهما بالمكان الذي يشغلانه وإن مكانهما السليم يأتي بعد الصفحة 551 ، وعلى القارئ أن ينتقل مباشرة

بعد الصفحة 451 إلى الصفحة 454 إذا أراد متابعة الموضوع بشكل متناسق .

الأخطاء المطبعية والجمال الناقصة :

ورد اسم التاجر الغدامسى (ماقورا) فى الترجمة العربية بالشكل التالى " ماقورا " اثنان وثلاثون مرة وبالشكل " ماقورا " مرتين ، وعائلة " ماقورا " من العائلات العريقة المعروفة فى غدامس ، ويكتب الاسم حسب نطق أهل غدامس حالياً " ماقورا " ، أما فى القديم فقد كان ينطق " مقورن " وهذا يتفق تماماً مع ما أورده الرحالة فى كتابه عند الإشارة إلى هذا التاجر الغدامسى النبيل " makouran " . وتعنى كلمة " مقورن " باللهجة الغدامسية " الكبير أو السيد " ، وهى كلمة عربية الأصل مشتقة من كلمة " القرن " التى من أحد معانيها " السيد " . كذلك ذكر بئر " امجزم " على الطريق الممتدة بين سيناون و غدامس بعدة صيغ : " آبار امجس " ص 81 ، و " آبار ابحسن " ص 82 ، و " قرية امجس " ص 252 ، والصواب حسبما أفاد بعض من أهل المنطقة " بئر امجزم " .

أما الجمل والفقرات غير الواضحة وغير الكاملة بسبب سقوط بعض الكلمات أثناء الطباعة أو الترجمة فإنها سترد مرتبة حسب تسلسل الصفحات ، وأنصح القارئ المتخصص الذى يريد الاستشهاد ببعض ما ورد فى الترجمة العربية بالعودة إلى النص الأسمى . ستكون المراجعة على النحو التالى : يعطى أولاً رقم الصفحة فى الترجمة العربية متبوعاً بالجملة أو الفقرة التى فى حاجة إلى مراجعة ثم تذكر الجملة أو الفقرة حسب ورودها فى النص الأسمى متبوعة بترجمة عربية متضمنة الكلمات التى سقطت أثناء الطباعة أو الترجمة .

1 - ص 27 وردت فى هذه الصفحة الجملة التالية :

" التى يقودها ربان مالطى الجنسية " .

" the captin and owner was a maltese " . p4, vol (1) .

وكان الربان والمالك مالطى الجنسية .

2 - ص 28 وردت فى هذه الصفحة الجملة التالية :

" ومع هذا يضطر الصيادون الفقراء إلى دفع قدر يصل إلى خمس محصولهم إلى الحكومة مقابل إذنهم لممارسة هذه الحرفة " .

" unhappily the poor fishermen are obliged to pay from twenty- five to fifty per cent. Of the fish caught to government" p5 vol 1 .

وبكل حزن فإن الصيادين الفقراء مجبرون على الدفع من 25% إلى 50% من السمك الذى تم صيده إلى الحكومة .

3 - ص 28 ورد فى هذه الصفحة النص التالى :

" يبدو المنظر المحيط بالمرفأ عارياً ، ولا أثر لأحد سوى عدد من الناس يجنون الشعير ومن حولهم بعض الماشية أو يزرع محصول الشعير وغيره من الحبوب على أرض الجزيرة الخصبة بين أشجار النخيل والزيتون " .

“ the scene was wild and bare, the coloures of the landscape light and bright. There ws some moors winnwing barley an ox was treading out the corn in scripture fashion. Crops of barley and other grain are grown all over this fertile isle, under the date palm and olive trees “ pp5- b, vol 1 .

يبدو المنظر المحيط برياً وقاحلاً ، وألوان الطبيعة مشرقة وزاهية ، ويقوم بعض السكان بتزرية حصاد الشعير ، فى حين يشاهد ثور أثناء عملية درس الحنطة على غرار ماذكر فى الكتاب المقدس ، وتنمو محاصيل الشعير والحبوب الأخرى فى كامل هذه الجزيرة الخصبة تحت أشجار النخيل والزيتون .

4 – ص 29 ورد فى هذه الصفحة النص التالى :

" يعيش إيطالى فى هذه المنطقة ، يعمل وكيلا فرنسيا مهمته التجسس على منطقة الحدود بين تونس وطرابلس رغم ضالة الأجر الذى يتقاضاه " .

“ there is at biban a single European resident, an Italian, who acts as a french agent and spy on the frontiers of Tunis and Tripoli. He is paid about eighteen- pence a day. P6, vol 1 .

يعيش فى منطقة الببيان مواطن أوروبى وحيد ، إيطالى ، وهو عميل فرنسى مهمته التجسس على منطقة الحدود بين تونس وطرابلس ويتقاضى حوالى ثمانية عشر بنساً فى اليوم .

5 – ص 29 ورد فى هامش هذه الصفحة الفقرة التالية:

" تشبه هذه الملاحات ملاحات صيدا "

“ like the fish- lakes of biseerta in tunis “ p7 vol 1 .

تشبه بحيرات السمك فى بنزرت فى تونس .

6 _ ص 31 ورد فى هذه الصفحة النص التالى :

" حين ظهر قطيع من خنازير البر يمرح ويتابع سير سفينتنا التى لا يقل حجم بعض أفراد القطيع عنها كبرا " .

“ we are followed for three hours by a shoal of porpoises some nearly as big as our bark which enjoyed highly the run with us . p10, vol 1 .

وكان يلاحقنا لمدة ثلاث ساعات قطيع من خنازير البحر ، استمتعت كثيراً بالتسابق معنا ، يصل حجم بعضها تقريبا إلى حجم مركبنا ذى الثلاثة صوار .

7 _ ص 81 وردت فى هذه الصفحة فقرة بالشكل التالى :

" كان جملى الخاص جيداً وفطنا وقاسياً أيضاً فقد كان من عادته عض الإبل التى لا تروق له عند هبوط أى منحدر ، كما أنها تدور وتلف من حولها الوقوع ضمن عادة الإبل التريث عند هبوط أى منحدر ، كما أنها تدور وتلف من حولها إذا كانت شديدة الانحدار " .

“ the camel which I rode was a very knowing, and like many knowing animals, very vicious, he was in the habit of biting all the other camels which did not please him on their hind quarters, but took care not to get bitten himself, he seldom stumbled and I was rearly in fear of falling. A

camel will never plunge down a deep descent, but always turn round when it comes to the edge of the precipice. P85 vol 1 .

إن الجمل الذى ركبته جيد جدا ومتمرس جدا ، ومثل كثير من الحيوانات المتمرسه فهو قاس جدا ، فقد كان من عادته عض الإبل الأخرى التى لا تروق له فى أطرافها الخلفية ، ويحسّط حتى لا يتعرض للعض هو نفسه ، إنه نادرا ما يتعثّر ، وتبعاً لذلك قلما راودنى الخوف من الوقوع ، والجمل لا يتهور أبداً فى هبوط منحدر عميق ، ولكن دائماً يغير اتجاهه عندما يأتى إلى حافة الجرف .

8 - ص 81 ورد فى الصفحة العبارة التالية :

" غدامس مدينة باسيو !! " .

ghadames blad " medina " (ghadames is a city) p85 vol 1 .

ولأدرى من أين جاءت كلمة " باسيو " وعلامتا التعجب خلفها ، إذ من الواضح أن معنى الجملة : غدامس بلاد " مدينة " ، أى بمعنى (غدامس مدينة) .

9 - ص 113 وردت فى هذه الصفحة فقرة بالشكل التالى :

" لا يعلم التجار على وجه اليقين مناطق استخراج الذهب فبعضهم يؤكد بأنه إقليم فوك fouk " " الواقع شمال تمبكتو أما الآخرون فيرجعون إلى المنطقة الواقعة عند مدينة جينى وبامبارا الواقعتين على بعد ثلاثة أشهر من تمبكتو باتجاه الجنوب الغربى ، وهى منطقة شاسعة تتكون من عدة مناطق ومقاطعات ، ولو أن منطقتها الأساسية هى فورا التى يغلب عليها استواء سطحها على وجود بعض المناطق الرملية وخلوها بالكامل من أى أثر للصخور ، كما يقال إن الأرض التى يعتقد وجود الذهب فى مناجمها تباع عن طريق المزاد العلنى ، مما يعنى أن الحظ وحده هو الذى يحدد إمكان الحصول على ثروة هائلة أو الرجوع بخفى حنين .

The gold country of the merchants is not very distinctly understood by them. Some say it is "fouk " , " above" , Timbuctoo, others beyond Jinnee and Bambara, a bout three months from Timbucto, in a south-west direction. The country . is called melle, which includes many large districts and provinces, but the particular district is furra. This is a flat and sandy place, " not a stone, " say the merchants, " is to be seen. " the mines of furra, if such they may be called, are sold by auction, and the lot of land is a lot of fortune. Some plots producing nothing, others gold in abundane. When the gold arrives at Timbuctoo, it is converted into women's ornaments, mostly ear- rings. P132 vol 1 .

لا يعلم التجار على وجه اليقين مناطق استخراج الذهب ، بعضهم يقول إنها أعلى " تمبكتو " فى حين يرجعه آخرون إلى البلاد التى تلى " جينى " و " بامبارا " الواقعتين على بعد ثلاثة أشهر من " تمبكتو " فى اتجاه الجنوب الغربى ، تسمى هذه البلاد " ميلى " وهى تضم عدة مناطق وأقاليم كبيرة ، أهمها منطقة " فورا " إن أمكن نعتها بذلك ، عن طريق المزاد العلنى

مما يعنى أن الحظ وحده الذى يحدد إمكان الحصول على ثروة هائلة أو الرجوع بخفى حنين . وعندما يصل الذهب إلى " تمبكتو " يتم تحويله إلى حلى نسائية ، أغلبه على شكل أقراط .

10 – ص 117 ورد فى هذه الصفحة فقرة بالشكل التالى :

" والغريب أننى علمت فى تاريخ لاحق أن يهوديين مغربيين ذهبوا عام 1884 إلى إقليم " بورنو " وبعض جهات السودان الأخرى وعادا سالمين ... " إذ يحكى عن ترددهم على مدينة تمبكتو .. ويعملون تحت حراسة مشددة "

Afterwards I learnt that two barbary jews went either to Bornou or Sudan, in the year 1844, and returned safe ... some have said they go to Timbuctoo, but this report is not authenticated ... about twenty [jewish] families are established amongst the Souafah, in the greatest security of life and property. P138 vol 1.

علمت بعد ذلك أن يهوديين ذهبوا إما إلى " بورنو " أو " السودان " فى سنة 1844 ، وعادا سالمين .. يقول بعض الناس إنهما ذهبوا إلى " تمبكتو " ولكن هذا القول غير متحقق منه . تعيش حوالى عشرين عائلة (يهودية) مع قبيلة (سوافه) فى أمان كامل على حياتهم وممتلكاتهم .

11 – ص 128 وردت فى هذه الصفحة جملة بالشكل التالى :

" وأن ثالث المترددين منهم قرر الاستعاضة عن العلاج بتناول مع بعض الماء ليلاً " .

" Another sufferer craved a talisman to drink with water at night " p158. vol 1 .

من الواضح أن كلمة " رقية " سقطت أثناء الطباعة ، وتبعاً لذلك تكون الجملة : بتناول رقية مع بعض الماء ليلاً .

12 – ص 186 وردت فى هذه الصفحة فقرة بالشكل التالى :

" تربط المراجيح فى أعلى طرف من أشجار النخيل القريب بعضها من بعض ، وفى العادة يستغلها أكثر من شخص واحد لعدم خطورتها ولأنها الوسيلة الأكثر شيوعاً من وسائل التسلية التى لا وجود لها " .

" the swings are tied high up to the tallest date- palms, two or three persons swing together, and the sport is a little dangerous. Saw no other amusements during the ayed, except here and there drafts, played in the primitive way of making small holes in the sand for the squares. P252, vol 1.

تربط المراجيح عالياً فى أشجار النخيل الأكثر ارتفاعاً بحيث يتأرجح شخصان أو ثلاثة فى آن واحد وهى رياضة قليلة الخطورة ، لم أشاهد خلال فترة العيد وسائل تسلية أخرى باستثناء ألعاب بدائية تلعب هنا وهناك تتكون من حفر صغيرة فى الرمل تقوم مقام المربعات .

13 – ص 186 وردت فى هذه الصفحة الفقرة التالية :

" تمكن خلال الحملة العسكرية على جنوب الجزائر بى بسكرة ، بعد غياب الحاكم العسكرى ، من الانقضاض على الحامية الصغيرة والقضاء عليها والاستيلاء على مابخزينتها من أموال ثم انطلق هارباً إلى منطقة شط الجريد حيث يعيش فى أمان " .

During the expedition of the duke d'aumale to the south of Algeria, the bey of Biskera, mohammed-es-sagheer, murdered the small garison of soldiers left behind, emptied the chest of what francs were in it, and went off to the desert. P252, vol 1 .

خلال حملة الدوق أومالى على الجنوب الجزائرى قتل بى بسكرة محمد الصغير جنود الحامية الفرنسية الصغيرة الذين بقوا فى مقر الحامية وأفرغ الخزينة من الفرنكات التى كانت بها ورحل إلى الصحراء .

14 - ص 282 ورد فى هذه الصفحة أن الرحالة العياشى تونسى ، وفى الحقيقة فإن العياشى مغربى وليس تونسياً ، وبالعودة إلى النص الأسمى ، اتضح أن الكاتب أشار إليه باسمه فقط ولم يذكر اسم بلده .

El- aishi, describing the sandy sahara... p404 vol 1 .

ومن الإنصاف الإشارة إلى أن الرحالة الإنجليزى أورد فى مكان آخر من كتابه اسم العياشى متبوعاً باسم بلده المغرب والسنة التى أنجز فيها رحلته . (ص 275 ج 1) .

15 - ص 295 ورد فى هذه الصفحة فقرة بالشكل التالى :
" مع أننى شعرت بالإعياء والمرض فى المساء لا بسبب ماأشرت إليه من انفعال بقدر أثر فعل شرب تلك المياه الأسنة التى تركت أثرها على جميع المسافرين وكأنها ملح ابسوم الحقيقى " .

Felt very sick this morning with drinking the water of Mislah. It is purging all the people like gnuine epsom. P414. vol 1 .

شعرت بمرض شديد هذا المساء بفعل شرب مياه بئر مسلة التى تسببت فى إصابة كل الرجال بالإسهال وكأنها ملح ابسوم الأصيل .

16 - بص 494 ورد فى هذه الصفحة جملة بالشكل التالى :
" فقد شد انتباهى حدثان هاما تمثل الأول فى قتل خمسمائة جندى فرنسى فى الجزائر " وبالعودة إلى النص الأسمى اتضح أن موقع المعركة لم يرد فى الترجمة وهو : قرب جامع الغزوات near jama el- ghazouat ولم يذكر الكاتب اسم الجزائر فى النص ، ولكنه ذكر أن الحادثة تمت انتقاماً لجريمة حرق قبيلة عربية فى كهوف جبال الأطلس قام بها الاستعمار الفرنسى . (يوجد النص الأسمى فى ص 313 ج 1) .

كما تحتوى هذه الصفحة من النص الأسمى على هامش مهم يبين أن بعض الصحف الفرنسية احتجت ضد هذه الجريمة البشعة التى ارتكبتها القوات الفرنسية فى حق السكان الأبرياء . ويفترض أن المترجم نقل هذا الهامش إلى اللغة العربية حتى يكون القارئ على بينة تامة بما ورد فى النص الأسمى ويوضح له ، بالتالى ، وجهة نظر بعض الفرنسيين ،

على الأقل ، حول الممارسات غير الإنسانية ضد الشعب الجزائرى .

17 - ص 235 ورد فى هذه الصفحة تعليق من المترجم وضع فى المتن ، ومكانه فى الهامش ، بطبيعة الحال يقول التعليق :

" والغريب فى الأمر أن المؤلف يتحدث عن هذه اللعبة .. الخ " .

وبالعودة إلى النص الأصلي (ص 381 ج 2) اتضح أن هذه الصفحة لم تترجم بشكل كامل ويتلخص حديث الرحالة الذى لم يترجم ، فى مشاهداته لتجمعات بعض السكان الذين يضيعون الوقت الثمين فى لعب السيزة / الخريقة ، ويستغرب التناقض فى تصرفات بعض المسلمين الذين يمتنعون عن شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فى حين لا يتورعون عن إضاعة الوقت الكثير فى لعب القمار الذى نهى عنه الله مثله فى ذلك مثل الخمر ، ويستدل على ذلك بأية من سورة البقرة " يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير " (219) وأخرى من سورة المائدة " إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر " (91) .

18 - ص 537 ورد فى هذه الصفحة العنوان التالى :

من سوكنة إلى مرزق ، والصحيح من مرزق إلى سوكنة .

19 - ص 538 ورد فى هذه الصفحة فقرة غير كاملة الترجمة ، كما أن الهامش لم يترجم هو أيضاً رغم احتوائه على معلومات مهمة حول نظام التبادل التجارى المتبع فى " البورنو " المسمى " القوبقا " تقول الفقرة :

" أولاً إحضار آلة صغيرة لصنع العملة المعدنية التى ينوى سلطان " البورنو " إحلالها بدل قطع القماش المتداولة والمعروفة " بالجوبجا " التى يصعب التعامل بها ، وثانياً إحضار ما يحتاجه السلطان من وسائل تمكنه من إشعال النار فى أكواخ مدن أعدائه ، ثالثاً وأخيراً تعليمات تحضير وتجهيز الصباغة ، وشمع النحل ، ودباغة الجلود مكتوبة باللغة العربية " .

First for the sheikh of bornou, I am to bring a small coining- machine to make a copper- currency, replacing the present inconvenient system of pieces of cotton called Ghubha, next, I am to bring congreve-rocket by which the sheikh may set on fire the straw hut cities of his enemies; but I should think a good drill-serjeant would be better than rockets. Finally, some instruction, in Arabic language, for preparing indigo, a bee' wax, and tanning leather. Pp388-9 vol .

أولاً : إحضار آلة صغيرة لصنع العملة النحاسية لشيخ (سلطان) بورنو لتحل محل النظام الحالى غير العملى المتمثل فى قطع من القماش القطنى تسمى القوبقا ، ثم إحضار قذائف نارية ليحرق بها الشيخ (السلطان) أكواخ مدن أعدائه ، أظن أن ضابط تدريب جيد أفضل من هذه القذائف . وأخيراً إحضار بعض التعليمات باللغة العربية حول إعداد صبغة النيل (صبغة زرقاء اللون) ، وشمع النحل ، ودباغة الجلود .

أما المعلومات التى ذكرها الرحالة فى الهامش حول معنى " القوبقا " ولم تترجم إلى اللغة العربية فهى :

القوبقا : مقياس طوله ستة أقدام (حوالى 1.38 م) يقاس به قطع القماش القطنى بالطول السابق نفسه وعرض ثلاثة بوصات (حوالى 8 سم) . وعلى هذا الأساس عرف نظام العملة المتداولة .

يعادل الرطل " أربعة قوبقات " ويعادل الدولار الأسباني الواحد " ثلاثين رطلاً " . هكذا كان سعر الصرف في سنة 1845 .

20 - ص 539 وردت في هذه الصفحة فقرة بالشكل التالي :

" فالتبشير الديني إذا تم وأريد له النجاح ، يجب حسب تصوري أن يستند في المقام الأول إلى اعتماد فئة لاعلاقة لها بالتجارة ومستعدة للعمل بأيديها بدل تبني شعار الخطب الجوفاء التي لا تغني عن شيء ، لأن نجاح مثل هؤلاء بمباركة العناية الإلهية يعني اختيار مشاريع مدروسة من متطلبات المنطقة " .

But, it is to be understood, that the missionaries should go as merchants and, like paul, work with their hands at mechanical trades. It must not be a wild-goose chase of empty declamation, but a thoroughly conscientious project, wrought out according to the circumstances of the country with discretion and courage. In this way it would, with the blessing of providence, succeed admirably. Pp389-390 bol 2 .

ولكن يجب أن يكون مفهوماً بأنه على المبشرين الذهاب بوصفهم تجاراً ، مثل بول ، يعملون بأيديهم في المهن الميكانيكية ، ويجب أن لا يكون مشروعاً أحمق يتكون من خطب جوفاء ، ولكن مشروعاً متكاملًا يمليه الضمير ، مخططاً له حسب ظروف البلد ، بكل عقلانية وشجاعة ، وبهذه الطريقة وبرعاية العناية الإلهية سيلقى المشروع نجاحاً باهراً .

21 - ص 539 ورد في هذه الصفحة اسم بنر تاغيكا tagheaka وبالعودة إلى النص الأصلي وجد أن اسم البئر تاغيته " tagheetah jkp380 bol 2 " .

22 - ص 539 ورد في هذه الصفحة فقرة تتضمن ترجمة عربية ناقصة عن ماورد في النص الأصلي وهي كالتالي :

" فإن معظم أهلنا يعيشون على التمر ، والحشائش فقط ، كما أن الجميع يأكلون القطب ، الذي يشبه لحد علمي نبات الحرص ، ومهما كان الأمر فإن سكان فزان يبدون جميعاً في صحة جيدة ، وسعداء فقد باركت السماء ، وجبتهم الفقيرة هذه وجعلتها سائغة ومنعشة " .

Many of the people live only on dates and hasheesh (herbs). We eat the ghoteb. In the abandoned huts I found three or four women just come from Zeghen. They were collecting and boiling the ghoteb, which they sell in their town; it eats very cooling and pleasant with dates. If I recollect, it is something like the barilla-plant. I tested the herb, but could make nothing of it. Nevertheless, the inhabitants of Fezzan are apparently healthy and happy. Pp390-1 vol 2 .

يعيش معظم الناس على التمر والحشائش فقط ، كما نأكل القطب أيضاً وجدت ثلاث أو أربع نسوة في الأكواخ المهجورة عائدات للتو من زينغن كن يجمعن ويغليهن القطب الذي يبعنه في مدينتهن ، إن أكله مع التمر بارد ولذيذ ، ويشبه إلى حد ما نبات الحرص ، وقد تذوقته ، غير أنني لم أجد وصفاً له .

23 - ص 540 وردت في أعلى هذه الصفحة جملة تقول : " باحتواء هذا النوع من الحصى

على نسبة من خام الحديد " وبالعودة إلى النص الأصلي وجد أن الكلمة المستعملة تعنى " حجارة stone " 2 vol 391 p .

24 – ص 540 ورد فى منتصف هذه الصفحة :

" ومع أننى لأستطيع تناول اللحم ، كما لم أعد أطيق أكل الكسكسى الذى بدأت أفضل عليه البازين " .

But can't get meat. Had a good drink of camel's milk this morning.
Tired of coscasou, and now like bazeen better. Pp391-2 vol 2 .

ولكننى لم أستطع الحصول على اللحم ، شربت كمية من حليب الإبل هذا الصباح ... الخ .
25 – ص 551 لا تشمل هذه الصفحة على الوصف الذى ذكره الرحالة للجناح الذى يقيم فيه قاضى سوكنة ، وموقع القلعة بالنسبة للمدينة ، يقول الرحالة :

" يحتل جناح القاضى جزءاً من القلعة ، وإن الممرات المؤدية إليه عبارة عن كتل من مواد البناء المنهارة ، وبراودك الخوف من جدران أو سقوف الغرف المتداعية فوق رأسك .. بنيت قلعة سوكنة منفصلة عن المدينة مثلها فى ذلك مثل قلعة مرزق ، ص 409 ج 2 " .

26 – ص 552 وردت فى هذه الصفحة الجملة التالية :

" كان هذا كافياً بالنسبة لنا لأننا أول المسافرين فى إفريقيا " .

من الواضح أن هناك نقصاً فى الترجمة ، لأنهم لم يكونوا أول المسافرين الأوروبيين فى إفريقيا ، وبالعودة إلى النص اتضح أن كلمة " الانجليز " هى الكلمة المفقودة ، وتبعاً لذلك تكو ن الجملة بالشكل التالى :

" لأننا أول المسافرين الانجليز فى إفريقيا ص 414 ج 2 " .

27 – ص 553 ورد فى هذه الصفحة اسم شجرة على النحو التالى :

" أشجار الجرود sharuod " وبالعودة إلى النص الأصلي اتضح أن اسم الشجرة كالتالى :

Observed the tree calledgharod, or gharoth, or gurd it bears a seed-pod which is used in tanning leather from its great astringency.. also employed medicinally. P417. vol 2 .

ومن خلال المعلومات الواردة فى النص يتضح أن الشجرة المقصودة هى شجرة " القرظ " وهى معروفة فى واحة سوكنة وبعض الواحات والمناطق الأخرى من الجماهيرية باستعمالها فى الدباغة وبخصائصها الطبية .

أما الأخطاء المطبعية فهى كثيرة وتبلغ نحو 300 خطأ مطبعى ، وربما أكثر ، ويبدو أنها نتجت أساساً عن عدم قيام المترجم بمراجعة الطبعة التجريبية للكتاب مما ترتب عليه ظهور هذا العدد الكبير من الأخطاء .

وأخيراً لابد أن أشكر مع التقدير د . ميلاد أ . المقرحى لما أسداه لى من ملاحظات قيمة حول هذه المراجعة وموضوعها ، وأيضاً إلى د . عبدالله محمد الزيات الذى قرأ هذه المراجعة وراجعها لغوياً ، وأحمد فوزى المانع ، ووالده محمد على المانع لما تفضلا به من معلومات مهمة حول بلدة غدامس والمنطقة المتاخمة لها ، و د . محمد أبوبكر حسن الذى قام بمراجعة الفقرات المترجمة .

التغيرات البيئية " جغرافية الزمن الرابع "

Environmankal Change . Contemporary Problems in Geograply

تأليف : أندرو . س . جودى - Androw Eoudie

ترجمة أ. د . محمود محمد عاشور أستاذ الجغرافيا الطبيعية - جامعة عين شمس . "

المجلس الأعلى للثقافة - المشروع القومى للترجمة - القاهرة 1996 "

عرض وتحليل : د . محمد عبدالله لامة *

يعد هذا الكتاب مرجعاً هاماً فى كثير من الأمور التى تتعلق بجغرافية الزمن الرابع ، لأسباب كثيرة يأتى فى مقدمتها سهولة الأسلوب ورشاقة العرض ، وهذا ما يتميز به مؤلفه أندرو جودى الذى يشغل حالياً رئيس قسم الجغرافيا بجامعة اكسفورد بانجلترا ، ثم غزارة المعلومات والمعالجات التى يحويها الكتاب ويعرضها بأمانة واضحة ، كما يحوى عدداً كبيراً من الرسوم التوضيحية التى تعين القارئ على تفهم الكثير من الآراء وهى فى نفس الوقت تعتبر جزءاً أساسياً من الكتاب ، واتبع المؤلف أسلوباً مفيداً جداً فى ذكر المراجع حيث عرضها فى أسلوب توضيحي نقدي لمحتواها ، ولم يكتف بذكر عناوينها فقط كما هو متبع فى معظم الكتب (العلمية) ، بل فوق كل هذا وذاك فقد عرض لموضوعات كثر حولها الجدل فى السنوات الأخيرة وخلت منها مكتبتنا العربية بل مناهجنا الدراسية وموضوعاتنا البحثية..

وإحساساً بأهمية موضوعات الكتاب فقد قام الأستاذ الدكتور محمود محمد عاشور مشكوراً بترجمة هذا الكتاب ووضع بين يدى القارئ والدارس العربى ليكون مرجعاً فى موضوعه فقط ، ولكن ليكون أيضاً أحد المفاتيح التى توجه القارئ إلى مكتبة حديثة متخصصة فى هذا المجال ، وإلى طرق بحث حديثة ، وقد صدرت أول طبعة لهذا الكتاب عام 1977 (Clasendon Press, Oxford).

وأتفق مع وجهة نظر المترجم أن يصبح كتاب جغرافية الزمن الرابع أحد المقررات التى تدرس بأقسام الجغرافيا والجيولوجيا فى الجامعات العربية حتى نستطيع إعداد دارسين لهم المقدرة على فهم هذه الموضوعات ومن ثم التعامل مع البيئة ، علماً بأن هذا المقرر لن

يكون بديلاً لموضوع الجغرافيا التاريخية أو الجيولوجيا التاريخية أو علوم البيئة أو موضوع العصور الجيولوجية ، فالفارق كبير بينه وبينها جميعاً ، وفي نفس الوقت لابد أن نشجع البحوث في هذا المجال خاصة أن منطقتنا وصحارينا العربية تقدم نفسها كمجال بحث خصب يندر أن نجد مثله في مناطق أخرى من العالم .

يتكون الكتاب المترجم من سبعة فصول تناول الفصل الأول عدداً من الموضوعات منها التغير البيئي أثناء البليستوسين من حيث حجمه وأهميته وكذلك وسائل الدراسة من تقليدية وحديثة وأهمها وسائل التاريخ .

وفي الفصل الثاني : عرض للتتابع وطبيعة البليستوسين وقد ناقش المؤلف هنا موضوعات في غاية الأهمية ، وهو طول البليستوسين أو كما يسميه بعض العلماء باسم عصر الانسان أو الأنثروبوجين الذي تختلف في تاريخه الآراء بين مليون سنة وثلاثة ملايين سنة ، ويرجح المؤلف أن ما يسمى بالبليستوسين المطول (3 مليون سنة) وذلك على أساس بقايا الإنسان التي وجدت في شرق أفريقيا وقدر عمرها بحوالى 2.7 مليون سنة .

وفي الفصل الثالث : يناقش المؤلف موضوعاً هاماً وهو أحداث البليستوسين في المناطق المدارية وشبه المدارية وذلك من خلال عرض للكتبان الرملية الجغرافية وفترات المطر في هذه المناطق ، ويعرض لقضية هامة وهي التعاصر بين الفترات الجليدية في العروض الشمالية وما يقابلها في المناطق المدارية وشبه المدارية ، ويسوق المؤلف عدداً من الأدلة النظرية والملموسة على عدم صحة النموذج الكلاسيكى الذى شاع بعد الحرب العالمية الثانية والذي يحيط بين الفترات الجليدية والفترات المطيرة وفترات الدفاء وفترات الجفاف ، وقد أثبتت الدراسات التفصيلية في كثير من المناطق المدارية وشبه المدارية في كـا من آسيا وأفريقيا عدم التعاصر بين الفترات الجليدية في العروض الشمالية وفترات المطر في العروض المدارية ..

وفي الفصل الرابع : يعالج المؤلف التغير البيئي فيما بعد الجليد أى خلال الهولوسين (الحديث) وهي فترة العشرة آلاف سنة الأخيرة ، ويعرض الكتاب هنا لعدة موضوعات تتعلق بالظروف المناخية والبيئية خلال الهولوسين والانتقال من الفترة الجليدية الأخيرة (مرحلة فيرم) إلى الهولوسين والانقراض الحيوانى الكبير الذى حدث في الفترة وأسبابه ، ويناقش الظروف المناخية خلال الهولوسين وأثر ذلك على الحيوان والنبات والإنسان ..

وفى الفصل الخامس : يقترب من وقتنا الحالى بدراسة عن الفترة التى استخدمت فيها أجهزة الرصد الجوى أى منذ الثورة الصناعية ، فلم تعد الاستنتاجات والتحليلات مبنية على دراسة أشكال سطح الأرض والرواسب بقدر ما هى قائمة على قراءات وسجلات سواء أكان ذلك فيما يتعلق بالمطر أم بدرجة الحرارة وكذلك مستوى سطح البحيرات وتصريف الأنهار وتذبذب الجليد ثم التغيرات الحيوانية والنباتية ويختتم الفصل بدراسة الدور المزدوج لكل من التغيرات المناخية والإنسان ..

وفى الفصل السادس : يعرض لنا الكتاب موضوعاً مثيراً كثر الجدل حوله فى السنوات الأخيرة وذلك لعلاقته المباشرة بالنشاط البشرى فى المناطق الساحلية ، وهو موضوع تذبذب مستوى سطح البحر فى الزمن الرابع والعوامل التى أدت إلى ذلك سواء أكانت عالمية أم محلية والتى يأتى فى مقدمتها أثر الجليد عندما يتراكم على أسطح القارات أثناء الفترات الجليدية مما يؤدى إلى انخفاض مستوى سطح البحر ، ولكن لا ننسى أن هذا الجليد يشكل حملاً على اليابس . ثم هناك عملية الإفراغ حيث تفرغ بعض البحار الداخلية مياهها فى المحيط .. الخ .. وغير ذلك من عوامل متشابكة لا يمكن فصل بعضها عن البعض الآخر .

وفى الفصل السابع : يعالج أسباب التغير المناخى والباعث الرئيسى على التغير البيئى ، ويعرض هنا لمجموعة من الأسباب التى تقوم كلها على أسس نظرية وفرضية فى المقام الأول ، ومن هذه الأسباب : كمية الاشعاع الشمسى ونوعه على مر العصور ومرجع ذلك إلى عدد من الأسباب ثم اختلاف المغناطيسية الأرضية وتغير المركز الهندسى للأرض وغيره من العوامل ..

وقد بذل المترجم جهداً كبيراً فى ترجمة هذا الكتاب ، وقد كان موفقاً فى مسعاه وتحقيق هدفه فى نقل هذه المعلومات للقارئ العربى ليكون حافزاً للدارسين العرب على ارتياد هذا المجال ..

إصدارات جديدة

- ❖ إسماعيل أحمد ياغى ، تاريخ شرق آسيا الحديث (الرياض : مكتبة العبيكان 1994)
- ❖ أنجيلو ديل بوكا ، الإيطاليون في ليبيا جـ2 ترجمة محمود على التائب ومراجعة عمر محمد البارونى (طرابلس : منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1999)
- ❖ إريك هو بسباوم ، الأمم والنزعة القومية ترجمة عدنان حسن مراجعة وتحريير مجيد الراضى (دمشق : دار المدى للثقافة والنشر ، 1999) .
- ❖ جلال يحيى ، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر (الاسكندرية : المكتب الجامعى الحديث ، 1999) .
- ❖ جورج بنوا ، تاريخ جهنم ، تعريب أنطوان أ . الهاشم (بيروت : منشورات عويدات ، 1996) .
- ❖ جون توش ، المنهج فى دراسة التاريخ : إتجاهات ومنهجيات وأهداف جديدة فى دراسة التاريخ الحديث ، ترجمة ميلاد أ . المقرحى (بنغازي : منشورات جامعة قاريونس ، 1994) .
- ❖ صموئيل هنتنغتون ، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمى ، نقلة إلى العربية مالك عبيد أبو شهيو ومحمود محمد خلف (مصراتة : الدار الجماهيرية للنشر . 1999) .
- ❖ عبدالعزيز عبدالغنى ابراهيم ، محاضرات فى تاريخ أوروبا الحديث : عصر النهضة (فاليتا : منشورات ELGA ، 1999) .
- ❖ _____ ، محاضرات فى تاريخ أوروبا بين النهضة والثورة الفرنسية (فاليتا : منشورات ELGA ، 1997) .
- ❖ عصام الدين عبدالرؤوف الفقى ، بلاد الهند فى العصر الاسلامى (القاهرة : دار الفكر العربى ، 1996) .
- ❖ عقيل حسين عقيل ، سيادة البشر : دراسة فى تطور الفكر الاجتماعى (فاليتا : منشورات ELGA ، 1996) .
- ❖ عقيل محمد البربار ، دراسات فى تاريخ ليبيا الحديث (فاليتا : منشورات ELGA ، 1996) .

- ❖ محمد عبدالله لامة ، سهل بنغازي ، دراسة في الجغرافيا الطبيعية (طرابلس : المركز القومي للبحوث والدراسات العلمية ، 1999) .
- ❖ محمد خريسات وآخرون ، تاريخ الحاضرة الانسانية (اربد - الأردن : دار الكندي للنشر والتوزيع ، 1999) .
- ❖ محمود السيد ، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها (الاسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، 1999) .
- ❖ ميلاد أ . المقرحي ، موجز تاريخ آسيا الحديث والمعاصر (فاليتا : منشورات ELGA ، 1999) .
- ❖ _____ ، موجز تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر (بنغازي : منشورات جامعة قاريونس ، 1998) .
- ❖ _____ ، تاريخ آسيا الحديث والمعاصر جـ 1 : شرق آسيا : الصين ، اليابان ، كوريا بنغازي : منشورات جامعة قاريونس ، 1997) .
- ❖ _____ ، تاريخ أوروبا الحديث 1453 - 1848 (بنغازي : منشورات جامعة قاريونس ، 1996) .
- ❖ نبيلة حسن محمد ، في تاريخ الدولة العباسية (الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1999) .
- ❖ الهادي المبروك الدالي ، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء (القاهرة : الدار المصرية اللبنانية ، 1999) .

كشاف للبحوث والمقالات والدراسات التي نشرت بمجلة كلية الآداب (قاريونس) من العدد 1 إلى العدد 20

إعداد : صالح / حميدة جويل *

يحتوي هذا الكشاف على البحوث والمقالات والدراسات التي نشرت بمجلة كلية الآداب بجامعة قاريونس من العدد الأول الذي صدر سنة 1958 إلى العدد العشرين الذي صدر سنة 1996 ، مع ملاحظة أن العددين السابع عشر والثامن عشر قد صدرا في مجلد واحد ، وكذلك العددين التاسع عشر والعشرون ..

دلالات الأرقام في كشاف العناوين :

الرقم الأول يدل على رقم العدد

الرقم الثاني الذي وضع بين هلاليتين يدل على بداية البحث أو المقال أو الدراسة ونهايته .

دلالات الأرقام في كشاف المؤلفين :

يدل الرقم على تسلسل البحث أو المقال أو الدراسة في كشاف العناوين ..

* عضو هيئة التدريس بقسم المكتبات والمعلومات ، كلية الآداب ، جامعة قاريونس ، بنغازي ..

(١)

1. الآثار الاجتماعية لتدهور الجانب النفسى فى المجتمعات الغربية ، د. عمران سالم احتيوش . 14 ، (33 - 39)
2. آراء فى تفسير طبيعة الأصالة عند الفنانين والعلماء . د. نورى جعفر 2 ، (193 - 233) .
3. الآمدى وكتابة الموازنة . د. طه الحاجرى . 1 ، (17 - 65) .
4. ابن الإجدابى . د. عبدالعزيز هام . 3 ، (145 - 182) .
5. ابن خلدون وعلم الاجتماع . د. عبد القادر عرابى . 10 ، (151 - 216) .
6. أبو محنف الأزدى بين الرواية والكتابة . د. رشيد الجميلى 10 ، (27 - 61) .
7. الاتجاهات النفسية . د. أمل على المخزومى . 12 ، (9 - 14) ..
8. اتجاهات كمية الجريمة فى ليبيا . د. مصطفى عمر التير . 5 ، (141 - 162) .
9. أثر التقليد فى ضعف حركة إحياء التراث الدينى ، د. محمد حسنين . 10 ، (115 - 150) ..
10. أحمد بن طوير الجنة ورحلته عبر ليبيا ، د. محمد فرج دغيم ، 18/17 ، (17 - 33) ..
11. أحمد رفيق المهدي : شاعر الوطنية والإنسان والحب . د. عبدالقادر أحمد رمضان . 9 ، (149 - 249) ..
12. الأدھوكية : أى جرم يرتكبه العلماء عندما يجؤون إليها ؟ د. نجيب الحصادى . 15 ، (95 - 106) ..
13. أساليب الاتصال . د. عبدالسلام مختار الزليتنى . 16 ، (51 - 70)
14. استحسان الشعر واستقباحه عند الهمذانى فى شرح القصيدة الدامغة .. د. هادى عطية مطر الهلالى . 20/19 ، (147 - 170) ..
15. أسس الإعلام فى النظام الجماهيرى . د. على المنتصر فرفر . 11 ، (407 - 445) ..
16. الأصول المنهجية فى جغرافية الوحدات السياسية : تحليل فى تطور الفكر الجيوبوليتكى ، د. محمد عبدالله نجم . 15 ، (9 - 34) ..

17. أغلوطة فى المقدمة . د . رشيد الجميلى . 9 ، (23 - 30) ..
18. الأنثروبولوجيا الحديثة والمدرسة الدوركايمية ، د . صالح على الزين . 15 ، (69 - 76) ..
19. الإنسان والطبيب والمترجم : حنين بن اسحاق العبادى ، د . رشيد الجميلى . 11 ، (69 - 101) ..
20. الأهداف التربوية : نقطة البداية فى العملية التربوية ، د . أنور طاهر رضا 12 ، (77 - 112) ..
21. الأهداف التى ينبغى أن تسعى التربية إلى تحقيقها فى ليبيا ، د . عمر التومى الشيبانى . 4 ، (205 - 228) ..
- (ب)
22. البترول العربى وتجارته . د . فهمى هلالى أبو العطا . 4 ، (243 - 299) ..
23. بعض جوانب التجديد فى الفكر الإسلامى . د . أحمد محمود صبحى 5 ، (51 - 80) ..
24. البناء على الشاهد الأثر . سعيد الأفغانى . 7 ، (217 - 231) ..
25. بين أصول التحديث وأصول التأريخ : دراسة مقارنة فى المناهج . د . أحمد محمود صبحى 4 ، (9 - 50) ..
26. بين السمع والبصر فى القرآن الكريم ، على النجدى ناصف ، 8 ، (131 - 142)
- (ت)
27. التأثير المتبادل بين اللغة ووسائل الاتصال . اللافى ادريس عبدالقادر . 16 ، (71 - 80) ..
28. التاريخ الكمى وكتابة التاريخ عند العرب . د . شارل بيلات . 5 ، (163 - 173)
29. تجارب التاريخ الوجدانية : دراسة تاريخية تحليلية مقارنة لثلاث تجارب وحدوية : الولايات المتحدة الأمريكية ، إيطاليا ، ألمانيا ، د . ميلاد المقرحى . 13 ، (73 - 92) ..
30. التحضر فى الوطن العربى : دراسة جغرافية . د . حمد المبروك المهدي . 12 ، (195 - 213) ..

31. التحليل الاجتماعي لظاهرة العمل . د. السيد محمد بدوي . 5 ، (109 - 140) ..
32. التحليل النفسي : فن ومبادئ العلاج . د. رجب أبو دبوس . 12 ، (59 - 75) ..
33. التخلف الاجتماعي والاقتصادي في بلدان العالم الثالث : جوهره ومسبباته . د. صبحي محمد قنوص . 16 ، (33 - 51) ..
34. الترجمة الأدبية . د. علاء الدين أحمد حسين . 20/19 ، (125 - 145) ..
35. التركيب العمري والنوعي للسكان الليبيين 1954 - 1973 . د. فتحى عبدالله فياض . 11 ، (381 - 405) ..
36. تطور مورفولوجية مدينة مصراتة في عهد الثورة . د. فوزى عبدالمجيد الأسدي . 9 ، (251 - 325) ..
37. تعليم الرياضيات على مشارف القرن الحادى والعشرين : بعض المعوقات وإمكانات تجاوزها . د. أحمد خالد محمد بخيت . 20/19 ، (43 - 75) ..
38. التغير الاجتماعي نظرياً وتطبيقياً . د. عبدالقادر عرابي . د. عبدالله الهمالى أ - فى مفهوم التغير ومناهجه . 11 ، (287 - 304) .. ب - دراسة تحليلية لمفهوم التغير ونظرياته ومناهجه ومقارنتها بمناهج التغير السائدة فى الوطن العربى . 11 6 (305 - 337) .. ج - مظاهر التحديث فى المجتمع العربى الليبيى المعاصر : دراسة ميدانية . 11 ، (341 - 379) ..
39. تقييم النظرية العلمية اللسانية . د. علاء الدين أحمد حسين ، 18/17 ، (67 - 74) ..
40. التلوث البيئى وتأثيراته المختلفة على المدن . د. فتحى أحمد الهرام . 20/19 ، (124-77) ..
41. التنمية الاقتصادية والاجتماعية وأثرهما فى عمليتى النمو والتركيب السكانى فى منطقة الجبل الأخضر ، ليبيا . د. صبحي محمد قنوص . 15 ، (35 - 68) ..
42. توكيد بدس . د. ابراهيم نصحي . 2 ، (9 - 64) ..
- (ث)
43. الثقافة الليبية والترجمة والنشر . أ . عثمان الكعاك . 2 ، (165 - 191) ..
44. الثنائية فى اللغة . د. محمد مصطفى رضوان . 4 ، (301 - 327) ..

(ج)

45. الجاحظ في كتاب البخلاء . شفيق جبرى . 7 ، (385 - 392) ..
 46. الجغرافيا البحرية بين النشأة والتطور . د. الهادي مصطفى أبو لقمة . 13 ، (93 - 114) ..
 47. الجهمية والمحدثون . د. محمد طاهر ملك . 8 ، (143 - 168) ..

(ح)

48. الحاجة والحرية . د. رجب بو دبوس . 9 ، (13 - 21) ..
 49. الحدود البحرية . د. فتحى عبدالله فياض . 12 ، (165 - 194) ..
 50. الحرب التركية الروسية 1877 - 1878 : دراسة تحليلية وثائقية . د. محمد محمود السروجي . 4 ، (83 - 156) ..
 51. حفريات قسم الآثار : اكتشافات جديدة لمقابر من العصر الروماني في منطقة سيدى حسين - بنغازي . د. أحمد حسن غزال . 6 ، (9 - 74) ..
 52. الحياة العقلية عند الانسان : جانبها الفلسفي ومستلزماتها الاجتماعية . د. نوري جعفر . 3 ، (183 - 206) ..

(خ)

53. خريجو الجامعة الليبية . شعيب المنصوري . 4 ، (157 - 204) ..

(د)

54. الدبلوماسية البريطانية والعدوان الإيطالي على ليبيا 1911 - 1912 . د. هاشم التكريتي . 4 ، (51 - 81) ..
 55. دراسة التاريخ عند ارنولد توينبي . د. اسحق عبيد . 7 ، (353 - 383) ..
 56. دراسة جديدة على سبيل السلطان اينال المندثر والسبيل الحالي للسلطان قاتيباي " بالحرم الشريف " بالقدس . د. محمد مصطفى نجيب . 11 ، (171 - 283) ..
 57. دراسة في فن النحت الإغريقي في العصر المبكر (660 - 480 ق . م) . د. أحمد غزال . 5 ، (175 - 240) ..
 58. دراسة نحوية : عرض وتحليل لقضية الإعراب وما دار حولها من جدال في القديم والحديث . يوسف حسين بادي . 13 ، (161 - 171) ..

59. دراسة نص لأبى الحسن العامرى : تولد الاختلافات فى باب الديانات ، أو البواعث النفسية الفردية للخروج عن الايدولوجية . د. عبدالمعطى سويد . 11 ، (447 - 459) ..

60. دراسة الأشكال الهندسية والنباتية فى الزخرفة الإسلامية : دراسة تحليلية فنية على الشكل النجمى . د. فاروق أحمد شعبان . 13 ، (115 - 146) ..

61. دعوى الحسبة فى المسائل الجنائية فى الشريعة الإسلامية . د. أحمد الحجى ا لكردى . 5 ، (9 - 49) ..

62. دور الموارد البشرية فى استثمار الثروة المعدنية فى منطقة المغرب العربى . د. احسان محمد الحسن . 13 ، (49 - 72) ..

63. الدين والعقل . د. رجب بو دبوس . 11 ، (11 - 22) ..
(ر)

64. رأى حول : اقتصاديات التعليم والتخطيط التربوى . تقديم وتعريب . د. على الساعدى . 16 ، (101 - 112) ..

65. الرياضيات الكلية عند ليبنتز . د. جعفر الشكرجى . 11 ، (103 - 120) ..
(س)

66. السلطان محمد الفاتح وبداية عهد جديد فى الدولة العثمانية . د. سيد رضوان على . 7 ، (147 - 216) ..

67. السوسيولوجيا وأزمة المجتمع العربى . د. عبدالقادر عرابى . 9 ، (89 - 148) .

68. سوسيولوجية الأسرة ومضامينها فى الكتاب الأخضر . د. صالح على الزين . 13 ، (15 - 26) ..

69. سيرة السنوسى الكبير : نقد المصادر وضرورة إنشاء مجموعة لحفظ تراث الأستاذ الإمام السنوسى . د. محمد عبدالهادى شعيره . 1 ، (189 - 217) ..

(ش)

70. شاهد عيان يسد فراغاً فى التاريخ . محمد جميل بيهم . 7 ، (427 - 441) ..

71. الشيخ أحمد زروق : دفين مصراته . أ . عبدالله كنون . 2 ، (129 - 163) ..

(ص)

72. صراع المذاهب فى تاريخ الاسلام . د. رجب بو دبوس 10 ، (65 - 114) ..

(ض)

73. ضرورة الاستفادة من مخطوطة جامعة قاريونس فى طبعة جديد لأمالى القالى . د. السيد محمد يوسف . 8 ، (65 - 129) ..

(ط)

74. الطبعة المزدوجة للصحافة الرأسمالية . د. لطفى ناصف . 13 ، (27 - 48) ..

(ع)

75. العالم الثالث والتنمية . د. هشام سعيد الحلاق . 12 ، (25 - 45) ..
76. العطاءات الفكرية والاقتصادية عند ابن خلدون . د. حامد شعلان . 12 ، (47 - 58) ..
77. علاقة المؤلف بالناشر . د. ابراهيم احمد المهدي . 20/19 ، (273 - 285) ..
78. العلم والتقنية فى خدمة الانسان والمجتمع . د. هشام سعيد الحلاق . 10 ، (13 - 23) ..
79. العمل فيما له روايتان من الشواهد اللغوية . سعيد الأفغانى . 8 ، (11 - 25) ..
80. عن إيجاز الحذف فى القرآن الكريم . د. محمد أحمد الحوفى . 7 ، (325 - 352) .. (

(غ)

81. الغزالى : مشكلة وحل ، أو ، منهج لفهم الغزالى . د. حسام محى الدين الألوسى . 4 ، (351 - 418) ..
82. غياب طلبة كلية التربية فى جامعة البصرة . د. أنور ظاهر رضا . 13 ، (147 - 159) ..

(ف)

83. فترة حاسمة من تاريخ المغرب : موقف ليبيا فيما بين قيام الفاطميين فى إفريقيا ونقلتهم إلى مصر . د. سعد زغلول عبد الحميد . 1 ، (219 - 258) ..

84. فزان ودورها في انتشار الإسلام في إفريقيا . د. حسين مؤنس . 3 ، (69 - 119) ..

85. فكرة السببية بين علم التفسير والفيزياء . د. حسن عثمان ذهب . 10 ، (217 - 228) ..

86. الفلسفة القورنيائية في المصادر العربية . د. عبدالرحمن بدوي . 2 ، (89 - 128) ..

(ق)

87. قرار قوريني الثالث . د. مصطفى كمال عبدالعظيم . 6 ، (129 - 149) ..

88. قضية فرض الحدود الدولية والنزاع العربي الاسرائيلي . د. فوزي عبدالمجيد الأسدي . 6 ن (153 - 186) ..

89. القوى المتصارعة في المغرب خلال القرن الثاني الهجري ودور ليبيا فيه (1) . د. مراجع الغنای . 5 ، (81 - 107) ..

90. القوى المتصارعة في المغرب خلال القرن الثاني الهجري ودور ليبيا فيه (2) . د. مراجع الغنای . 6 ، (101 - 127) ..

91. القيمة الجمالية للطبيعة . د. جعفر الشكرجي . 15 ، (77 - 93) ..

(ك)

92. كاليماخوس القوريني . د. ابراهيم نصحي . 3 ، (9 - 67) ..

93. كتاب الأخبار الطوال للدينوري ومحققه في الميزان . د. سيد رضوان علي . 5 ، (241 - 263) ..

(ل)

94. اللغة والمجتمع : رأى ومنهج . د. محمود السعران . 1 ، (67 - 187) ..

95. ليبيا : الاسم ومدلولاته التاريخية . د. محمد عبدالهادي شعيره . 1 ، (1 - 16) .

96. ليبيا في مؤلفات أرسطو . د. عبدالرحمن بدوي . 3 ، (121 - 143) ..

(م)

97. المخطوطات المصورة بدير سيناء " أيوب " . د. سامي شنوده . 7 ، (399 - 425) ..

98. مدن الواحات فى الصحراء الكبرى : دراسة لنمط من أنماط النمو الحضري فى المناطق الجافة . د. حسان عوض . 2 ، (65 - 97) ..
99. مدينة بنغازي وقسم تخطيط المدن . د. الهادي أبو لقمة . 11 ، (141 - 169) .. (
100. المذهب التاريخي عند مانهايم . د. جعفر الشكرجي . 12 ، (135 - 152) ..
101. المرأة والتنمية فى ليبيا : دراسة للتحويلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وأثر ذلك على وضع ودور المرأة . د. زينب محمد زهرى . 14 ، (41 - 89) ..
102. المرأة والمشاركة السياسية . د. عبدالله عامر الهمالى ، د. عبدالقادر عرابى . 14 ، (91 - 153) ..
103. مشكلة الأمطار فى ليبيا . د. عبدالعزيز طريح شرف . 1 ، (295 - 320) ...
104. المضامين الحضارية والبيئية القديمة للصحراء الليبية من خلال لوحات الفن الصخرى . د. ابراهيم موسى محمد . 20/19 ، (171 - 234) ..
105. معاوية فى الأساطير . سعيد الأفغانى . 6 ، (75 - 99) ..
106. المعرفة بين العقل والنقل . د. محمد بالروين . 11 ، (123 - 139) ..
107. المعلومات والتنمية الشاملة . د. ابراهيم أحمد المهدي . 18/17 ، (35 - 56) ..
108. مفارقات الإشارة الذاتية . د. نجيب الحصادى . 16 ، (81 - 90) ..
109. مفهوم المعجزة : أى ما صدق ينتمى إليه . د. نجيب المحجوب الحصادى . 14 ، (9 - 23) ..
110. مفهوم الوظيفة لدى (رادكلف براون وما لينوسكى) وأهمية هذا المفهوم فى ميدان الانثروبولوجيا " علم الانسان " . د. صالح على الزين . 12 ، (153 - 164) ..
111. مقومات تخطيط المدينة العربية والمعايير والقيم القياسية اللازمة لها . د. الهادي أبو لقمة . 4 ، (229 - 242) ..
112. ملاحظات حول التأثيرات الليبية فى مقابر سيهل ميسارا . د. أحمد حسن غزال . 7 ، (289 - 321) ..
113. ملاحظات حول الحركات القومية فى آسيا وإفريقيا . د. ميلاد أبو سلامة المقرحى . 12 ، (15 - 23) ..

114. ملاحظات حول الحركة القومية الكردية . د. ميلاد المقرحى . 14 ، (25 - 32) .
115. مناخ أقليم المرج . د. سعد قسطندى ملطى . 7 ، (233 - 282) ..
116. مناهج البحث فى استنباط الأحكام . د. عبدالسلام محمد الشريف . 16 ، (91 - 99) .. (
117. منخفض الكفرة : دراسة اقتصادية . د. محمد ابراهيم حسن . 4 ، (419 - 447)
118. منهجية علم الانسان الاجتماعى . د. صبحى قنوص . 9 ، (33 - 64) ..
119. المهارات الاجتماعية : اضطرابها وعلاجها . د. رضوى محمد على السيد . 12 ، (113 - 134) ..
120. الموازنة بين ابن خلدون واوجيست كونت . د. زيدان عبد الباقي . 11 ، (23 - 67) ..
121. المؤتمر الثانى لكلية الآداب - جامعة قاريونس : المؤتمر الجغرافى الأول - جغرافية ليبيا . د. جودة حسنين جودة . 7 ، (5 - 145) ..
122. المؤرخ والحكم الأخلاقى . د. جعفر الشكرجى . 20/19 ، (11 - 42) .. (ن)
123. الناحية الوجدانية فى حياة الانسان : أصولها الفلسفية ومقوماتها الاجتماعية . د. نورى جعفر . 4 ، (329 - 349) ..
124. نظام العاقلة فى الإسلام . د. عبدالسلام محمد الشريف . 18/17 ، (57 - 65) .
125. نظرات فى المدينة العربية الإسلامية خلال العهدين الأموى والعباسى . د. سليم عبدالحق . 8 ، (270 - 62) ..
126. النظرية العنصرية : نقد وتحليل . د. أحمد الخشاب . 1 ، (259 - 293) ..
127. نظرية فن القول عند جازم القرطاجنى . د. محمد المهدي الغزالي . 20/19 ، (287 - 305) ..
128. نقوش رومانية من توخيلا . خالد محمد الهدار . 20/19 ، (235 - 271) ..
129. نمو السكان فى مصراتة . د. منصور الكيخيا . 9 ، (67 - 86) .. (و)
130. الوحي هو المصدر الحقيقى للقرآن الكريم . عمر سالم عمر البيبى . 14 ، (155 - 182) ..

131. الوطنية في الأدب المصري (الفرعوني) القديم . د. أحمد عبدالحميد يوسف . 6 ،
(187 - 220) ..

132. وعد بلفور : دراسة في الصراع العربي الصهيوني . مصطفى علي هويدى . 16 ،
(13 - 32) ..

كشاف المؤلفين

(أ)

107 ، 77	إبراهيم أحمد المهدوى
104	إبراهيم موسى محمد
92 ، 42	إبراهيم نصحي
62	إحسان محمد الحسن
61	أحمد الحجى الكردى
126	أحمد الخشاب
112 ، 57 ، 51	أحمد حسن غزال
37	أحمد خالد محمد بخيت
131	أحمد عبد الحميد يوسف
25 ، 23	أحمد محمود صبحى
55	إسحاق عبيد
7	أمل على المخزومى
82 ، 20	أنور طاهر رضا

(ج)

122 ، 100 ، 91 ، 65	جعفر الشكرجى
121	جودة حسنين جودة

(ح)

76	حامد شعلان
81	حسام محي الدين الألوسى
98	حسان عوض
85	حسن عثمان ذهب
84	حسين مؤنس

(خ)

128	خالد محمد الهدار
-----	------------------

(ر)

72 ، 63 ، 48 ، 32	رجب أبو دبوس
19 ، 17 ، 6	رشيد الجميلي
119	رضوى محمد على السيد

(ز)

120	زيدان عبد الباقي
101	زينب محمد زهرى

(س)

97	سامى شنودة
83	سعد زغلول عبد الحميد
115	سعد قسطندى ملطى

105 ، 79 ، 24	سعيد الأفغاني
125	سليم عبد الحق
93 ، 66	سيد رضوان علي
31	السيد محمد بدوي
73	السيد محمد يوسف

(ش)

28	شارل بيلات
53	شعيب المنصوري
45	شفيق جبري

(ص)

110 ، 68 ، 18	صالح علي الزين
118 ، 41 ، 33	صبحي محمد قنوص

(ط)

3	طه الحاجري
---	------------

(ع)

96 ، 86	عبد الرحمن بدوي
124 ، 116	عبد السلام محمد الشريف
13	عبد السلام مختار الزليتنى
4	عبد العزيز برهام

103	عبدالعزیز طریح شرف
11	عبدالقادر أحمد رمضان
102 ، 38 ، 67 ، 5	عبدالقادر عرابی
102 ، 38	عبدالله عامر الهمالی
71	عبدالله كنون
59	عبدالمعطى سويد
43	عثمان الكعك
39 ، 34	علاء الدین أحمد حسین
64	على الساعدي (تقديم وتعريب)
15	على المنتصر فرفر
26	على النجدی ناصف
21	عمر التومى الشیبانی
130	عمر سالم عمر البیبي
1	عمران سالم احتیوش

(ف)

60	فاروق أحمد شعبان
40	فتحي أحمد الهرام
49 ، 35	فتحي عبدالله فياض
22	فهيمى هلالى أبو العطا
88 ، 36	فوزى عبدالمجيد الأسدى

(ل)

27	اللافى إدريس عبدالقادر
74	لطفى ناصف

(م)

117	محمد إبراهيم حسن
80	محمد أحمد الحوفى
30	محمد المبروك المهدوى
127	محمد المهدى الغزالى
106	محمد بالروين
70	محمد جميل بيهم
9	محمد حسنين
47	محمد طاهر ملك
95 ، 69	محمد عبدالهادى شعيرة
10	محمد فرج دغيم
50	محمد محمود السروجى
44	محمد مصطفى رضوان
56	محمد مصطفى نجيب
94	محمود السعران
16	محمود عبدالله نجم
90 ، 89	مراجع الغناى
132	مصطفى على هويدى
8	مصطفى عمر التير

87	مصطفى كمال عبدالعظيم
129	منصور الكيخيا
114 ، 113 ، 29	ميلاد أبو سلامة المقرحي

(ن)

123 ، 52 ، 2	نورى جعفر
109 ، 108 ، 12	نجيب المحجوب الحصادي

(هـ)

14	هادى عطية مطر الهالى
111 ، 99 ، 46	الهادى مصطفى أبو لقمة
54	هاشم التكريتى
78 ، 75	هشام سعيد الحلاق

(ى)

58	يوسف حسين بادي
----	----------------

كشاف البحوث والمقالات والدراسات التي نُشرت باللغة الانجليزية

Titles

“ A “

- 1- The American civil war and its reflection in literature. Baban, Naman. Vol. 8, P.P 39-90
- 2- Aurelius prudentius clemens contra symmachum. Ebeid, I.T. vol. 6, P.P 15-30

“ B “

- 3- A Bird's eye view of the diglossic situation in Arabic. Ageli, Nuri R. vol. 17/18 P.P 69-74.
- 4- The British policy and the partition of Ireland. El-Mograhi, Milad A. vol. 16, P.P 25-38.

“ C “

- 5- Changes In the industrial geography of libya 1970-1980. EL-Mehdawi, Mohammed. Vol. 13, P.P. 23-35.

“ D “

- 6- Distribution and density of population 1954-1964 in libya. Hartley, R.Y. vol. 3, P.P 79-168.
- 7- The Dynamics of Terra Rossa soils. Atkinson, Kenneth. Vol. 3, P.P. 15-35.

“ E “

- 8- The Early Aragonese pardina: its etymology and function. Nelson, Lynn H. vol 7, P.P 29-51.
- 9- English Writers on the Arab world. Baban, Naman. Vol. 4, P.P 23-34.

“ F “

- 10- The form and function of Misratah's Commercial centre. Blake, Gerald H. vol. 2, P.P 9-40

“ H “

- 11- Historical roots of three intellectual movements. Abu Shanab, Robert E. vol. 7, P.P. 9-28.

“ I “

- 12- The Impact of Arab Aid on the African voting behavior regarding Arab issues. Abulgasem, Mustata Abdalla. Vol. 16, P.P. 11-24.
- 13- Impressions of an English Travelles in Libya. Toynbee, Arnold. Vol. 3, P.P. 9-14

- 14- Industrial location in Tripoli and Benghazi. El-Mehdawi, Mohamed. Vol. 7, P.P. 111-169.
- 15- Issues clusters and UN voting behavior : the voting patterns of Afro-Arab states. Abulgasem, Mustata Abdalla. Vol 17/18, P.P. 31-53.

“ K “

- 16- Kufra depression : a study in economic development. Hassan, Mohamed Ibrahim. Vol. 4, P.P 199-201.

“ L “

- 17- Landed property and economic change in Tripolitania. Mc Lachlan, K. vol. 2, P.P. 85-101.
- 18- Libya and the Arab world, A geographical view. Blake, Gerald H. vol. 4, P.P. 9-22.

“ M “

- 19- Modern evolution of manufacturing in libya. El- Mehdawi, Mohamed. Vol. 8, P.P. 9-38.

“ P “

- 20- Peri enypnion (I sogni) di sinesio di cirene. Casini, cesare. Vol. 4, P.P. 47-94.
- 21- Profilo biografico di cinesio di cirene. Casini, cesare. Vol. 4, P.P. 95-198.

“ R “

- 22- Recent development in agriculture in Libya with special reference to areas close to Tripoli. Allan, J.K. vol. 3, P.P. 37-77.
- 23- Recenti studi di storia Musulmana in Italia. Gabrieli, Francesco. Vol. 3, P.P. 71-83.
- 24- The Russo- Japanese war (1904-1905) its causes and its consequences. El- Magrahi, Milad A. vol 17/18, P.P. 11-30.

“ S “

- 25- Al-Shabbi and Wordsworth : Two romantics. Abu- Baker, Mohammed Hassan. Vol. 16, P.P. 39-53.
- 26- Shakespear's interest skin colour. Williams, Gwyn. Vol. 1, P.P. 1-14.
- 27- Sinesio di cirene. Casini, cesare. Vol. 3, P.P. 169-304.
- 28- Social class and classroom cheating. Attir, Mustata Omer. Vol. 6, P.P. 3-14.
- 29- Soil analysis and its relation to land use in el-Marj plain, Cyrenaica. Buru, Mukhtar. Vol. 2, P.P. 41-70.
- 30- Some considerations on foreign language teaching in the faculty of Arts, including uses of the language laboratory and the question of a period of residence abroad. Brewer, E.F. vol. 4, P.P. 35-46.

- 31- Stages in language aquisition. Abuarrosh, Khadejah Kosarich. Vol. 17/18, P.P. 55-67.
- 32- A Study in sitologia in Roman Egypt. EL . Mosailamy, Abdalla H.S. vol. 7, P.P. 53-109.
- 33- Super imposition of international boundaries and the Arab- Israeli conflict – (Summary) . Asadi, Fawzi. Vol. 6, P.P. 31-35.
- 34- The system in Egypt in the 18th & 19th centuries. EL-Sourougi, Mohamed M. vol. 5, P.P. 9-47.
- “ W “
- 35- Western culture in relation to the third world. Newsone, Eric. Vol. 13, P.P. 7-22.
- 36- What is the role of the modern poet ? Homsley, Bonnie. Vol. 5, P.P. 49-70.

Authors

“ A “

Abuarrosh, Khadejah Kosarich	31
Abu- Baker, Mohammed Hassan.	25
Abulgasem, Mustata Abdalla.	12,15
Abu shanab, Robert E.	11
Ageli , Nuri R.	3
Allan, J.K.	22
Asadi, Fawzi.	33
Atkinson, Kenneth.	7
Attir, Mustafa Omar.	28

“ B “

Baban, Naman.	1,9
Blake, Gerald H.	10,18
Brewer, E.F.	30

Buru, Mukhtar,	29
“ C “	
Casini, Cesare.	20,21,27
“ E “	
Ebeid, I.T.	2
“ G “	
Gabrieli, Francesco	23
“ H “	
Hartley, R..Y.	6
Hassan, Mohamed Ibrahim	16
Homsley, Bonnie	36
“ M “	
Mc Lachlan, K.	17
EL – Magrahi, Milad A.	4,24
EL – Mehdawi, Mohammed.	5,14,19
EL – Mosallamy, Abdalla H.S.	32
“ N “	
Nelson, Lynn H.	8
Newsone, Eric.	35
“ S “	
EL – Sourougi, Mohamed M.	34
“ T “	
Toynbee, Arnold.	13
“ W “	
Williams, Gwyn.	26

الشركة العامة للورق والطباعة - مطابع الثورة / بنغازي